سلسلة تقريب كتب السلف

شَرْحُ
مُخْتَصَرِ التَّوحِيدِ لابْنِ خُزَيْمَة

(٢٢٣ - ٣١١)

اختصره وعلق عليه

أبو سفيان محمود الشاملي

شرح
مختصر التوحيد
لابن خزيمة رحمه الله

الجزء الأول

المقدمة

- مقدمة عامة.
- العقيدة.
- نماذج من كتب السلف في العقيدة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.
- التعريف بالمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
- التعريف بالكتاب:

أولاً: مسائل الكتاب.

ثانيًا: الفِرَق التي تعرض لها الإمام.

ثالثاً: فوائد ومآخذ الكتاب.

- قواعد هامة لفهم الأسماء والصفات.
- عملي في الكتاب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لم يزل يدل على معرفته، وأكلَّ الألسن في نعت صفاته والأبصار في إدراك كيفيته، وأقْصَرَ الأحلام عن غاية إلهيته، الذي لا أول له ولا آخر، عظُم في ارتفاع علوه، وجلَّ في دنو قربه، خلق العباد بقدرته وخصصهم بإرادته، وأتقنهم بعمله، سميع بصير، حي قوم، فعال لما يريد ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1].

وأشهد أن لا إله سواه وحده لا شريك له، شهادة في صميم القلب محلُّها، وهو أحق بها وأهلها، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، فبلغ الرسالة ولم يكتمها، وأدى الأمانة ولم يخنها، فصلى

(١) الرحمن/٢٩

الله عليه وعلى آله ومن اختاره من بعده، وسلم تسليما[1].

وبعد؛ فإن الناظرَ في كتاب الله تعالى، المتأملَ بعين البصيرة سُنَنَ الله الكونية، التي لا تحابي أحدًا، ولا تتبدل أو تتغير لأحدٍ؛ يعلم أن الله عز وجل قدَّر في سابق علمه وكتابه أن العباد سيكونون مختلفين إلا من رحم.

قال تعالى: ﴿**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾[3].

وقد بين الله تعالى سبب تقديره اختلاف الناس، وأن ذلك من مقتضى حكمته، لدوام الخلق في أرضه.

فقال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ**

---

(١) من مقدمة كتاب (عقائد الثلاث والسبعين فرقة) لأبي محمد اليمني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) الفتح/ ٢٣ .

(٣) يونس/٩٩

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[(١)].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: ولولا أن الله يدفع ببعض الناس، وهم أهل الطاعة له والإيمان به بعضًا، وهم أهل المعصية لله والشرك به **﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾**، يعني: لهلك أهلها بعقوبة الله إياهم، ففسدت بذلك الأرض، ولكن الله ذو مَنٍّ على خلقه وتطولٍ عليهم، بدفعه بالبَرِّ من خلقه عن الفاجر، وبالمطيع عن العاصي منهم، وبالمؤمن عن الكافر. اهـ[(٢)].

وقال تعالى: **﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾**[(٣)].

---

(١) البقرة/٢٥١

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٧٦١).

(٣) الحج/٤٠

وقال رسول الله ﷺ في حديث الفِرق: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً**"[١].

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "**إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ: الْجَمَاعَةُ**"[٢].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "**مَا أَنْتَ عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**"[٣].

---

(١) **صحيح**: أبو داود (٤٥٩٦) وصححه الألباني

(٢) **صحيح**: ابن ماجه (٣٩٩٣) وصححه الألباني

(٣) **حسن**: الترمذي (٢٦٤١) وحسنه الألباني، وللفائدة أنقل كلام بعض أهل العلم في صحة الحديث، لكثرة اللغط حوله: قال الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (السنن/٢٦٤٠): حديث أبي هريرة حسن صحيح.اهـ، وقال الحاكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في =

فقد بين الرسول ﷺ في هذا الحديث: أن الأمة ستفترق حتماً، وأن الناجون من النار هم الجماعة، أو من كان على نهج النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وقد الله تعالى في حق أصحاب النبي ﷺ: ﴿**فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم**

=

(المستدرك: ١/٤٧): هذا حديث كثر في الأصول. اهـ، وقال في موضع آخر (المستدرك: ١/٢٨): هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث.اهـ، وقال العراقي (تخريج الإحياء: ٤/١٨٧٩): حديث افتراق الأمة فيه الناجي منهم واحدة، قالوا: ومن هم؟ قال: "**أَهْلُ السُنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ**" الحديث رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو، وحسنه: "**تَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةٍ كُلُهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**"، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: "**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**" ولأبي داود من حديث معاوية، وابن ماجة من حديث عوف، وأنس بن مالك: "**وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**" وأسانيدها جياد. اهـ، وممن قواه وقال به: ابن كثير، والشاطبي، وشيخ الإسلام رحمهم الله.

بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾[1]، أي فإن علموا، وصدقوا، وانقادوا بحب وإخلاص لما أنتم عليه يا صاحبة نبي، فهم المهتدون إذاً، وإن تولوا، وتركوا هديكم وأبوا إلا خلافكم؛ فلا هدي لهم، بل هم ضالون.

وقد أنزل الله تعالى هذه الآية بعد قول اليهود والنصارى: **﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**[2] فأمر الله عباده المؤمنين من صحابة النبي ﷺ ومن جاء بعدهم على نهجهم أن يقولوا: **﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾**[3].

---

(١) البقرة/١٣٧

(٢) البقرة/١٣٥

(٣) البقرة/١٣٦

يقول ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ﴾ فإن صدق اليهود والنصارى بالله، وما أنزل إليكم، وما أنزل إلى إبراهيم، وإسماعيل وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم، وأقروا بذلك، مثل ما صدقتم أنتم به أيها المؤمنون وأقررتم، فقد وفقوا، ورشدوا، ولزموا طريق الحق، واهتدوا، وهم حينئذ منكم وأنتم منهم، بدخولهم في ملتكم بإقرارهم بذلك، فدل تعالى ذكره بهذه الآية، على أنه لم يقبل من أحد عملا إلا بالإيمان بهذه المعاني التي عدها قبلها. اهـ[1].

فأعود وأقول: إن الأمة قُدِّرَ لها الافتراقُ إلى ثلاث وسبعين فرقة، وهذه الفرق لها رؤوس انبثقت منها.

عن ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: أصل اثنين وسبعين هوى أربعة

(١) تفسير الطبري (١/ ٨١٥).

أهواء، فمن الأربعة الأهواء، انشعبت هذه الاثنان وسبعون هوى: القدرية، والمرجئة، والشيعة، والخوراج. اهـ[1].

قلت: ليست هذه الفرق فحسب هي التي افترقت عن أهل السنة والجماعة، بل ظهرت لنا فرق أخرى، إما مستقلة بأفكارها وأصولها، كالمعتزلة، وإما منبثقة من فرقة أخرى وزادت عليها بعض المبادئ والأفكار التي ميزتها عن غيرها، كالأشاعرة، والماتريدية...الخ.

فالله أسأل أن يثبت قلوبنا على طاعته، وأن يعصمنا من الزلل والزيغ إنه ولي ذلك والقادر عليه. ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا**﴾[2].

(١) شرح السنة للبربهاري (١٢٨).

(٢) نوح/٢٨

العقيدة

معنى العقيدة في اللغة:

العين والقاف والدال، أصل واحد يدل على: شَدٍ وَشِدَّةٍ وُثُوُقٍ[(١)]

والعَقْدُ كما قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[(٢)] أي أوفوا بالعهود التي عاهدتموها ربكم، والعقود التي عاقدتموها إياه، وأوجبتم بها على أنفسكم حقوقًا، وألزمتم أنفسكم بها فروضًا[(٣)].

والعَقْدُ أيضًا: هو الضمان والعهد[(٤)].

والْعِقْدُ: هو ما تطوق به المرأة رقبتها، وهي القلادة.

والعُقَدُ: جمع عُقْدَة، وهي ما تعقده الساحرة[(١)].

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس/ كتاب العين/ عقد (٥٧٨).

(٢) المائدة/١.

(٣) تفسير الطبري (٤/٢٨٨).

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي (حرف العين/ عقد/ ١١١٨).

فمما سبق يتبين لنا أن العقيدة: عقد وإلزام مشدد، لا يجوز الإنفكاك عنه، فهي عقد مشدد بين العبد وربه، وهي ما يدين الإنسان به. اهـ[٢].

معنى العقيدة في الشرع[٣]:

=

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصبهاني (كتاب العين/ ٤٣٤).

(٢) المصباح المنير (كتاب العين/ ٢/٤٢١).

(٣) لقد صارت العقيدة لفظاً يطلق ويراد به أركان الإيمان الستة وما يتعلق بها، وهي الإيمان بالله، والملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل مسائل الغيب، وبعض مسائل الفقه، ثم صارت العقيدة علم مستقل له أصوله وضوابطه ومناطاته، وأيضًا له مترادفات دالة على مباحثة، استخدمها أهل العلم للدلالة على أركان الإيمان الستة، فمنها:

- علم التوحيد، ككتاب (التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل) لابن خزيمة.
- علم العقيدة، ككتاب (عقيدة السلف أصحاب الحديث) للصابوني.
- الإيمان، ككتاب (الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام).
- السنة، ككتاب (السنة) للخلال.

=

لم ترد كلمة (العقيدة) في القرآن الكريم بلفظها هكذا، وإنما وردت مادتها فقط في مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾[2]،[3].

وقد ذكر لها أهل العلم تعريفات عديدة مستقاة من الكتاب والسنة:

يقول الشيخ البريكان: العقيدة هي الإيمان الذي لا يحتمل النقيض[4].

وقال الشيخ العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العقيدة هي الحكم الذهني الجازم، فإن

=

- أصول الدين، ككتاب (الشرح والإبانة عن أصول الديانة) لابن بطة.

- الشريعة، ككتاب (الشريعة) للآجري.

- الفقه الأكبر، ككتاب (الفقه الأكبر) لأبي حنيفة، رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ جميعاً.

(١) النساء/٣٣ .

(٢) البقرة/٢٣٥ .

(٣) طريق الهداية للدكتور محمد يسري (١٣٢).

(٤) المدخل لدراسة العقيدة للبريكان، نقلًا من طريق الهداية (١٣٢)

طابق الواقع فهو صحيح، وإلا ففاسد[1].

وقال الشيخ صالح آل الشيخ: العقيدة هي كل ما كان مرجعه إلى التصديق والإيمان به، وهي ما عقد عليه القلب، أي كأن القلب ربط على ما يعتقده، فلا يخرجه أبدًا.[2]

(١) شرح لمعة الاعتقاد (٩)

(٢) شرح الطحاوية ضمن مجموعات شروحات بتصرف (١/ ٧٠).

نماذج من كتب السلف في العقيدة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ

إن من أهم صفات طالب العلم المجتهد المجد، وآدابه؛ أن يقتني كتب العلماء وشروحاتها، خاصة أهل العلم المتقدمين.

يقول الشيخ العلامة بدر الدين بن جَماعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينبغي لطالب العلم أن يعتني بتحصيل الكتب المحتاج إليها ما أمكن؛ شراء، وإلا فإجازة، أو عارية؛ لأنها آلة التحصيل، ولا يجعل تحصيلها وكثرتها؛ حفظة من العلم، ومجمعها؛ نصيبه من الفهم، كما يفعله كثير من المنتحلين الفقه والحديث وقد أحسن القائل:

إِذَا لَمْ تكُنْ حَافِظًا وَاعِيًا ... فَجَمْعُكَ لِلْكُتُبِ لَا يَنْفَعُ[1]

فالكتاب أنيس كل وحيد، ورفيق كل شريد، كرمه ممتد، فلا يمل من إفادة صاحبه، وخير الكتب كتاب الله تعالى.

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العلم والمتعلم (٢٤١).

يقول الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ موصيًا طلبة العلم: أن يتحرى من كتب المتقدمين من أهل العلم المراد، فإنهم أقعد به من غيرهم من المتأخرين، وأصل ذلك التجربة والخبر(١).

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فما أنفع الاطلاع على المؤلفات البسيطة في حكاية مذاهب السلف وأهل المذاهب، وحكاية أدلتهم، وما دار بين المتظاهرين منهم(٢)

ولذا ينبغي علينا معرفة أهم ما صنف في هذا العلم من كتب السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وسأذكر ما يحضرني من ذلك، مرتبا ترتيبًا زمنيًا حسب القرن، وأوصيك بالحرص على اقتنائها قدر وسعك.

---

(١) الموافقات (١/٩٧).

(٢) أدب الطلب ومنتهى الأدب (١/١٥٣).

القرن الثاني:

١-القدر لابن وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٩٧هـ).

القرن الثالث:

١-الرد على الجهمية لابن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٤١هـ).

٢-الرد على الجهمية للدرامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٨٠هـ).

٣- الرد على بشر المريسي للدرامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٨٠هـ).

٤-الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٧٦هـ).

٥-خلق أفعال العباد للبخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٥٦هـ).

٦-الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٤٤هـ).

٧-الإيمان للعدني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٤٣هـ).

٨-الإيمان لابن أبي شيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٥٣هـ).

٩-أصول السنة لابن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٤١هـ).

١٠-الحيدة للكناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٤٠هـ).

١١-أصول السنة للحميدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢١٩هـ).

١٢-شرح السنة للمزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٦٤هـ).

١٣-السنة لابن أبي عاصم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٨٧هـ).

١٤-تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٧٦هـ).

١٥-تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٧٦هـ).

١٦-كتاب السنة لحرب الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٨٠هـ).

١٧-رسالة في أن القرآن غير مخلوق للحربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٨٥هـ).

القرن الرابع:

١-التوحيد لابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣١١هـ).

٢-التوحيد لابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣٩٥هـ).

٣-الرد على الجهمية لابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣٩٥هـ).

٤-الإيمان لابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣٩٥هـ).

٥-صريح السنة للطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣١٠هـ).

٦-شرح السنة للبربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣٢٩هـ).

٧-الإبانة الكبرى لابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣٨٧هـ).

٨-الإبانة الصغرى لابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣٨٧هـ).

٩-السنة للخلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣١١هـ).

١٠-اعتقاد أهل السنة للإسماعيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣٧١هـ).

١١-الشريعة للآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣٦٠هـ).

١٢-الطحاوية للطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣٢١هـ).

١٣-المنظومة الحائية لأبي بكر بن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣١٦هـ).

القرن الخامس:

١-رسالة إلى أهل زَبيد للسجزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤٤٤هـ).

٢-جواب سؤال للخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤٦٣هـ).

٣-الأسماء والصفات للبيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤٥٨هـ).

٤-القضاء والقدر للبيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤٥٨هـ).

٥-الاعتقاد للبيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤٥٨هـ).

٦-الإيمان لأبي يعلى الفراء رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤٥٨هـ).

٧-الرسالة الوافية لأبي عمر الداني رحمة الله (٤٤٤هـ).

٨-شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤١٨هـ).

٩-عقيدة السلف للصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤٤٩هـ).

١٠-المنظومة الرائية للزِّنجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤٧١).

القرن السادس:

١-الحجة في بيان المحجبة للأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥٣٥هـ).

كتب شيخ الإسلام وابن القيم رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ (٧٢٨هـ):

١- الحموية.

٢-التدمرية.

٣-التسعينية.

٤- الواسطية

٥-شرح الأصفهانية.

٦-درء التعارض.

٧-منهاج السنة.

٨-بيان تلبيس الجهمية.

٩-اجتماع الجيوش الإسلامية.

١٠-الصواعق المرسلة.

١١-النونية.

كتب أخرى:

١-معارج القبول لحافظ حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٣٧٧هـ).

٢-العقيدة السفارينية للسفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١١٨٨هـ).

٣-شرح القواعد المثلي للعثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٤٢١هـ).

٤-كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كتب الفرق:

١-الموسوعة المفصلة في الفرق.

٢-الفَرق بين الفِرق للبغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٠٣٧هـ).

٣-الملل والنحل للشهرستاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥٤٨هـ).

٤-مقالات الإسلاميين للأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣٣٠هـ).

٥-تلبيس إبليس لابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥٧٩هـ).

٦-كيد الشيطان لابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٥٧٩هـ).

٧-عقائد الثلاث وسبعين فرقة لأبي محمد اليماني، وهو من أفضلهم.

٨-الفِصل لابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٤٥٦هـ).

٩-تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

١٠-أصول وتاريخ الفرق الإسلامية للشيخ مصطفى محمد مصطفى.

١١-الأهواء والفرق والبدع للدكتور ناصر العقل.

وهناك العديد من كتب السلف، وفي هذه الكتب الكفاية لمن وعاها.

التعريف بالمصنف

أولاً: السيرة الذاتية:

أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣١١هـ).

قال عنه الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

الحافظ الحجة الفقهية، شيخ الإسلام، إمام الأئمة، أبو بكر السُلمي النيسابوري الشافعي، صاحب التصانيف، ولد سنة ثلاث وعشرين ومئتين (٢٢٣هـ)، وعني في حداثته بالحديث والفقه، حتى صار يُضرب به المثل في سعة العلم والإتقان.

روى عن: محمود بن غيلان، وعتبة بن عبد الله المروزي، وعلي بن حجر، وأحمد بن منيع، وبشر بن معاذ، وغيرهم كثير.

وروى عنه: البخاري، ومسلم في غير الصحيحين، ومحمد بن الله بن

(١) من (سير أعلام النبلاء) بتصرف.

عبد الحكم أحد شيوخه، وأحمد بن المبارك المُستملي، وإبراهيم بن أبي طالب، وأبو حامد بن الشرقي، وغيرهم كثير.

ثناء العلماء عليه:

قال محمد بن سهل الطوسي: سمعت الربيع بن سليمان، وقال لنا: هل تعرفون ابن خزيمة؟ قلنا: نعم، قال: استفدنا منه أكثر ما استفاد منا.

قال الحافظ أبو علي النيسابوري: لم أر أحدا مثل ابن خزيمة.

قال أبو حاتم بن حبان التميمي: ما رأيت، على وجه الأرض من يحفظ صناعة السنن، ويحفظ ألفاظها الصحاح، حتى كأن السنن كلها بين عينية، إلا محمد بن إسحاق بن خزيمة فقط.

قال أبو الحسن الدارقطني: كان ابن خزيمة إمام ثابتا، معدوم النظير.

من أهم مصنفاته: كتاب (التوحيد)، وكتابة (الصحيح).

وتوفى رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة إحدى عشر وثلاثمائة.

ثانياً: حالة الأمة السياسية في حياة الإمام:

عاش الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ظروف سياسية مستقرة، فقد ولد الإمام في خلافة أمير المؤمنين المعتصم بن هارون الرشيد، وقد تولى المعتصم الخلافة سنة ثماني عشر ومائتين خلف أخيه المأمون، وكانت الدولة في ذلك الوقت قوية مترامية الأطراف.

وفي السنة التي ولد فيها الإمام سنة ثلاث وعشرين ومائتين فتح المعتصم عمورية، وفي يوم الخميس الثامن عشر من ربيع الأول من سنة سبع وعشرين ومائتين مات أمير المؤمنين المعتصم بن هارون الرشيد، وكان الإمام في ذلك الوقت عنده أربعة سنين.

وكانت خلافة المعتصم زاخرة بالفتوحات الإسلامية وإذلال أعداء الله، مما كان لها الأثر الكبير في إعزاز الأمة الإسلامية.

قال الخطيب: (غزا المعتصم بلاد الروم في سنة ثلاث وعشرين

ومائتين[1] فأنكى نكاية عظيمة في العدو، ونصب على عمورية بالمجانيق، وأقام عليها حتى فتحها ودخلها، فقتل فيها ثلاثين ألفًا، وسبي مثلهم...).

وفي سنة سبع وعشرين ومائتين تولى الخلافة الواثق هارون بن المعتصم، وكانت خلافته خمس سنين، وفي سنة ثنتين وثلاثين ومائتين، مات الواثق، وتولى الخلافة بعده المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بالله، وفي سنة سبع وأربعين ومائتين قُتل الخليفة المتوكل على يدي ولده المنتصر.

وقد تولى محمد المنتصر بن المتوكل الخلافة في سنة سبع وأربعين ومائتين، وفي ذلك الوقت كان عمر الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أربع وعشرين سنة[2].

وفي هذا القدر من الحياة السياسية كفاية، إذا المقصود ذكر هذه الحقبة التي كانت فيها الفتنة، والتي ما تركت بيتًا من بيوت المسلمين إلا دخلته، وهذا ما سنوضحه في المبحث التالي إن شاء الله.

---

(١) سنة مولد الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) انظر (البداية والنهاية: ١٠/٢٥٨) لابن كثير.

ثالثًا: حالة الأمة الدينية في حياة الإمام:

كانت الأمة الإسلامية تعيش في رغد وهدوء واستقرار، وكانت الأمم المجاورة تحسدها على النعيم والعلو الدائم التي كانت فيه، وكان مما يميز الأمة قبل ولاية المأمون الخلافة؛ نشر العلم وطلب الرحلة في تحصيله، وكانت الأمة آنذاك في الأوج من الناحية العلمية، فقد ازدهرت العلوم الشعرية من عقيدة، وفقه، وتاريخ، وأصول... إلخ من العلوم الشرعية، ولكن كان هناك بعض من الفرق والمذاهب، والتي قيض الله عز وجل لها من ينقضها ويهدم عروشها، فمن أخطر هذه الفرق؛ الجهمية والتي ظهرت على يد البائس الجهم بن صفوان، وقد تصدى له العلماء، ومات مقتولا أهلكه الله.

مات الخليفة العادل هارون الرشيد، وتولى بعده الخلافة المأمون بن هارون الرشيد، بعد خلع الأمين بن هارون الرشيد، وكان ذلك في سنة ست وتسعين ومائة (١٩٦هـ)، وكان المأمون قد تصادق مع بعض دعاة

المعتزلة، وذلك قبل أن يكون خليفة الدولة العباسية، فقرب إليه رجلا يقال له: بشر بن غياث المريسي ذا أصل يهودي، وكان هذا الرجل قد نظر في صفات الله بالفكر الجهمي، فغلب عليه وقال به، وانسلخ من دواعي التقوى والإيمان، وأغلف القول بخلف القرآن، ودعا إليه حتى كان عين الجهمية في عصره، وكان عالمهم المقتدي بأمره، فمقته أهل العلم وناظروه، وحكم عليه بعضهم بالفسق وكفروه.(١)

واختلط الخليفة المأمون أيضًا برجل يقال له: أحمد بن أبي دؤاد الإيادي، وكان من أشد المتعصبين للمذهب الاعتزالي، قربه المأمون، واتخذه صاحبا، ومن شدة تعلق المأمون به؛ عظمة الشعراء نفاقًا للخليفة(٢).

ومن شد الترابط بين المعتزلي أحمد بن أبي دؤاد والخليفة المأمون، أشار

(١) البدعة الكبرى محنة الإمام في صفة الكلام (٢٥).

(٢) المصدر السابق (٢٥).

على الخليفة أن يكتب على سترة الكعبة: (ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم)، بدلا من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1]، فأراد أن يحرف كلام الله لنفي وصفه بالسمع والبصر، تمامًا، كما قال الجهم بن صفوان عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، قال: لو وجدت السبيل إلى أن أحكها من المصحف لفعلت[2].

وكذلك قرب المأمون إليه رجالاً من المعتزلة، حتى راودوه على مذهبهم؛ فأقنعوه، وأصبح ألعوبة في أيديهم، ثم نصحوه أن يأخذ على أيدي الناس، ويلزمهم أن يقولوا بقولهم، توحيداً وإرضاء لربهم، وإصلاحًا لدينهم على زعمهم، وقد وقع المأمون بن هارون في شباكهم، وفرض على الناس بدعة جديدة لم تكن في أسلافهم، وهي البدعة الكبرى؛

---

(١) الشورى/١١

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (١/ ١٤٠).

بدعة خلق القرآن[١].

وكانت هذه المحنة في سنة ثمان عشر ومائتين (٢١٨هـ)، وأوذي فيها خلق كثير واستمرت المحنة، والتي أوذي فيها الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ كثيرًا، وثبته الله عز وجل نُصرة لهذه الأمة، فلله الحمد والمنة أن قيض لنا هذا الإمام المبارك لصد هذه الفتنة العمياء الصماء.

واستمرت المحنة في زمن المأمون حتى مات، واستفحلت في زمن المعتصم، وضُرب الإمام أحمد بالسياط؛ ثم مات المعتصم، واستمرت المحنة بعده في ولاية الواثق بن المعتصم، وظل الواثق يُلزم الناس ببدعة خلق القرآن، مشدداً الامتحان على الخاصة والعامة، حتى حدثت مناظرة علمية في مجلسه بين عالم من علماء السنة وقاضي قضاة البدعة أحمد بن أبي

(١) البدعة الكبرى محنة الإمام في صفة الكلام (٢٦-٢٧).

دؤاد، يقال إنها كانت سببًا في رفع المحنة[1].

وبفضل الله تعالى رفعت المحنة، وكرم الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وصارت له الإمامة في الدين بالصبر واليقين، بعد تثبيت الله تعالى له، والحمد لله رب العالمين، ورفعت هذه المحنة سنة سبع وعشرين ومائتين (٢٢٧هـ) أو بعدها بقليل، وقد كان عمر الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ آنذاك أربع سنين.

وبعد أن رفع الله تعالى هذه المحنة، وانتهت الأحداث المؤلمة من تاريخ الأمة الإسلامية، لم تعد العقيدة على نقائها كما كانت من قبل، بل تشعبت الآراء الكلامية، والفسلفات العقلية في القضايا الغيبية، حتى لوثت النقاء الذي عُرف به مذهب السلف قبل المحنة، فقد كان الواقع يعُج بالفرق والأحزاب والطوائف المتعددة، التي نتجت عن جيل ولد في عصر البدعة،

(١) المصدر السابق (٨٥).

وألف الجرأة على تعطيل السنة، ونفي أوصاف الله عز وجل، ومن نظر في كتب الفرق واختلاف المتكلمين التي أعقبت المحنة؛ وجد فوضى فكرية، وأمراضاً كلامية يصعب استيعابها أو فهم العلة في الخوض فيها[1].

وقد كان عمر الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما مات إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثمان عشر سنة، ولذا فقد يسهل علينا فهم السبب في شدة الإمام على المخالفين، لأنه عاصرهم، ورأى منهم كل بدعة وشر.

---

(١)المصدر السابق (١٠٤).

التعريف بالكتاب

كتاب ابن خزيمة كتاب جليل القدر، كثير النفع، بحث في مسائل عديدة، هي من أصول المسائل عند أهل السنة والجماعة، وكتابه هذا يعد من الكتب المعتمدة عند أهل السنة والجماعة، فطالما نقل أهل العلم منه، وردوا على أهل الأهواء نقلا منه، واسم الكتاب كاملاً: **«كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل»**.

ومن أشهر من نقل عن الإمام بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إمام الأمة المجدد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد نقل عنه في غالب كتبه، ك(درء التعارض)، (وبيان تلبيس الجهمية) وهما كتابان عظيمان من كتب شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكفى بنقل شيخ الإسلام عنه دليلا على ثبوت الكتاب وصحة نسبه إليه.

أولا: مسائل الكتاب:

تضمن كتاب الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة مسائل، وهي:

١-الأسماء والصفات: ذكر الإمام عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات وهي أننا نثبت كل ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه، وكل ما أثبته نبيه ﷺ في سنته، من غير تمثيل، أو تشبيه، أو تحريف، أو تعطيل، وأكد الإمام كثيرا في كتابه على هذه القاعدة.

وذكر جملة من الصفات الثابتة لله تعالى، كالنفس، والعلم، والوجه، والعين، والسمع، والرؤية، والبصر، واليد، والكف، والأصابع، والرجل، والقدم، والعلو، والاستواء، والنزول، والكلام.

وقد ذكر الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدة قواعد في فهم الأسماء والصفات، وتنزيه الله تعالى عن التشبيه بخلقه، فذكر القدر الفاروق والقدر والمشترك بين الخالق والمخلوق، وذكر أنواع الإضافات لله تعالى من حيث كونها: إضافة صفة أو إضافة مخلوق.

٢-الرؤية: ذكر الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب أدلة كثير في ثبوت رؤية الله تعالى يوم القيامة، ثم ذكر مسألة رؤية النبي ﷺ رؤية النبي ربه يوم

ليلة المعراج.

٣-الشفاعة: ذكر الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أبواب الشفاعة، عقب الانتهاء من أبواب الأسماء والصفات، وذكر أنواع الشفاعات التي خصها الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ، وغيره من الأنبياء، والصالحون من غير الأنبياء، ثم بين المقام المحمود الذي وعد الله نبيه إياه ما هو؟

٤-مسائل الإيمان والكفر ومرتكب الكبيرة: بين فيها معتقد أهل السنة والجماعة في معنى الإيمان، وأنه قول وعمل واعتقاد، وذكر أن مرتكب الكبيرة عند أهل السنة والجماعة من أهل التوحيد؛ يخرج من النار بعد أن يعذبه الله، أو قد يعفوا عنه ابتداءً رحمة به.

٥-عذاب القبر: ثم تكلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أمر من أمور البرزخ، وهو القبر، وأثبت بالدليل من الكتاب والسنة؛ أن عذاب القبر حق لا مرية فيه.

٦-العرش: ثم ذكر بعد ذلك، ما ثبت وصح عن وجود العرش، وأن الله تعالى مستوٍ عليه.

ثانيًا: الفرق التي تعرض لها الإمام.

تعرض الإمام بالرد على الجهمية، والمعتزلة، والخوارج، والمرجئة.

١-الجهمية:

أتباع جهم بن صفوان أبي محرز السمرقندي، وكان في زمن صغار التابعين، مولى لقبيلة من أسد، كان كاتبًا للحارث بن سريج بخرسان، وهو من ترمذ، وظهرت بدعته هناك، وقتله سلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية سنة (١٢٨هـ)، ومن أشهر مقالاتهم، نفي صفات الله تعالى، والقول بفناء الجنة والنار، وإنكار الغيبات[1].

٢-المعتزلة:

هم أتباع واصل بن عطاء، وكان من طلاب الحسن البصري، وقد

---

(١) (مقالات الإسلاميين للأشعري/ ١٦٤)، و(الملل والنحل للشهرستاني/ ١٠٠) و(كيد الشيطان لنفسه لابن الجوزي/ ١٥٣)، و(عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني: ١/ ٢٩٧)، و(الفرق بين الفرق للبغدادي/ ١٥٨).

دخل سائل يسأل الحسن عن حكم مرتكب الكبيرة، فانبرى واصل بن عطاء، وأجاب الرجل، فقال: هو بين الإيمان والكفر، فهو فاسق، وهو في الآخرة مخلد في النار، ثم اعتزل المجلس، من أشهر مقالاتهم: القول بنفي الصفات عن الله تعالى، والقول بالقدر، ونفي الغيبيات، ونفي الشفاعة، وخلود مرتكب الكبيرة في النار[1].

٣-الخوارج:

الخوارج هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهو اسم لكل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، سواءُ كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان، وأشهر مقالاتهم: كفر مرتكب الكبيرة،

(١) (مقالات الإسلاميين للأشعري/ ٩٤)، و(الملل والنحل للشهرستاني/ ٥٥) و(كيد الشيطان لنفسه لابن الجوزي/ ١١٣)، و(عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني: ١/ ٣٤٤)، و(الفرق بين الفرق للبغدادي/ ٩٠).

وخلوده في النار، وأن كل عمل من أعمال الدين هو الإيمان، فإن زال هذا العمل زال الإسلام بأسره والقول في الصحابة بالسلب والطعن، ينكرون الشفاعة، يرون جواز الخروج على الحاكم المسلم لمجرد المعصية[1].

٤-المرجئة:

المرجئة هم الذين يؤخرون العمل عن الإيمان، ويقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، ومن أشهر مقالاتهم: لا يضر مع الإيمان معصية، والإيمان لا يزيد ولا ينقص ويمنعون الاستثناء في الإيمان، وبعضهم يرى فناء الجنة والنار[2].

---

(١) (مقالات الإسلاميين للأشعري/ ٥٩)، و(الملل والنحل للشهرستاني/ ١٣٤) و(كيد الشيطان لنفسه لابن الجوزي/ ١٣٠)، و(عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني: ١/ ٥٧)، و(الفرق بين الفرق للبغدادي/ ٦١).

(٢) (مقالات الإسلاميين للأشعري/ ٨١)، و(الملل والنحل للشهرستاني/ ١٦٤) و(كيد الشيطان لنفسه لابن الجوزي/ ١٤٦)، و(عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني: ١/ ٢٩٧)، و(الفرق بين الفرق للبغدادي/ ١٥١).

وقد ذكر الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فرقتين، إحداهما ليست من فرق الإسلام، والثانية اسم لعدة فرق، اشتركت في مقالات واحدة.

فالفرقة التي ليست من الإسلام في شيء، هي المجوس، وهم عباد النار، القائلين بوجود خالقين، وقد تشبهت المعتزلة القدرية بهم، في نفيهم القدر.

والفرقة الأخرى، هي المعطلة، وهو اسم يطلق على كل من عطل صفات الله تعالى كلها أو بعضها، فيشمل الجهمية، والمعتزلة... إلى غير ذلك من الفرق التي نفت صفات الرب سبحانه وتعالى.

ثالثًا: فوائد ومآخذ الكتاب:

فوائد الكتاب:

١-وضوح منهج السلف في استنباط مسائل الاعتقاد، حيث أنهم يستدلون أولًا بالكتاب، ثم بالسنة، ثم بفهم السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

٢-مزج الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين الاستدلال النقلي والاستدلال العقلي، بما

لا يخل بمكانة النقل، ولا يرفع من شأن العقل.

٣-كثرة الاستدلال لمسائل الكتاب.

٤-احتواء الكتاب على قواعد جليلة لفهم منهج السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في بعض مسائل الاعتقاد.

٥-تبين أنواع الشفاعات للنبي ﷺ.

٦-عرض رائق ومميز لمنهج أهل السنة في الإيمان، وكيفية الربط بين أحاديث العفو عن الذنوب، وبين أحاديث وجوب العمل.

٧-اشتمل الكتاب على ذكر مساوئ بعض الفرق والرد عليهم، كالجهمية، والمعتزلة، والخوارج، والمرجئة.

٨-ذكر الإمام عدة إجماعات في الكتاب.

٩-الكتاب مرجع حديثي لمن يبحث عن الأسانيد.

قواعد هامة لفهم الأسماء والصافات

مما لا شك فيه أنه ينبغي لطالب العلم معرفة قواعد وأصول كل علم وباب يدرسه، ولأن كتاب الوحيد لابن خزيمة أصل في التوحيد بالأسماء والصفات، فقد أردت أن أذكر بعضًا من قواعد السلف في فهم الأسماء والصفات، والله المستعان.

١- الكتاب والسنة هما المصدر الوحيد لأدلة الأسماء والصفات.

٢- وجوب تقديم السمع على العقل في معرفة أسماء الله وصفاته.

٣- الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف، لاسيما نصوص الصفات؛ حيث لا مجال للرأي فيها.

٤- ظاهر النصوص: ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني، وهو يختلف بحسب السياق وما يضاف إليه الكلام.

٥- السلف يثبتون المعنى ويفوضون الكيفية، مع ثبوت كيفية لله تعالى هو سبحانه وتعالى يعلمها.

٦- دلالة أسماء الله تعالى على الذات والصفة مطابقة، وعلى إحداهما تضمن، وعلى لازم خارج عنها لزوم.

٧- أسماء الله كلها حسنى.

٨- أسماء الله تعالى مترادفة في الدلالة على الذات، ومتباينة ي الدلالة على الصفات.

٩- أسماء الله وصفاته توقيفية، لا مجال للعقل فيها.

١٠- أسماء الله الكلية غير محصورة بعدد معين.

١١- لا يجوز اشتقاق أسماء الله من الأفعال والصفات.

١٢- الاستحسان العقلي لا يدخل في الأسماء والصفات.

١٣- باب الصفات أوسع من باب الأسماء.

١٤- صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين:

- ثبوتيه.
- وسلبية.

١٥- صفات الله الثبوتية تنقسم إلى ثلاث أقسام:

- ذاتية. ● فعلية.
- خبرية.

١٦- النفي في حق الله تعالى في القرآن والسنة على ثلاثة ضروب:

- لبيان عموم كماله.
- لنفي ما ادعاه في حقه الكاذبون.
- لدفع توهم نقص من كماله.

١٧- النفي المحض عدم.

١٨- نفي الصفة يستلزم ثبوت الضد[1].

١٩- أهل السنة والجماعة يفصلون المثبت ويجملون المنفي.

٢٠- نؤمن بكل اسم وصفة في كتاب الله وسنة نبيه من غير تمثيل، ولا

---

(١) بشرط أن يكون الضد هذا قد ثبت بدليل ثبوتي، قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس كل ما نفى عن الله عز وجل وجب أن يوقع عليه ضده. اهـ (الفصل في الملل والنحل: ٢/٢٨٩:٢٩٠).

تكييف ولا تحريف ولا تعطيل.

٢١- لا يُضرب لله القياس.

٢٢-الأقيسة ثلاثة:

- قياس التمثيل
- قياس الشمول
- قياس الأولى.

الأولى والثاني حرام في حق الله تعالى، والثالث جائز.

٢٣- التأويل له ثلاثة معاني.

- تأويل بمعنى التصديق للخبر والتنفيذ للأمر.
- تأويل بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره بقرينة صحيحة، وهو التفسير.
- تأويل بمعنى صرف اللفظ عن ظاهرة بدون قرينة صحيحة، وهو التحريف.

٢٤- الفرق بين النص والظاهر:

النص: له معنى واحد لا خلاف فيه.

الظاهر: له راجح ومرجوح، والمرجوح ضعيف.

٢٥- إثبات اللازم لا ينفي الأصل، وثبوت الأصل لا يستلزم ثبوت اللازم.

- إضافة ذات (صفة لموصوف).
- إضافة تشريف (مخلوق للخلاق).

٢٦- الضدين لا يجتمعان ويرتفعان، والنقيض لا يجتمعان ولا يرتفعان.

٢٧- الإلحاد في الأسماء والصفات أربعة أنواع:

- إنكار شيئًا منها أو مما دلت عليه الصفة.
- جعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين.
- أن يسمى الله تعالى بما لم يسمي به نفسه.
- أن يشتق من أسمائه أسماء الأصنام.

٢٨- أفعال الله أولية[١].

٢٩- ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك وقدر فارق، فمن نفى القدر المشترك فقد عطل، ومن نفى القدر الفارق فقد مثل.

٣٠- المشاركة في الاسم لا تقتضي المشاركة في المسمى.

٣١- انتفاء الدليل المعين لا يستلزم انتفاء المدلول.

٣٢- القول في بعض الصفات كالقول في بعض.

٣٣- القول في الصفات كالقول في الذات.

٣٤- المفوض أشر من المؤول.

٣٥- التفويض اثنين:

- كلي.
- جزئي.

٣٦- المحرف بالتأويل أقبح من المعطل والممثل.

---

(١) وقد يطلق عليها قديمة الأصل، وأولية أولى

٣٧- لا مجاز في الكتاب السنة.

٣٨- لا فرق بين المتواتر والآحاد في مسائل الاعتقاد، ولكن يشترط الصحة.

٣٩- لا يلزم السمع أذن، ولا البصر عين، ولا الكلام فم، ولا النزول حركة، ولا البينية مماسه.

عملي في الكتاب

١-إعادة صف الكتاب، وقد وجدته على المكتبة الشاملة مشكولاً، كاملاً بفضل الله تعالى بنسخة (الزهيري)، وقد قابلته على نسخة (الرياشي).

٢- وضعت أبواب الكتاب تحت ترقيم النسخ المتوفرة لدي، حتى يتسنى للمحاضر أو القارئ معرفة رقم الباب في نسخته أيا كانت هي، وقد رقمت النسخ الآتية:

- نسخة الرياشي، وهي للشيخ أبي مالك أحمد بن علي بن مثني القفيلي الرياشي، الطبعة الثالثة ١٤٣١/ ٢٠١٠، مكتبة عباد الرحمن، ومكتبة العلوم والحكم، ورمزت لها برمز (ر).
- نسخة الحديث، وهي للشيخ عبد الله بن عامر، لا يوجد رقم الطبعة، دار الحديث، ورمزت لها برمز (ح).
- نسخة الشهوان، وهي للشيخ عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان،

الطبعة الأولى ١٤٠٨/ ١٩٨٨، دار الرشد للنشر، ورمزت لها برمز (ش).

- نسخة الزهيري، وهي للشيخ سمير أمين الزهيري، الطبعة الثالثة ١٤٣٢/ ٢٠١١، دار المغني الرياض، ورمزت لها برمز (ز).
- نسخة يحيى، وهي للشيخ يحيى بن محمد سوس الأزهري، الطبعة الأولى ١٤٢٨/ ٢٠٠٧، دار ابن رجب، ودار الفؤاد، ورمزت لها برمز (ي).

٣- حذفت الأسانيد من الكتاب، إلا عند الكلام في حديث الصورة، ورؤية النبي لربة عز وجل، وأحد أبواب الشفاعات، وذلك لأن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحتج بذكر الأسانيد في تلك المواضع، فأحببت الإبقاء عليها، لفهم مراد الإمام، ولتتم الفائدة، وسيتضح ذلك في ثنايا الكتاب.

٤- حذفت المكرر من الحديث، وأبقيت الحديث الشامل الوافي في الألفاظ، وقد أكرر بعض الأحاديث للفظة جديدة عن سابقها، أو لتوضيح ما أبهم.

٥- قمت بالتعليق على بعض مسائل الكتاب.

٦- قمت بوضع مقدمة للكتاب مختصرة، ذكرت فيها سيرة الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومباحث الكتاب، وفوائده والمآخذ التي أخذت عليه.

٧- قمت بالتعريف بالفرق التي تعرض لها الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالرد، تعريفًا مختصرًا.

٨- قمت بعمل فهرس لموضوعات الكتاب.

أبو سفيان محمود بن أحمد الشاملي

مصر/ كفر الشيخ

١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٠١٠٠٥٨٧٨٠٥١

al3elm.nour@gmail.com

بِسْمِ اللهِ الْرَّحْمَنِ الْرَّحِيمِ

[ر/٣٩- ح/٩- ش(١/٧)- ز(١/٥)- ي/٢٢]

الْحَمْدُ للهِ الْعَلِّي العَظِيمِ، السَّمِيعِ البَصِيرِ، الحَكِيمِ، الحَلِيمِ، الكَرِيمِ، اللَّطِيفِ الخَبِيرِ، ذِي النِّعَمِ السَّوَابِغِ، والفَضْلِ الوَاسِعِ، والحُجَجِ البَوَالِغِ.

تَعَالى رَبُّنَا عَنْ صِفَاتِ المْحْدُودِينَ(١)، وَتَقَدَّسَ عَنْ شَبَهِ المْخْلُوقِينَ،

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات: إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه وما أثبته النبي ﷺ، ونفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه، وما نفاه النبي ﷺ، من غير تحريف، أو تمثيل، أو تعطيل، أما ما لم يرد فيه نفي أو إثبات ففيه تفصيل.

ولفظ الحد من الألفاظ المجملة التي تحتمل حقًا وباطلًا، وقد ورد ذكر الحد عند السلف بأحد معنيين:

أولًا: الحد بمعنى الكيفية والقدر، فالله تعالى له كيفية ما وقدر ما، لا يعلمها إلا هو، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الأنعام/٩١).

ثانيًا: الحد بمعنى أنه فوق العالم، والخلق أسفل منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الخلق كلهم علموا أنه ليس

=

=

شيء يقع عليه اسم الشيء إلا وله حد وغاية وصفة، وأن لا شيء ليس له حد ولا غاية ولا صفة، فالشيء أبدا موصوف لا محالة، ولا شيء يوصف بلا حد ولا غاية، وقولك -أي بشر المريسي الجهمي-: لا حد له -يعني- أنه لا شيء.

والله تعالى له حد لا يعلمه أحد غيره، ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحده غاية في نفسه، ولكن يؤمن بالحد ويكل علم ذلك إلى الله، ولمكانه أيضا حد، وهو على عرشه فوق سماواته، فهذان حدّان اثنان، وسئل ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بم نعرف ربّنا؟ قال: بأنه على العرش بائنٌ من خلقه، قيل: بحد؟ قال: بحد.اه (نقض الدارمي/٢٣:٢٤)

وقال أبو محمد الدَّشتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٦٦٥هـ): فإن سائلًا سألني، وقال: أُحب أن تجمع ما جاء في إثبات الحد لله تعالى، ويعني بذلك حدٌ لا يعلمه إلا الله، وأما من زعم أن لله عز وجل حدًا يعلمه غيره؛ فهو ضال مضل مبتدع.

فأجبت إلى ذلك، وجمعت في كتابي هذا شيئا يسيرًا من مذهب علماء السلف وأئمتهم، وما رُوِي وصَحَّ عنهم، وما احتجوا في ذلك من الكتاب والسنة، وما ذكروه في كتبهم وتصانيفهم.

منهم: الإمام عبد الله بن المبارك، والإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل، وإسحاق بن

=

وَتَنَزَّهَ عَنْ مَقَالَةِ الْمُعَطِّلِينَ(١).

=

راهويه، وعثمان بن سعيد الدارمي، وأبو عبد الله بن بطة، وأبو إسماعيل الأنصاري، وأبو القاسم بن منده، وإسماعيل بن الفضل الأصبهاني، والقاضي أبو يعلى الفراء...وكل واحد منهم له تصانيف كثيرة، وإمام من أئمة الإسلام، وحافظ من الحفاظ، وعالم من العلماء، وفقيه من الفقهاء، وشيخ من المشايخ، فكلهم من أصحاب الحديث، يعرفون تفسير القرآن العظيم، والأحاديث عن النبي ﷺ وتأويلها.

واحتجوا في إثبات الحد لله عز وجل بنص الكتاب والسنة، وما قالوا في ذلك بالمقاييس والآراء، ولا بأهواء أنفسهم.اهـ (إثبات الحد لله عز وجل/٩٦:١٠٠).

أما الحد الذي هو بمعني الحيز، وأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ محاط بالعرش محدود فيه، فلم يقل بهذا أحد من أهل السنة، وأن تصور هذا؛ سببه الوقوع في التشبيه والتمثيل.

(١) المعطلون: هم الذين عطلوا صفات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ونفوها، فلم يصفوه بشيء وشبهوه بالعدم، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

والتَّعْطِيلُ: التفريغ والإخلاء، وفي تفسير قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾ (الحج/٤٥)، قال ابن عباس: التي تُركت، وقال قتادة: أَعْطَلَهَا أهلُها وتركوها.

=

عَلَا رَبُّنَا فكَانَ فَوْقَ سَبْعِ سَمَوَاتِه عَالِيًا، ثُمَّ عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَى، يَعْلَمُ السِّرَ وَأَخْفَى، وَيَسْمَعُ الكَلَامَ والنَّجْوَى، ولَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَا فِي لُجَجِ البِحَارِ وَلَا فِي الْهَوَاءِ.

=

وفي قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ**﴾ (التكوير/٤) قال أُبيٌّ بن كعب: إذا أهملها أهلها، وقال مجاهد: سُيِّبَتْ وتُرِكت.

والتعطيل في الاصطلاح يتنوع بحسب أقسام التوحيد الثلاثة، فهناك تعطيل في جانب الربوبية، وتعطيل في جانب الألوهية، وتعطيل في جانب الأسماء والصفات.

فالتعطيل في جانب الربوبية: هو إنكار وجود الخالق تعالى، وهو التعطيل المحض.

والتعطيل في جانب الألوهية: هو تعطيل معاملته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد، فتُصرف الأعمالُ إلى غير الله تعالى، أو معه.

والتعطيل في جانب الأسماء والصفات: هو نفي أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وصفاته، أو بعضها، وإنكار قيامها بذات الله تعالى، أو نفي معناها الحقيقي إلى معنى آخر.

(النفي في صفات الله عز وجل لأبي محمد أرزقي بن محمد سُعَيْدَاني، بشيء من التصرف/٩٦:٧٩).

وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ الْقُرْآنَ بِعِلْمِهِ ، وَأَنْشَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ تُرَابٍ بِيَدِهِ، ثُمَّ كَوَّنَهُ بِكَلِمَتِهِ، وَاصْطَفَى رَسُولَهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِخُلَّتِهِ، وَنَادَى كَلِيمَهُ مُوسَى صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ فَقَرَّبَهُ نَجِيًّا، وَكَلَّمَهُ تَكْلِيمًا، وَأَمَرَ نَبِيَّهُ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِصَنْعَةِ الْفُلْكِ عَلَى عَيْنِهِ.

وَخَبَّرَنَا أَنَّ أُنْثَى لَا تَحْمِلُ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ، كَمَا أَعْلَمَنَا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، وَحَذَّرَ عِبَادَهُ نَفْسَهُ الَّتِي لَا تُشْبِهُ أَنْفُسَ الْمَخْلُوقِينَ.

أَحْمَدُهُ عَلَى مَا مَنَّ عَلَيَّ مِنَ الْإِيمَانِ بِجَمِيعِ صِفَاتِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ حَمْدَ شَاكِرٍ لِنِعْمَائِهِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا أَحَدٌ سِوَاهُ.

وَأَشْكُرُهُ شُكْرَ مُقِرٍّ مُصَدِّقٍ بِحُسْنِ آلَائِهِ الَّتِي لَا يَقِفُ عَلَى كَثْرَتِهَا غَيْرُهُ جَلَّ وَعَلَا، وَأُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مُعْتَرِفٍ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، رَاغِبٍ فِي جَزِيلِ ثَوَابِهِ وَعَظِيمِ ذُخْرِهِ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ، رَاهِبٍ وَجِلٍ خَائِفٍ مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ وَخَطَايَاهُ وَحَوْبَاتِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِلَهًا وَاحِدًا ، فَرْدًا صَمَدًا ، قَاهِرًا قَادِرا ، رَؤُوفًا رَحِيمًا، لَمْ يَتَخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، وَلَا شَرِيكًا لَهُ فِي مُلْكِهِ، الْعَدْلُ فِي قَضَائِهِ،

الْحَكِيمُ فِي فِعَالِهِ، الْقَائِمُ بِيْنَ خَلْقِهِ بِالْقِسْطِ، الْمُمْتَنُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِه.

بَذَلَ لَهُمُ الْإِحْسَانَ، وَزَيَّنَ فِي قُلُوبِهِم الْإِيمَانَ، وَكَرَّه إِلَيْهِم الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَأَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ الْفُرْقَانَ، وعَلَّمَ الْقُرْآنَ، فَتَمَّتْ نَعْمَاءُ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلَا، وَعَظُمَتْ آلَاؤُه عَلَى الْمُطِيعِينَ لَهُ، فَرَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْمَعْبُودُ مَوْجُودًا، وَالْمَحْمُودُ مُمَجَّدًا.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُه الْمُصْطَفَى وَنَبِيَّهُ الْمُرْتَضَى، اخْتَارَهُ اللهُ لِرِسَالَتِهِ وَمُسْتَودَعِ أَمَانَتِهِ، فَجَعَلَهُ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَخَيْرَ خَلْقِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

أَرْسَلَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، بَعَثَهُ بِالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، فَبَلَّغَ عَنْ اللهِ عَزَّ وَجل حَقَائِقَ الرِّسَالَةِ، وَأَنْقَذَ بِهِ أُمَّتَهُ مِنْ الرَّدَى والضَلَالَةِ، قَامَ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى بِمَا اسْتَرْعَاهُ رَبَّهُ مِنْ حَقِّهِ، واسْتَحْفَظَهُ مَنْ تَنْزِيلِهِ، حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ إِلَى كَرَامَتِهِ وَمَنْزِلَةِ أَهْلِ وِلَايَتِهِ، الَّذِينَ رَضِيَ أَعْمَالَهُمْ حَمِيدًا رَضِيًّا سَعِيدًا كَمَا سَبَقَ لَهُ مِنْ السَّعَادَةِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَالْإِمَامِ الْمُبِينِ قَبْل أَنْ يُنْشِيء اللهُ نِسْمَتَهُ، فَعَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ حَيًّا مَحْمُودًا، وَمَيِّتًا مَفْقُودًا أَفْضَلَ صَلَاةٍ وَأَنْمَاهَا وَأَزْكَاهَا وَأَطْيَبَهَا، وَأَبْقَى اللهُ فِي الْعَالَمِينَ مَحَبَّتَهُ وَفِي الْمُقَرَّبِينَ مَودَّتَهُ، وَجَعَلَ فِي أَعْلَى

عِلِّيِّنَ دَرَجَتَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ أَتَى عَلَيْنَا بُرهَةٌ مِنَ الدَّهْرِ وَأَنَا كَارِهُ الاشْتِغَالَ بِتَصْنِيفِ مَا يَشُوبُهُ شَيءٌ مِنْ جِنْسِ الْكَلَامِ مِنْ الْكُتُبِ[1]، وَكَان أَكْثَر شُغْلِنَا بِتَصْنِيفِ

---

(١) علم الكلام: هو علم معنِيٌّ بالبحث في المسائل الإلهية بطريق العقل وفلسفات اليونان المسماة بالمنطق، وقد حرَّمة بعض أهل العلم، حتى حرم بعضهم بيع كتبهم وشراؤها، وحضَّ الولاة على حرقها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ما ذكر بعض مقالاتهم: وهذا حال أهل الكلام المحدث المبتدع في الإسلام، الذي ذمه سلف الأمة وأئمتها، كمالك، والشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبي يوسف، وزُفَر ابن الهُذيل، والبُوَيطي، والمُزَني، والبخاري، ومسلم، وأبي داود السجستاني، وإبراهيم الحربي، وعبد الرحمن بن القاسم، وعبد الملك بن حبيب، وأبي العباس بن سريج، وأبي حامد الإسفِرَاييني، والمروزي، وأبي يزيد المروزي، والقاضي حسين، وأبي بكر الخلال، وأبي بكر بن عبد العزيز، وأبي عبد الله بن بطة، وأبي القاسم الجُنيد، وسهل بن عبد الله التُّستري، وعمرو بن عثمان المكي، وأبي عبد الله بن خفيف، وأبي عبد الرحمن السُّلمي، ومن لا يُحصى عدده من أئمة الدين وشيوخ الإسلام.اهـ (شرح الأصبهانية/ ٣٦٥:٣٦٩).

=

كُتُبِ الْفِقْهِ الَّتِي هِي خُلُوٌّ مِنْ الْكَلَامِ فِي الْأَقْدَارِ الْمَاضِيَةِ الَّتِي قَدْ كَفَرَ بِهَا كَثِيرٌ مِنْ مُنْتَحِلِي الْإِسْلَامِ، وَفِي صِفَاتِ اللهِ عَزَّ وَجل الَّتِي قَدْ نَفَاهَا وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهَا الْمُعَطِّلُونَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مَنْ الْكُتُبِ الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ كُتُبِ الْفِقْهِ.

وَكُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ مَا يَجْرِي بَيْنِي وَبَيْنَ الْمُنَاظِرِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ فِي جِنْسِ الْكَلَامِ فِي مَجَالِسِنَا، وَيَظْهَرُ لِأَصْحَابِي الَّذِينَ يَحْضُرُونَ الْمَجَالِسَ وَالْمُنَاظَرَةَ مِنْ إِظْهَارِ حَقِّنَا عَلَى بَاطِلِ مُخَالِفِينَا فِي الْمُنَاظَرَةِ؛ كَافٍ عَنْ تَصْنِيفِ الْكُتُبِ عَلَى صِحَّةِ مَذْهَبِنَا وَبُطْلَانِ مَذَاهِبِ الْقَوْمِ، وَغُنْيَةٍ عَنْ الْإِكْثَارِ فِي ذَلِكَ، فَلَمَّا حَدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا حَدَثَ، مِمَّا كَانَ اللهُ قَدْ قَضَاهُ وَقَدَّرَ كَوْنَهُ، مِمَّا لَا مَحِيصَ لِأَحَدٍ وَلَا مَوْئِلَ عَمَّا قَضَى اللهُ كَوْنَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ قَدْ سَطَرَهُ مِنْ حَتْمِ قَضَائِهِ، فَمُنِعْنَا عَنِ الظُّهُورِ وَنَشْرِ الْعِلْمِ وَتَعْلِيمِ مُقْتَبِسِ الْعِلْمِ بَعْضَ مَا كَانَ اللهُ قَدْ أَوْدَعَنَا مِنْ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ، كُنْتُ أَسْمَعُ مِنْ بَعْضِ أَحْدَاثِ

=

وقد صنف في ذم هذا العلم وأهلهِ شيخُ الإسلام الهروي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابًا سماه (ذم الكلام وأهله)، وكذلك السيوطي (القول المشرق في تحريم المنطق) نقل فيه تحريم أهل العلم لهذا الفن، كابن الصلاح والنووي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ.

طُلَّابِ الْعِلْمِ وَالْحَدِيثِ مِمَّنْ لَعَلَّهُ كَانَ يَحْضُرُ بَعْضَ مَجَالِسَ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالضَّلَالَةِ مِنْ الْجَهْمِيَّةِ الْمُعَطِّلَةِ، وَالْقَدَرِيَّةِ الْمُعْتَزِلَةِ مَا تَخَوفْتُ أَنْ يَمِيلَ بَعْضُهُمْ عَنْ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ مِنْ الْقَوْلِ بِالْبُهْتِ وَالضَّلَالِ فِي هَذَيْنِ الْجِنْسَيْنِ مِنْ الْعِلْمِ.

فَاحْتَسَبْتُ فِي تَصْنِيفِ كِتَابٍ يَجْمَعُ هَذَيْنِ الْجِنْسَيْنِ مِنْ الْعِلْمِ بِإِثْبَاتِ الْقَوْلِ بِالْقَضَاءِ السَّابِقِ وَالْمَقَادِيرِ النَّافِذَةِ قَبْلَ حُدُوثِ كَسْبِ الْعِبَادِ، وَالإِيمَانِ بِجَمِيعِ صِفَاتِ الرَّحْمَنِ الْخَالِقِ جَلَّ وَعَلا، مِمَّا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، الَّذِي ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[1]، وَبِمَا صَحَّ وَثَبَتَ عَنْ نَبِيِّنَا بِالأَسَانِيدِ الثَّابِتَةِ الصَّحِيحَةِ بِنَقْلِ أَهْلِ الْعَدَالَةِ مَوْصُولًا إِلَيْهِ ﷺ، لِيَعْلَمَ النَّاظِرُ فِي كِتَابِنَا هَذَا مِمَّنْ وَفَقَهُ اللهُ تَعَالَى لِإِدْرَاكِ الْحَقِّ وَالصَوَابِ، وَمَنَّ عَلَيْهِ بِالتَّوْفِيقِ لِمَا يُحِبُ وَيَرْضَى صِحَّةَ مَذْهَبِ أَهْلِ الْآثَارِ فِي هَذَيْنِ الْجِنْسَيْنِ مِنْ الْعِلْمِ، وَبُطْلَانِ مَذَاهِب أَهْلِ الأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ الَّذِينَ هُمْ فِي رَيْبِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ يَعْمَهُونَ.

---

(١) فصلت/٤٢

وَباللهِ ثِقَتِي وَإِيَّاهُ أَسْتَرْشِدُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قِوَّةَ إِلَّا باللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وقَدْ بَدَأْتُ [**كِتَابَ الْقَدَرِ**] فَأَمْلَيْتُهُ، وَهَذَا [**كِتَابُ التَّوْحِيدِ**].

فَأَوَّلُ مَا نَبْدَأُ بِهِ مِنْ ذِكْرِ صِفَاتِ خَالِقِنَا جَلَّ وَعَلَا فِي كِتَابِنَا هَذَا:

[ر/٤٣- ح/١٣- ش(١/١١)- ز(١/١١)- ي/٢٥]

ذِكْر نَفْسِهِ جَلَّ رَبُّنَا عَنْ أَنْ تَكُونَ نَفْسُهُ كَنَفْسِ خَلْقِهِ وَعَزَّ أَنْ يَكُونَ عَدَمًا لا نَفْسَ لَهُ.

قَالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿**وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾[١].

فَأَعْلَمَنَا رَبُّنَا: أَنَّ لَهُ نَفْسًا كَتَبَ عَلَيْهَا الرَّحْمَةَ، أَيْ لِيَرْحم بِهَا مَنْ عَمِلَ سُوءً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ، عَلَى مَا دَلَّ سِيَاقُ هَذِهِ الْآيَةِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿**أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[٢].

وَقَالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ لِكَلِيمِهِ مُوسَى: ﴿**ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى**

---

(١) الأنعام/٥٤

(٢) الأنعام/٥٤

(٤٠) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[١]، فَثَبَّتَ اللهُ أَنَّ لَهُ نَفْسًا اِصطَنَعَ لَهَا كَلِيمَهُ مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: **﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾**[٢]، فَثَبَّتَ اللهُ أَيْضًا فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ لَهُ نَفْسًا.

وَقَالَ رُوحُ اللهِ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ مُخَاطِبًا رَبَّهُ: **﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾**[٣]، فَرُوحُ اللهِ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَعْلَمُ أَنَّ لِمَعْبُودِهِ نَفْسًا.

---

(١) طه/ ٤٠:٤١

(٢) آل عمران/ ٣٠

(٣) المائدة/ ١١٦

[ر/٤٤-ح/١٤-ش(١/١٣)-ز(١/١٢)-ي/٢٦]

بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ مِنْ خَبَرِ النَّبِيِّ ﷺ فِي إِثْبَاتِ النَّفْسِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مِثْلِ مُوَافَقَةِ التَّنْزِيلِ الَّذِي بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ مَسْطُورٌ وَفِي الْمَحَارِيبِ وَالْمَسَاجِدِ وَالْبُيُوتَ وَالسِّكَكِ مَقْرُوءٌ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَقُولُ اللَّهُ: **"أَنَا مَعَ عَبْدِي حِينَ يَذْكُرُنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ"**.(١)،(٢)

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (٧٤٠٥)، مسلم (٢٦٧٥).

(٢) فائدة: قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في التعليق على حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **"أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً"**: اشتهر عند المتأخرين من علماء الكلام -خلافًا للسلف- تأويل هذه الصفات المذكورة في هذا الحديث من (النفس) و (التقرب)...وما ذلك إلا لضيق عطنهم، وكثرة تأثرهم بشبهات =

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ خَرَجَ إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ وَجُوَيْرِيَةُ جَالِسَةٌ فِي الْمَسْجِدِ فَرَجَعَ حِينَ تَعَالَى النَّهَارُ، قَالَ: "**لَمْ تَزَالِي جَالِسَةً بَعْدِي؟**" قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: "**قَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِهِنَّ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ، وَرِضَى نَفْسِهِ، وَزِنَةَ**

=

المعتزلة وأمثالهم من أهل الأهواء والبدع، فلا يكاد أحدهم يطرق سمعه هذه الصفات إلا كان السابق إلى قلوبهم أنها كصفات المخلوقات، فيقعون في التشبيه، ثم يفرون منه إلى التأويل ابتغاء التنزيه بزعمهم.

ولو أنهم تلقوها حين سماعها مستحضرين قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ (الشورى/١١) لما ركنوا إلى التأويل، ولآمنوا بحقائقها على ما يليق به تعالى، شأنهم في ذلك شأنهم في إيمانهم بصفتي السمع والبصر وغيرهما من صفاته عز وجل، مع تنزيهه عن مشابهته للحوادث، لو فعلوا ذلك هنا لاستراحوا وأراحوا، ولنجوا من تناقضهم في إيمانهم بربهم وصفاته، فاللهم هداك، وراجع إن شئت التوسع في هذا كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.اهـ (موسوعة الألباني في العقيدة:٦/٢٨٢-نقلًا من التعليق على الترغيب والترهيب:٢/٦١٠).

عَرْشِهِ".[(١)]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "**لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ عَلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ: أَنَّ رَحْمَتِي نَالَتْ غَضَبِي**".[(٢)]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَثْبَتَ فِي آيٍ مِنْ كِتَابِهِ أَنَّ لَهُ نَفْسًا، وَكَذَلِكَ قَدْ بَيَّنَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ أَنَّ لَهُ نَفْسًا، كَمَا أَثْبَتَ النَّفْسَ فِي كِتَابِهِ.[(٣)]

---

(١) **صحيح**: مسلم (٢٧٢٦).

(٢) **متفق عليه**: البخاري (٣١٩٤)، مسلم (٢٧٥١).

(٣) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: يراد بنفس الشيء: ذاتُه وعينُه، كما يقال: رأيت زيدًا نفسه وعينه، وقد قال تعالى: ﴿**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**﴾ (المائدة/١١٦)، وقال: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ (الأنعام/٥٤)، وقال تعالى: ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ**﴾ (آل عمران/٢٨).

وفي الحديث الصحيح أنه قال لأم المؤمنين: "**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ لَوْ وُزِنَ بِمَا قُلْتِيهِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ رِضَى نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ**"، وفي الحديث الصحيح الإلهي عن النبي ﷺ: "**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ،**

=

وَكَفَرَتُ الْجَهْمِيَّةُ بِهَذِهِ الْآيِ وَهَذِهِ السُّنَنِ، وَزَعَمَ بَعْضُ جَهَلَتِهِمْ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا أَضَافَ النَّفْسَ إِلَيْهِ عَلَى مَعْنَى إِضَافَةِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، وَزَعَمَ: أَنَّ نَفْسَهُ غَيْرُهُ، كَمَا أَنَّ خَلْقَهُ غَيْرُهُ، وَهَذَا لَا يَتَوَهَّمُهُ ذُو لُبٍّ(١) وَعِلْمٍ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ.

قَدْ أَعْلَمَ اللَّهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ أَنَّهُ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ، أَفَيَتَوَهَّمُ مُسْلِمٌ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ عَلَى غَيْرِهِ الرَّحْمَةَ؟ وَحَذَّرَ اللَّهُ الْعِبَادَ نَفْسَهُ، أَفَيَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَّ اللَّهَ حَذَّرَ الْعِبَادَ غَيْرَهُ؟ أَوَ يَتَأَوَّلَ قَوْلَهُ لِكَلِيمِهِ مُوسَى:

=

ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ".

فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء: الله نفسه التي هي ذاته المتصفة بصفاته، ليس المراد بها ذاتا منفكة عن الصفات، ولا المراد بها صفة للذات وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات، كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات، وكلا القولين خطأ.اهـ (الفتاوى: جـ٩/١٧٦).

(١) اللُّبُ: العقل الخالص من شوائب الأوهام، أو العقل الذي يستبين الحقائق بسرعة وفطنة، ويستخرج لطائف المعاني من مكانها ببراعة، وحسن تصرف. (التفسير الوسيط:١/ ٢٩٤).

﴿**وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**﴾[1] فيَقُولُ مَعْنَاهُ: وَاصْطَنَعْتُكَ لِغَيْرِي مِنَ المخلُوقِ أَوْ يَقُولَ: أَرَادَ رُوحَ اللَّهِ بِقَوْلِهِ: ﴿**وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**﴾[2] أَرَادَ وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي غَيْرِكَ؟ هَذَا لَا يَتَوَهَّمُهُ مُسْلِمٌ، وَلَا يَقُولُهُ إِلَّا مُعَطِّلٌ كَافِرٌ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**الْتَقَى آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَنْتَ الَّذِي أَشْقَيْتَ النَّاسَ وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ: قال آدَمُ لِمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: أَنْتَ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَاصْطَنَعَكَ لِنَفْسِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ التَّوْرَاةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَهَلْ وَجَدْتَهُ كَتَبَهُ لِي قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**".[3]

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "**إِنِّي حَرَّمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَى عِبَادِي فَلَا تَظَالَمُوا، كُلُّ بَنِي آدَمَ**

---

(١) طه/٤١

(٢) المائدة/١١٦

(٣) **متفق عليه**: البخاري (٤٧٣٦)، مسلم (٢٦٥٢).

يُخْطِئُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ وَلَا أُبَالِي"، وَقَالَ: "**يَا بَنِي آدَمَ كُلُّكُمْ كَانَ ضَالًّا إِلَّا مَنْ هَدَيْتُ، وَكُلُّكُمْ كَانَ جَائِعًا إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُ**".[1]

---

(١) **صحيح**: مسلم (٢٥٧٧).

[ر/٥٠- ح/١٧- ش(٢٢/١)- ز(٢٤/١)- ي/٣٢]

بَابُ ذِكْرِ إِثْبَاتِ الْعِلْمِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

تبَارَكَتْ أَسْمَاؤُهُ وَجَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ﷺ، الَّذِي يُقْرَأُ فِي الْمَحَارِيبِ وَالْكَتَاتِيبِ، مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ مِنْ عِلْمِ الْعَامِّ، لَا بِنَقْلِ الْأَخْبَارِ الَّتِي هِيَ مِنْ نَقْلِ عِلْمِ الْخَاصِّ، ضِدَّ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ الْمُعَطِّلَةِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ تَشَبُّهًا بِالْيَهُودِ، يُنْكِرُونَ أَنَّ لِلَّهِ عِلْمًا، يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَالِمُ، وَيُنْكِرُونَ أَنَّ لِلَّهِ عِلْمًا مُضَافًا إِلَيْهِ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ.

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ: ﴿**لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ**﴾[1]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ**﴾[2].

---

(١) النساء/١٦٦

(٢) هود/١٤

فَأَعْلَمَنَا اللَّهُ أَنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ بِعِلْمِهِ، وَخَبَّرَنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ أُنْثَى لَا تَحْمِلُ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ، فَأَضَافَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا إِلَى نَفْسِهِ الْعِلْمَ، الَّذِي خَبَّرَنَا أَنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ بِعِلْمِهِ، وَأَنَّ أُنْثَى لَا تَحْمِلُ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ[1].

فَكَفَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ، وَأَنْكَرَتْ أَنْ يَكُونَ لِخَالِقِنَا عِلْمٌ مُضَافًا إِلَيْهِ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الطَّاعِنُونَ فِي عِلْمِ اللَّهِ عُلُوًّا كَبِيرًا.

فَيُقَالُ لَهُمْ: خَبِّرُونَا عَمَّنْ هُوَ عَالِمٌ بِالْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، أَلَهُ عِلْمٌ أَمْ لَا؟

فَإِنْ قَالَ: اللَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَالنَّجْوَى وَأَخْفَى، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

قِيلَ لَهُ: فَمَنْ هُوَ عَالِمٌ بِالسِّرِّ وَالنَّجْوَى وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، أَلَهُ عِلْمٌ أَمْ لَا عِلْمَ لَهُ؟ فَلَا جَوَابَ لَهُمْ لِهَذَا السُّؤَالِ إِلَّا الْهَرَبُ: ﴿**فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[2]،[3]

---

(١) قال تعالى: ﴿**وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ**﴾ (فاطر/١١).

(٢) البقرة/٢٥٨

(٣) دليل صفة العلم من السنة: حديث الاستخارة الذي رواه البخاري (١١٢٦) بسنده عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة =

[ر/٥٠- ح/١٨- ش(١/٢٤)- ز(١/٢٧)- ي/٣٣]

بَابُ ذِكْرِ إِثْبَاتِ وَجْهِ اللَّهِ.

الَّذِي وَصَفَهُ بِالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾(١)، وَنَفَى عَنْهُ الْهَلَاكَ؛ إِذَا أَهْلَكَ اللَّهُ مَا قَدْ قَضَى عَلَيْهِ الْهَلَاكُ، مِمَّا قَدْ خَلَقَهُ اللَّهُ لِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ، جَلَّ رَبُّنَا عَنْ أَنْ يَهْلِكَ شَيْءٌ مِنْهُ مِمَّا هُوَ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ.

=

في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: "**إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ؛ فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ؛ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي**"، قال: "**وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ**".

(١) الرحمن/٢٧

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(١).

وَقَالَ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾(٢).

وَقَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾(٣).

وَقَالَ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾(٤).

فَأَثْبَتَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَجْهًا، وَصَفَهُ بِالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَحَكَمَ لِوَجْهِهِ بِالْبَقَاءِ، وَنَفَى الْهَلَاكَ عَنْهُ.

فَنَحْنُ وَجَمِيعُ عُلَمَائِنَا مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَتِهَامَةَ، وَالْيَمَنِ، وَالْعِرَاقِ، وَالشَّامِ، وَمِصْرَ؛ مَذْهَبُنَا: أَنَّا نُثْبِتُ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ، نُقِرُّ بِذَلِكَ بِأَلْسِنَتِنَا، وَنُصَدِّقُ ذَلِكَ بِقُلُوبِنَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ نُشَبِّهَ وَجْهَ خَالِقِنَا بِوَجْهِ أَحَدٍ

---

(١) الرحمن/٢٧

(٢) القصص/٨٨

(٣) الكهف/٢٨

(٤) البقرة/١١٥

مِنَ الْمَخْلُوقِينَ.

عَزَّ رَبُّنَا عَنْ أَنْ يُشْبِهَ الْمَخْلُوقِينَ، وَجَلَّ رَبُّنَا عَنْ مَقَالَةِ الْمُعَطِّلِينَ، وَعَزَّ أَنْ يَكُونَ عَدَمًا كَمَا قَالَهُ الْمُبطِلُونَ، لِأَنَّ مَا لَا صِفَةَ لَهُ عَدَمٌ.

تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْجَهْمِيُّونَ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ صِفَاتِ خَالِقِنَا، الَّذِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

قَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ فِي سُورَةِ الرُّومِ: ﴿**فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿**ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ**﴾(١).

وَقَالَ: ﴿**وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ**﴾(٢).

وَقَالَ: ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ**﴾(٣).

---

(١) الروم/٣٨، ونص الآية: ﴿**فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾.

(٢) الروم/٣٩

(٣) الإنسان/٩

وَقَالَ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾[(١)،(٢)]

(١) الليل/١٩: ٢٠

(٢) صفة الوجه صفة خبرية ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة، وقد وردت صفة الوجه مضافةً إلى الله عز وجل في غير ما موضعٍ في القرآن الكريم.

ومن السنة: فعن عبد الله بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: "**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**". (البخاري/ ٤٨٧٨).

وقد جاء تفسير صفة الوجه على ثلاث معانٍ:

١-الوجه.   ٢-القبلة.   ٣-الثواب.

فأما:

١- الوجه:

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾ (الرحمن/٢٦: ٢٧): يقول تعالى ذكره: كل من على ظهر الأرض من جن وإنس هالك، ويبقى وجه ربك يا محمد ﴿**ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾، =

=

و﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ من نعت الوجه فلذلك رُفِع ذو.اهـ (التفسير: ١٠/ ٥٥٧).

٢- القبلة:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واختُلف في تأويل قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، فقال بعضهم: تأول ذلك: فثم قبلة الله -قتادة، ومجاهد- يعني بذلك: وجهه الذي وجَّهَهُم إليه.اهـ (التفسير: ١/ ٧٣٥).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال عكرمة: قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ قال: قبلة الله، أينما توجهت شرقًا أو غربًا، وقال مجاهد: حيثُما كنتم فلكم قبلة تستقبلونها؛ الكعبة.اهـ (صحيح تفسير ابن كثير: ١/ ١٤٥).

وقد ذهب شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن الوجه هنا في هذه الآية: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾: القبلة، وأن هذه الآية ليست من آيات الصفات.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأحضر بعضُ أكابرهم كتاب (الأسماء والصفات للبيهقي)، فقال: هذا فيه تأويل الوجه عن السلف، فقلت: لعلك تعني قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾؟!

فقال: نعم، قد قال مجاهد والشافعي: يعني قبلة الله، فقلت: نعم، هذا صحيح عن مجاهد والشافعي وغيرهما، وهذا حق، وليست هذه الآية من آيات الصفات، ومن

=

=

عدَّها من آيات الصفات فقد غلط كما فعل طائفة، فإن سياق الكلام يدل على المراد حيث قال: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ والمشرق والمغرب: الجهات.

والوجه هو الجِهَة؛ يقال: أي وِجَهٌ تريده؟ أي: أي جهة، وأنا أريد هذا الوَجْه، أي هذه الجِهَة، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ (البقرة/١٤٨)، ولهذا قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، أي: تستقبلوا وتتوجهوا، والله أعلم.اهـ (الفتاوى: ج٣/١٢٧).

قلت (أبو سفيان): إن شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يثبت صفة الوجه لله تعالى، وهذا متواتر عنه، لكنه في هذه الآية ينفي كونها دالة على صفة الوجه، ورجَّح رَحِمَهُ ٱللَّهُ معناها إلى الجهة، وقد يُنازع شيخ الإسلام في هذا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الوجه الثامن عشر: أن تفسير وجه الله بقبلة الله، وإن قاله بعض السلف كمجاهد، وتبعه الشافعي، فإنما قالوه في موضع واحد لا غير، وهو قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، فهب أن هذا كذلك في هذا الموضع، فهل يصح أن يقال ذلك في غيره في المواضع التي ذكر الله تعالى فيها الوجه؟ فما يفيدكم هذا في قوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن/٢٧)، وقوله: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ (الليل/٢٠)، وقوله: ﴿إِنَّمَا

=

=

﴿نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ (الإنسان/٩)، على أن الصحيح في قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾: أنه كقوله في سائر الآيات التي ذكر فيها الوجه، فإنه قد اطرد مجيئه في القرآن والسنة مضافًا إلى الرب تعالى على طريقة واحدة ومعنىً واحد، فليس فيه معنيان مختلفان في جميع المواضع، غير الموضع الذي ذكر في سورة البقرة وهو قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، وهذا لا يتعين حمله على القبلة والجهة، ولا يمتنع أن يراد به وجه الرب حقيقة، فحمله على غير القبلة كنظائره كلها أولى. (مختصر الصواعق المرسلة/٣٩٠).

٣- الثواب :

أما تفسير صفة الوجه بالثواب، فقد قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا وقد فسر أهلُ التحريف وجه الله بثوابه؛ فقالوا: المراد بالوجه في الآية ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَه﴾ (القصص/٨٨) كل شيء يفنى إلا ثواب الله! ففسروا الوجه الذي هو صفة كمال؛ بشيء مخلوق بائن عن الله، قابل للعدم والوجود، فالثواب حادث مخلوق بعد أن لم يكن.... وقولهم مردود بما يلي:

أولًا: أنه مخالف لظاهر اللفظ؛ فإن ظاهر اللفظ: أن هذا وجه خاص، وليس هو الثواب.

ثانيًا: أنه مخالف لإجماع السلف، فما من السلف أحدٌ قال: إن المراد بالوجه الثواب،

=

[ر/٥٣- ح/١٩- ش(١/٢٧)- ز(١/٣١)- ي/٣٤]

بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ مِنْ أَخْبَارِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ﷺ فِي إِثْبَاتِ الْوَجْهِ لِلَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَتَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُهُ مُوَافَقَةً لِمَا تَلَوْنَا مِنَ التَّنْزِيلِ الَّذِي هُوَ بِالْقُلُوبِ مَحْفُوظٌ وَبَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ مَكْتُوبٌ وَفِي الْمَحَارِيبِ وَالْكَتَاتِيبِ مَقْرُوءٌ.

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ**﴾، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**"، قَالَ: ﴿**أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ**﴾، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ**"، قَالَ: ﴿**أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ**﴾[1] قَالَ:

=

وهذه كتبهم بين أيدينا مزبورة محفوظة، أخرجوا لنا نصًا عن الصحابة، أو أئمة التابعين ومن تابعهم بإحسان أنهم فسروا هذا التفسير، لن تجدوا إلى ذلك سبيلا...فالأصل أن المراد بالوجه المضاف إلى الله وجه الله عز وجل الذي هو صفة من صفاته، لكن هناك كلمة اختلف المفسرون فيها وهي قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**﴾.اهـ (شرح الواسطية/١٨٦:١٨٩).

(١) الأنعام/٦٥

"هَاتَانِ أَهْوَنُ وَأَيْسَرُ".[1]

عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ، فَدَخَلَ عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ، فَصَلَّى صَلاةً أَخَفَّهَا، فَمَرَّ بِنَا، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ: خَفَّفْتَ الصَّلاَةَ، فَقَالَ: أَوَ خَفِيفَةً رَأَيْتُمُوهَا؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا أَنِّي قَدْ دَعَوْتُ فِيهَا بِدُعَاءٍ قَدْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ مَضَى، فَاتَّبَعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ – قَالَ عَطَاءٌ: يَرَوْنَهُ أَبِي اتَّبَعَهُ، وَلَكِنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَقُولَ اتَّبَعَهُ- فَسَأَلَهُ عَنِ الدُّعَاءِ، ثُمَّ رَجَعَ، فَأَخْبَرَهُمْ بِالدُّعَاءِ: **"اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْحَقِّ، وَالْعَدْلَ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَبِيدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَأَسْأَلُكَ الشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا**

---

(١) **صحيح**: البخاري (٤٦٢٨).

هُدَاةً مُهْتَدِينَ". [١]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَلَا يَعْقِلُ ذَوُو الْحِجَا[٢] يا طُلَّابَ الْعِلْمِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يَسْأَلُ رَبَّهُ مَا لَا يَجُوزُ كَوْنُهُ.

فَفِي مَسْأَلَةِ النَّبِيِّ ﷺ رَبَّهُ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ أَبْيَنُ الْبَيَانِ، وَأَوْضَحُ الْوُضُوحِ أَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَجْهًا يَتَلَذَّذُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ مَنْ مَنَّ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَيْهِ، وَتَفَضَّلَ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ.

وَلِلْنَظَرِ إِلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْمَعَادِ بَابٌ سَيَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ، مَنَّ اللَّهُ بِهَذِهِ الْكَرَامَةِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "**مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَاءَلَكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ فَأَعْطُوهُ**". [٣]

قَالَ شَقِيقٌ: كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ، فَقَامَ شَبَثُ بْنُ رِبْعِيٍّ، فَصَلَّى فَبَصَقَ بَيْنَ

---

(١) **صحيح**: النسائي (١٣٠٥) وصححه الألباني.

(٢) أصحاب العقول.

(٣) **صحيح**: أبو داود (٥١٠٨) وقال الألباني: حسن صحيح.

يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ: يَا شَبَثُ، لَا تَبْصُقْ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَلَا عَنْ يَمِينِكِ فَإِنَّ عَنْ يَمِينِكِ كَاتِبَ الْحَسَنَاتِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِكِ، أَوْ مِنْ وَرَائِكَ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ فَيُنَاجِيهِ، فَلَا يَنْصَرِفُ عَنْهُ حَتَّى يَنْصَرِفَ، أَوْ يُحْدِثَ حَدَثَ سُوءٍ.(١)

عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "**إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ**"، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ: "**وَإِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا تَلْتَفِتُوا، فَإِنَّ اللَّهَ يُقْبِلُ بِوَجْهِهِ إِلَى وَجْهِ عَبْدِهِ**".(٢)

---

(١) **صحيح موقوف**: على حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في حكم المرفوع، لأن مثل هذه الأخبار لا تُذكر إلا بنصٍ من الكتاب أو السنة.

وأخرجه عبد الرزاق في (المصنف:١/٤٣٢/ح١٦٨٩) موقوفًا، وجاء عند البزار في مسنده (٧/٢٩٥/ح٢٨٨٩) مرفوعًا، وقد جاء مرفوعًا بنحوه عند البخاري (٤٠٦)، ومسلم (٥٤٧) عن ابن عمر، وعن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري عند البخاري (٤٠٨,٤٠٩)، وعن جابر عند مسلم (٣٠٠٨).

(٢) **صحيح**: الترمذي (٢٨٦٣) وصححه الألباني.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَعِيسَى رُوحُ اللَّهِ قَدْ حَثَّ نَبِيَّ اللَّهِ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا أَنْ يُعْلِمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِإِعْلَامِهِ، وَفِيمَا أَمَرَ اللَّهُ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِإِعْلَامِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: "**أَنَّ اللَّهَ يُقْبِلُ بِوَجْهِهِ إِلَى وَجْهِ عَبْدِهِ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ**"، فَفِي هَذَا مَا بَانَ وَثَبَتَ وَصَحَّ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا مُوقِنِينَ بِأَنَّ لِخَالِقِهِمْ وَجْهًا يُقْبِلُ بِهِ إِلَى وَجْهِ الْمُصَلِّي لَهُ.

وَنَبِيُّنَا ﷺ قَدْ أَعْلَمَ أُمَّتَهُ مَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنْ يَأْمُرَ بِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِتَعْلَمَ وَتَسْتَيْقِنَ أُمَّتُهُ أَنَّ لِلَّهِ وَجْهًا يُقْبِلُ بِهِ عَلَى وَجْهِ الْمُصَلِّي لَهُ، كَمَا أَوْحَى إِلَيْهِ فِيمَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْفُرْقَانِ: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا**﴾ أَيْ بِصَلَاتِكُمْ ﴿**فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**﴾[1].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى وَجْهِ رَبِّهِمْ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ؛ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ**".[2]

---

(١) البقرة/١١٥

(٢) **متفق عليه**: البخاري (٤٨٧٨)، مسلم (١٨٠).

عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ خَبَّابًا يَقُولُ: هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ، فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْكُلْ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ: مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ بُرْدَةً، فَإِذَا جَعَلْنَاهَا عَلَى رَأْسِهِ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا جَعَلْنَاهَا عَلَى رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْإِذْخِرِ(١)، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِبُهَا(٢)،(٣)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**إِنَّ الْمَرْأَةَ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتِ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ، وَأَقْرَبُ مَا تَكُونُ مِنْ وَجْهِ رَبِّهَا وَهِيَ فِي قَعْرِ بَيْتِهَا**".(٤)

---

(١)الإِذْخِر: حشيشةٌ معروفةٌ طيبة الريح توجد بالحجاز. (الفتح:١/٧٦).

(٢) يهدبها: يجتنيها. (الفتح:١/١٤٢).

(٣) **متفق عليه**: البخاري (٣٨٩٧)، مسلم (٩٤٠).

(٤) **صحيح**: أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٦٨٥)، وصححه الألباني.

[ر/٦٨- ح/٢٦- ش(١/٤٥)- ز(١/٥٥)- ي/٤٩]

بَابُ ذِكْرِ صُورَةِ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلَا وَصِفَةِ سُبُحَاتِ وَجْهِهِ عَزَّ وَجَلَّ تَعَالَى رَبُّنَا عَنْ أَنْ يَكُونَ وَجْهُ رَبِّنَا كَوَجْهِ بَعْضِ خَلْقِهِ وَعَزَّ أَن لَا يَكُونَ لَهُ وَجْهٌ إِذِ اللَّهُ قَدْ أَعْلَمَنَا فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ أَنَّ لَهُ وَجْهًا ذَوَّاهُ بِالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ وَنَفَى عَنْهُ الْهَلَاكَ.

عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: "**إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ، وَعَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ، حِجَابُهُ النَّارُ، لَوْ كَشَفَ طِبَاقَهَا؛ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ، وَاضِعٌ يَدَهُ لِمُسِيءِ اللَّيْلِ لِيَتُوبَ بِالنَّهَارِ، وَمُسِيءِ النَّهَارِ لِيَتُوبَ بِاللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**".(١)

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَمْ أُخَرِّجْ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنَ الْمُقَطَّعَاتِ(٢)؛ لِأَنَّ هَذَا مِنَ

---

(١) **صحيح**: مسلم (١٧٩).

(٢) المقطوع: وهو ما جاء عن تابعي فما دونه، والموقوف: ما جاء عن صحابي، =

الْجِنْسِ الَّذِي نَقُولُ: إِنَّ عِلْمَ هَذَا لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى ﷺ.

لَسْتُ أَحْتَجُّ فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ خَالِقِي عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا بِمَا هُوَ مَسْطُورٌ فِي الْكِتَابِ، أَوْ مَنْقُولٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْأَسَانِيدِ الصَّحِيحَةِ الثَّابِتَةِ.

أَقُولُ وَبِاللَّهِ تَوْفِيقِي وَإِيَّاهُ اسْتَرْشِدُ: قَدْ بَيَّنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ الَّذِي هُوَ مُثْبَتٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ أَنَّ لَهُ وَجْهًا، وَصَفَهُ بِالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ وَالْبَقَاءِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلا: ﴿**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾[(١)].

وَنَفَى رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا عَنْ وَجْهِهِ الْهَلَاكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾[(٢)].

=

والمرفوع: ما جاء عن النبي ﷺ.

وقد يراد بالمقطوع: أي ما فيه سقط في السند، وهو علة من علل الإسناد.

(١) الرحمن/٢٧

(٢) القصص/٨٨

وَزَعَمَ بَعْضُ جَهلَةِ الْجَهْمِيَّةِ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا وَصَفَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ نَفْسَهُ الَّتِي أَضَافَ إِلَيْهَا الْجَلَالَ، بِقَوْلِهِ: ﴿**تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾[1]، وَزَعَمَتْ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ: ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا الْوَجْهُ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَقُولُ وَبِاللَّهِ تَوْفِيقِي: هَذِهِ دَعْوَى يَدَّعِيهَا جَاهِلٌ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾ فَذُكِرَ الْوَجْهُ مَضْمُومًا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَرْفُوعًا، وَذُكِرَ الرَّبُّ بِخَفْضِ الْبَاءِ بِإِضَافَةِ الْوَجْهِ، وَلَوْ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿**ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾ مَرْدُودًا إِلَى ذِكْرِ الرَّبِّ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ؛ لَكَانَتِ الْقِرَاءَةُ: [ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ] مَخْفُوضًا، كَمَا كَانَ الْبَاءُ مَخْفُوضًا فِي ذِكْرِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا.

أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾، فَلَمَّا كَانَ الْجَلَالُ وَالْإِكْرَامُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ صِفَةً لِلرَّبِّ، خُفِضَ ﴿**ذِي**﴾ خَفْضَ الْبَاءِ الَّذِي ذُكِرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿**رَبِّكَ**﴾، وَلَمَّا كَانَ الْوَجْهُ فِي تِلْكَ الْآيَةِ مَرْفُوعَةً، الَّتِي كَانَتْ صِفَةُ الْوَجْهِ مَرْفُوعَةً، فَقَالَ: ﴿**ذُو الْجَلَالِ**

---

(١) الرحمن/٧٨

وَالْإِكْرَامِ﴾؟

فَتَفَهَّمُوا يَاذَوِي الحِجَا هَذَا الْبَيَانَ الَّذِي هُوَ مَفْهُومٌ فِي خِطَابِ الْعَرَبِ، لَا تُغَالِطُوا فَتَتْرُكُوا سَوَاءَ السَّبِيلِ.

وَفِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ دَلَالَةٌ: أَنَّ وَجْهَ اللَّهِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ؛ صِفَاتِ الذَّاتِ، لَا أَنَّ وَجْهَ اللَّهِ هُوَ اللَّهُ، وَلَا أَنَّ وَجْهَهُ غَيْرُهُ، كَمَا زَعَمَتِ الْمُعَطِّلَةُ الْجَهْمِيَّةُ، لِأَنَّ وَجْهَ اللَّهِ لَوْ كَانَ اللَّهَ لَقُرِئَ: [وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ]، فَمَا لِمَنْ لَا يَفْهَمُ هَذَا الْقَدْرَ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ، وَوَضَعَ الْكُتُبَ عَلَى عُلَمَاءِ أَهْلِ الْآثَارِ الْقَائِلِينَ بِكِتَابِ رَبِّهِمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ.

وَزَعَمَتِ الْجَهْمِيَّةُ عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ: أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَمُتَّبِعِي الْآثَارِ، الْقَائِلِينَ بِكِتَابِ رَبِّهِمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، الْمُثْبِتِينَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ صِفَاتِهِ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، الْمُثْبَتِ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى ﷺ، بِنَقْلِ الْعَدْلِ عَنِ الْعَدْلِ مَوْصُولًا إِلَيْهِ؛ مُشَبِّهَةً، جَهْلًا بِكِتَابِ رَبِّنَا وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ، وَقِلَّةِ مَعْرِفَتِهِمْ بِلُغَةِ الْعَرَبِ؛ الَّذِينَ بِلُغَتِهِمْ

خُوطِبْنَا[(١)].

(١) قال الإمام حرب بن إسماعيل الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما الجهمية فإنهم يسمون أهل السنة: مشبهة، وكذبت الجهمية أعداء الله، بل هم أولى بالتشبيه والتكذيب، افتروا على الله عز وجل الكذب، وقالوا على الله الزور والإفك، وكفروا في قولهم.اهـ (السنة لحرب الكرماني/٦٣).

قلت (أبو سفيان) : وسبب وصفهم ذلك لأهل السنة المثبتين صفات الله عز وجل على الوجه الذي يليق به، أنهم -أي الجهمية- قالوا: إننا تعرفنا على وجود الله بوجود المخلوق، أي أننا نظرنا في المخلوقات فوجدناها تفعل أفعالًا مختلفة، هذه الأفعال اصطلحنا على تسميتها أعراض وصفات، ثم وجدنا أن كل عرض يختلف عن الآخر، وأنه لا يظهر إلا إذا كان في جسم، أي في محل، فمثلًا لم نعلم عرض الضحك إلا بحركات الوجه، ولم نعلم عرض القيام، والجلوس، والمشي إلى غير ذلك من سائر الأفعال إلا بجسم يفعل تلك الأعراض، فعلمنا علمًا يقينيًا أن الذي أودع هذه الأعراض في هذه الأجسام قادرٌ، خالقٌ، حيٌّ، موجودٌ.

ثم قرآنا في القرآن فوجدنا الله يقول: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ (الشورى/١١)، فقلنا: نعم، الله ليس كمثله مخلوق، ولا عرض، ولا جسم.

ثم وجدنا القرآن يقول: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**﴾ (هود/١٠٧)، فقالوا: إن =

وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي ذِكْرِ وَجْهِ رَبِّنَا بِمَا فِيهِ الْغِنْيَةُ وَالْكِفَايَةُ، وَنُزِيدُهُ شَرْحًا.

فَاسْمَعُوا الْآنَ أَيُّهَا الْعُقَلَاءُ، مَا نَذْكُرُ مِنْ جِنْسِ اللُّغَةِ السَّائِرَةِ بَيْنَ الْعَرَبِ، هَلْ يَقَعُ اسْمُ الْمُشَبِّهَةِ عَلَى أَهْلِ الْآثَارِ وَمُتَّبِعِي السُّنَنِ؟

نَحْنُ نَقُولُ وَعُلَمَاؤُنَا جَمِيعًا فِي جَمِيعِ الْأَقْطَارِ: إِنَّ لِمَعْبُودِنَا عَزَّ وَجَلَّ وَجْهًا

=

الأفعال أعراض، وقد سبق أن الله ليس كمثله شيء، فكيف يكون فعال لما يريد؟ فجنحوا إلى رد هذه الآية وكل آية فيها صفة من الصفات الفعلية، أو الذاتية، أو الخبرية، لأنهم زعموا: أن الأفعال والصفات من خصائص المخلوق المحدث، وقد تعرفنا علي الخالق بحلول الأعراض فيه، فكيف نصف الله تعالى بالعرض، فإن ذلك مفضي إلى التشبيه.

ومن أجل هذه المقدمة الباطلة؛ كان ظاهر القرآن والسنة عندهم موهم بالتشبيه، فسعوا جاهدين لردهما، والطعن فيهما، حتى قال أحدهم:

وَكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهَ ... أَوِّلْهُ أَوْ فَوض وَرُمْ تَنْزِيهَا

وقد أفاد وأجاد في الرد عليهم الإمامُ ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه هذا.

كَمَا أَعْلَمَنَا اللَّهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، فَذَوَّاهُ بِالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَحَكَمَ لَهُ بِالْبَقَاءِ، وَنَفَى عَنْهُ الْهَلَاكَ.

وَنَقُولُ: إِنَّ لِوَجْهِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنَ النُّورِ، وَالضِّيَاءِ، وَالْبَهَاءِ، مَا لَوْ كَشَفَ حِجَابَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ، مَحْجُوبٌ عَنْ أَبْصَارِ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَا يَرَاهُ بَشَرٌ مَا دَامَ فِي الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ.

وَنَقُولُ: إِنَّ وَجْهَ رَبِّنَا الْقَدِيمِ لَا يَزَالُ بَاقِيًا، فَنَفَى عَنْهُ الْهَلَاكَ وَالْفَنَاءَ.

وَنَقُولُ: إِنَّ لِبَنِي آدَمَ وُجُوهًا كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْهَلَاكَ وَالْفَنَاءَ، وَنَفَى عَنْهَا الْجَلَالَ وَالْإِكْرَامَ، غَيْرَ مَوْصُوفَةٍ بِالنُّورِ، وَالضِّيَاءِ، وَالْبَهَاءِ، الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ، تُدْرِكُ وُجُوهُ بَنِي آدَمَ أَبْصَارَ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَا تَحْرِقُ لِأَحَدٍ شَعْرَةً فَمَا فَوْقَهَا لِنَفْيِ السُّبُحَاتِ عَنْهَا، الَّتِي بَيَّنَهَا نَبِيُّنَا الْمُصْطَفَى ﷺ لِوَجْهِ خَالِقِنَا.

وَنَقُولُ: إِنَّ وُجُوهَ بَنِي آدَمَ مُحْدَثَةٌ مَخْلُوقَةٌ، لَمْ تَكُنْ فَكَوَّنَهَا اللَّهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ مَخْلُوقَةً، أَوْجَدَهَا بَعْدَ مَا كَانَتْ عَدَمًا، وَإِنَّ جَمِيعَ وُجُوهِ بَنِي آدَمَ فَانِيَةٌ غَيْرُ بَاقِيَةٍ، تَصِيرُ جَمِيعًا مَيْتًا، ثُمَّ تَصِيرُ رَمِيمًا، ثُمَّ يُنْشِئُهَا اللَّهُ بَعْدَ مَا قَدْ صَارَتْ رَمِيمًا، فَتَلْقَى مِنَ النُّشُورِ وَالْحَشْرِ وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْ خَالِقِهَا فِي الْقِيَامَةِ، وَمِنَ الْمُحَاسَبَةِ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَكَسْبِهُ فِي الدُّنْيَا، مَا لَا يَعْلَمُ صِفَتَهُ غَيْرُ الْخَالِقِ

الْبَارِئِ، ثُمَّ تَصِيرُ إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ مُنعَمَّةً فِيهَا، أَوْ إِلَى النَّارِ مُعذَّبَةً فِيهَا.

فَهَلْ يَخْطِرُ يَا ذَوِي الْحِجَا بِبَالِ عَاقِلٍ مُرَكَّب فِيهِ الْعَقْلُ، يَفْهَمُ لُغَةَ الْعَرَبِ، وَيَعْرِفُ خِطَابَهَا، وَيَعْلَمُ التَّشْبِيهَ، أَنَّ هَذَا الْوَجْهَ شَبِيهٌ بِذَاكَ الْوَجْهِ؟

وَهَلْ هَاهُنَا أَيُّهَا الْعُقَلَاءُ، تَشْبِيهُ وَجْهِ رَبِّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ، الَّذِي هُوَ كَمَا وَصَفْنَا وَبَيَّنَا صِفَتَهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بِتَشْبِيهِ وُجُوهِ بَنِي آدَمَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَوَصَفْنَاهَا، غَيْرُ اتِّفَاقِ اسْمِ الْوَجْهِ، وَإِيقَاعِ اسْمِ الْوَجْهِ عَلَى وَجْهِ بَنِي آدَمَ، كَمَا سَمَّى اللَّهُ وَجْهَهُ وَجْهًا؟

وَلَوْ كَانَ تَشْبِيهًا مِنْ عُلَمَائِنَا لَكَانَ كُلُّ قَائِلٍ: أَنَّ لِبَنِي آدَمَ وَجْهًا، وَلِلْخَنَازِيرِ، وَالْقِرَدَةِ، وَالْكِلَابِ، وَالسِّبَاعِ، وَالْحَمِيرِ، وَالْبِغَالِ، وَالْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبِ وُجُوهًا؛ قَدْ شَبَّهَ وُجُوهَ بَنِي آدَمَ بِوُجُوهِ الْخَنَازِيرِ، وَالْقِرَدَةِ، وَالْكِلَابِ، وَغَيْرِهَا مِمَّا ذَكَرْتُ.

وَلَسْتُ أَحْسَبُ أَنَّ أَعْقَلَ الْجَهْمِيَّةِ الْمُعَطِّلَةِ عِنْدَ نَفْسِهِ، لَوْ قَالَ لَهُ أَكْرَمُ النَّاسِ عَلَيْهِ: وَجْهُكَ يُشْبِهُ وَجْهَ الْخِنْزِيرِ، وَالْقِرْدِ، وَالْكَلْبِ، وَالدُّبِّ، وَالْحِمَارِ، وَالْبَغْلِ، وَنَحْوَ هَذَا؛ إِلَّا غَضِبَ، لِأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ فِي

الْفُحْشِ مِن الْمَنْطَقِ، مِنَ الشَّتْمِ لِلْمُشَبَّهِ وَجْهَهُ بِوَجْهِ مَا ذَكَرْنَا، وَلَعَلَّهُ بَعْدُ يَقْذِفُهُ وَيَقْذِفُ أَبَوَيْهِ.

وَلَسْتُ أَحْسَبُ أَنَّ عَاقِلًا يَسْمَعُ هَذَا الْقَائِلَ الْمُشَبِّهَ وَجْهَ ابْنَ آدَمَ بِوُجُوهِ مَا ذَكَرْنَا؛ إِلَّا وَيَرْمِيهِ بِالْكَذِبِ، وَالزُّورِ، وَالْبَهْتِ، أَوْ بِالْعَتَهِ، وَالْخَبَلِ، أَوْ يَحْكُمُ عَلَيْهِ بِزَوَالِ الْعَقْلِ، وَرَفْعِ الْقَلَمِ عَنْهُ؛ لِتَشْبِيهِ وَجْهِ ابْنِ آدَمَ بِوُجُوهِ مَا ذَكَرْنَا.

فَتَفَكَّرُوا يَا ذَوِي الْأَلْبَابِ، أَوُجُوهُ مَا ذَكَرْنَا أَقْرَبُ شَبَهًا بِوُجُوهِ بَنِي آدَمَ أَوْ وَجْهُ خَالِقِنَا بِوُجُوهِ بَنِي آدَمَ؟

فَإِذَا لَمْ تُطْلِقْ الْعَرَبُ تَشْبِيهَ وُجُوهِ بَنِي آدَمَ بِوُجُوهِ مَا ذَكَرْنَا مِنَ السِّبَاعِ، وَاسْمِ الْوَجْهِ قَدْ يَقَعُ عَلَى جَمِيعِ وجُوهِهَا، كَمَا يَقَعُ اسْمُ الْوَجْهِ عَلَى وجُوهِ بَنِي آدَمَ، فَكَيْفَ يَلْزَمُنَا أَنْ يُقَالَ لَنَا: أَنْتُمْ مُشَبِّهَةٌ؟

وَوُجُوهُ بَنِي آدَمَ، وَوُجُوهُ مَا ذَكَرْنَا مِنَ السِّبَاعِ، وَالْبَهَائِمِ مُحْدَثَةٌ، كُلُّهَا مَخْلُوقَةٌ، قَدْ قَضَى اللَّهُ فَنَاءَهَا وَهَلَاكَهَا، وَقَدْ كَانَتْ عَدَمًا، فَكَوَّنَهَا اللَّهُ وَخَلَقَهَا وَأَحْدَثَهَا.

وَجَمِيعُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ السِّبَاعِ وَالْبَهَائِمِ لِوُجُوهِهَا أَبْصَارٌ، وَخُدُودٌ،

وَجُبَاةٌ، وَأُنُوفٌ، وَأَلْسِنَةٌ، وَأَفْوَاهٌ، وَأَسْنَانٌ، وَشِفَاهٌ، وَلَا يَقُولُ مُرَكَّبٌ فِيهِ الْعَقْلُ لِأَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ: وَجْهُكَ شَبِيهٌ بِوَجْهِ خِنْزِيرٍ، وَلَا عَيْنُكَ شَبِيهٌ بِعَيْنِ قِرْدٍ، وَلَا فَمُكَ فَمُ دُبٍّ، وَلَا شَفَتَاكَ كَشَفَتَيْ كَلْبٍ، وَلَا خَدُّكَ خَدُّ ذِئْبٍ؛ إِلَّا عَلَى الْمُشَاتَمَةِ، كَمَا يَرْمِي الرَّامِي الْإِنْسَانَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ.

فَإِذَا كَانَ مَا ذَكَرْنَا عَلَى مَا وَصَفْنَا ثَبَتَ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ وَأَهْلِ التَّمْيِيزِ، أَنَّ مَنْ رَمَى أَهْلَ الْآثَارِ الْقَائِلِينَ بِكِتَابِ رَبِّهِمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ بِالتَّشْبِيهِ؛ فَقَدْ قَالَ الْبَاطِلَ، وَالْكَذِبَ، وَالزُّورَ، وَالْبُهْتَانَ، وَخَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَخَرَجَ مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ.(١)

وَزَعَمَتِ الْمُعَطِّلَةُ الْجَهْمِيَّةُ: أَنَّ مَعْنَى الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْآيِ:

---

(١) يؤصل الإمام هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ لقاعدتين مشهورتين عند السلف، بهما ينضبط فهم الأسماء والصفات لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

الأولى: المشابهةُ في الاسم أو الصفة لا تقتضي المشابهة في المسمى أو الموصوف.

الثانية: أن ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك وقدر فارق، فمن نفى القدر المشترك؛ فقد عطل، ومن نفي القدر الفارق؛ فقد مثَّل.

الَّتِي تَلَوْنَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَفِي الْأَخْبَارِ الَّتِي رَوَيْنَاهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: وَجْهُ الْكَلَامِ، وَوَجْهُ الثَّوبِ، وَوَجْهُ الدَّارِ.

فَزَعَمَتْ لِجَهْلِهَا بِالْعِلْمِ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿**وَجْهُ اللَّهِ**﴾: كَقَوْلِ الْعَرَبِ: وَجْهُ الْكَلَامِ، وَوَجْهُ الدَّارِ، وَوَجْهُ الثَّوْبِ.

وَزَعَمَتْ: أَنَّ الْوُجُوهَ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَهَذِهِ فَضِيحَةٌ فِي الدَّعْوَى وَوُقُوعٌ فِي أَقْبَحِ مَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ يَهْرُبُونَ مِنْهُ.(١)

---

(١) أرادت الجهمية أن تقول: إن إضافة الوجه إلى الله عز وجل، هو من باب المجاز، كما يقول العرب: وجه الكلام، ووجه الدار، وهل للدار وجه، أو هل للكلام وجه؟

ودعوى المجاز دعوى باطلة من وجوه عدة:

أولًا: أن من خصائص المجاز عند هؤلاء المتكلمين أنه يجوز نفيه، فلو كانت الصفات من باب المجاز لكان الله معطلًا عن الصفات كلها، لأنها يجوز نفيها.

ثانيًا: أن المجاز عند هؤلاء القوم، هو الوضع الثاني للكلام، فمثلًا يقولون: تعارف الناس على أن (الأسد) تلك الدابة التي تعيش في الخلوات والغابات، وصفاتها كذا وكذا، فهذا هو الوضع الأول المتعارف عند الناس، فلو قال أحدٌ لأحدٍ: أنت أسد =

=

فهل هذا الثاني دابة بأربعة قوائم، ولبدة، وذيل؟! قطعًا لا، فكلمة أسد الثانية يراد منها معنى من معاني الأسد، وهو ليس بأسد، وهكذا أثبتوا معنى ونفوا عنه اللفظ، لظنهم أننا لو أثبتنا أن الثاني أسد؛ لكان تلك الدابة!

فنقول لهم: على قولكم بالمجاز هذا، وأنه الوضع الثاني للكلام، نسألكم، أيهما خُلِقَ أولًا ، الجبلُ أم الإنسانُ؟! والجواب: الجبل، لأن الله عز وجل خلق الأرض قبل آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ اتفاقًا.

فنقول لهم: فالله تعالى يقول في كتابه: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ**﴾ (الحديد/١٦)، ويقول تعالى: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا**﴾ (الحشر/٢١)، فأي الخشوعين هو الوضع الأول الحقيقي، والثاني المجاز؟! تبًا لهذه العقول.

وعلى هذا نقول: إن الحقيقة: هي ما تبادرت إلى الذهن من معاني، فلو قلت: هذا أسد، كان المفهوم: إما أنه شجاع، أو سيد قومه، أو مقدام...الخ.

والصحيح: أنه لا مجاز في الكتاب والسنة.

ثالثًا : إن للكلام وجه، وللدار وجه، وللثوب وجه، كل ذلك بما يليق بهم، وليس مجرد إضافة الاسم، أو الوصف المشترك لذوات مختلفة، يقتضي تشابه هذه الذوات

=

فَيُقَالُ لَهُمْ: أَفَلَيْسَ كَلَامُ بَنِي آدَمَ، وَالثِّيَابُ، وَالدُّورُ مَخْلُوقَةً؟

فَمَنْ زَعَمَ مِنْكُمْ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿**وَجْهُ اللَّهِ**﴾، كَقَوْلِ الْعَرَبِ: وَجْهُ الْكَلَامِ، وَوَجْهُ الثَّوْبِ، وَوَجْهُ الدَّارِ، أَلَيْسَ قَدْ شَبَّهَ عَلَى أَصْلِكُمْ وَجْهَ اللَّهِ بِوَجْهِ الْمُوتَانِ[١]؟

لِزَعْمِكُمْ يَا جَهَلَةُ أَنَّ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْآثَارِ، الْقَائِلِينَ بِكِتَابِ رَبِّهِمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ: لِلَّهِ وَجْهٌ، وَعَيْنَانِ، وَنَفْسٌ، وَأَنَّ اللهَ يُبْصِرُ وَيَرَى وَيَسْمَعُ؛ أَنَّهُ مُشَبِّهٌ عِنْدَكُمْ خَالِقَهُ بِالْمَخْلُوقِينَ.

حَاشَا لِلَّهِ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْأَثَرِ شَبَّهَ خَالِقَهُ بِأَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، فَإِذَا كَانَ عَلَى مَا زَعَمْتُمْ بِجَهْلِكُمْ، فَأَنْتُمْ شَبَّهْتُمْ مَعْبُودَكُمْ بِالْمُوتَانِ.

نَحْنُ نُثْبِتُ لِخَالِقِنَا جَلَّ وَعَلَا صِفَاتِهِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا نَفْسَهُ

=

فالأرض تتكلم وتحدث أخبارها، والرحم تكلمت، والجنة والنار تكلمتا، والإنسان يتكلم، فهل هذه الذوات متشابهة؟!

(١) ما لا حياة فيه.

فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، أَوْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى ﷺ، مِمَّا ثَبَتَ بِنَقْلِ الْعَدْلِ عَنِ الْعَدْلِ مَوْصُولًا إِلَيْهِ، وَنَقُولُ كَلَامًا مَفْهُومًا مَوْزُونًا، يَفْهَمُهُ كُلُّ عَاقِلٍ.

نَقُولُ: لَيْسَ إِيقَاعُ اسْمِ الْوَجْهِ لِلْخَالِقِ الْبَارِئِ بِمُوجِبٍ عِنْدَ ذَوِي الْحِجَا وَالنُّهَى، أَنَّهُ يُشَبِّهُ وَجْهَ الْخَالِقِ بِوُجُوهِ بَنِي آدَمَ.

قَدْ أَعْلَمَنَا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي الْآيِ الَّتِي تَلَوْنَاهَا قَبْلُ، أَنَّ لِلَّهِ وَجْهًا، ذَوَّاهُ بِالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَنَفَى الْهَلَاكَ عَنْهُ.

وَخَبَّرْنَا فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ أَنَّهُ يَسْمَعُ وَيَرَى، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا لِكَلِيمِهِ مُوسَى وَلِأَخِيهِ هَارُونَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا: ﴿**إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾(١)، وَمَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ: كَالْأَصْنَامِ الَّتِي هِيَ مِنَ الْمَوْتَانِ.

أَلَمْ تَسْمَعْ مُخَاطَبَةَ خَلِيلِ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَبَاهُ: ﴿**يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا**﴾(٢)؟

أَفَلَا يَعْقِلُ يَا ذَوِي الْحِجَا مَنْ فَهِمَ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَذَا، أَنَّ خَلِيلَ

---

(١) طه/٤٦

(٢) مريم/٤٢

اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ لا يُوبِّخُ أَبَاهُ عَلَى عِبَادَةِ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ، ثُمَّ يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ مَنْ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ.

وَلَوْ قَالَ الْخَلِيلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لِأَبِيهِ: أَدْعُوكَ إِلَى رَبِّي الَّذِي لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ، لَأَشْبَهَ أَنْ يَقُولَ: فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ مَعْبُودِكَ وَمَعْبُودِي؟ وَاللَّهُ قَدْ أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ أَنَّهُ يَسْمَعُ وَيَرَى.

وَالْمُعَطِّلَةُ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ تُنْكِرُ كُلَّ صِفَةٍ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، أَوْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ لِجَهْلِهِمْ بِالْعِلْمِ.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**﴾[١].

فَأَعْلَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَّ مَنْ لَا يَسْمَعُ، وَلَا يَعْقِلُ، كَالْأَنْعَامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا، فَمَعْبُودُ الْجَهْمِيَّةِ عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ، كَالْأَنْعَامِ الَّتِي لَا تَسْمَعُ، وَلَا تُبْصِرُ، وَاللَّهُ قَدْ ثَبَتَ لِنَفْسِهِ: أَنَّهُ يَسْمَعُ وَيَرَى.

---

(١) الفرقان/٤٣:٤٤

وَالْمُعَطِّلَةُ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ تُنْكِرُ كُلَّ صِفَةٍ لِلَّهِ وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ أَوْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ لِجَهْلِهِمْ بِالْعِلْمِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ وَجَدُوا فِي الْقُرْآنِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْقَعَ أَسمَاءً مِنْ أَسمَاءِ صِفَاتِهِ عَلَى بَعْضِ خَلْقِهِ، فَتوَهَّمُوا لِجَهْلِهِمْ بِالْعِلْمِ أَنَّ مَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِتِلْكَ الصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ، قَدْ شَبَّهَهُ بِخَلْقِهِ.

فَاسْمَعُوا يَا ذَوِي الْحِجَا مَا أُبَيِّنُ مِنْ جَهْلِ هَؤُلَاءِ الْمُعَطِّلَةِ:

أَقُولُ: وَجَدْتُ اللَّهَ وَصَفَ نَفْسَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ، فَأَعْلَمَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، فَقَالَ: ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[1]، وَذَكَرَ عَزَّ وَجَلَّ الْإِنْسَانَ فَقَالَ: ﴿**فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾[2].

وَأَعْلَمَنَا جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُ يَرَى، فَقَالَ: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾[3]، وَقَالَ لِمُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿**إِنَّنِي**

---

(١) الشورى/١١

(٢) الإنسان/٢

(٣) التوبة/١٠٥

مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[1].

فَأَعْلَمَ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ يرَى أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ، وَأَنَّ رَسُولَهُ وَهُوَ بَشَرٌ يرَى أَعْمَالَهُمْ أَيْضًا.

وَقَالَ: ﴿**أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ**﴾[2]، وَبَنُو آدَمَ يَرَوْنَ أَيْضًا الطَّيْرَ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾[3]، وَقَالَ: ﴿**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا**﴾[4]، وَقَالَ: ﴿**وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾[5].

فَثَبَّتَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ لِنَفْسِهِ عَيْنًا، وَثَبَّتَ لِبَنِي آدَمَ أَعْيُنًا، فَقَالَ: ﴿**تَرَى**

---

(١) طه/٤٦

(٢) النحل/٧٩

(٣) هود/٣٧

(٤) القمر/١٤

(٥) الطور/٤٨

أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾(١)، فَقَدْ خَبَّرَنَا رَبُّنَا: أَنَّ لَهُ عَيْنًا، وَأَعْلَمَنَا أَنَّ لِبَنِي آدَمَ أَعْيُنًا.

وَقَالَ لِإِبْلِيسَ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي**﴾(٢)، وَقَالَ: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾(٣)، وَقَالَ: ﴿**وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾(٤).

فَثَبَّتَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا لِنَفْسِهِ يَدَيْنِ.

وَخَبَّرَنَا أَنَّ لِبَنِي آدَمَ يَدَيْنِ، فَقَالَ: ﴿**ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾(٥)، وَقَالَ: ﴿**ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ**﴾(٦)، وَقَالَ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا**

---

(١) المائدة/٨٣

(٢) ص/٧٥

(٣) المائدة/٦٤

(٤) الزمر/٦٧

(٥) آل عمران/١٨٢

(٦) الحج/١٠

يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[1].

وَقَالَ: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[2]، وَخَبَّرَنَا: أَنَّ رُكْبَانَ الدَّوَابِّ يَسْتَوُونَ عَلَى ظُهُورِهَا، وَقَالَ فِي ذِكْرِ سَفِينَةِ نُوحٍ: ﴿**وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ**﴾[3].

أَفَيَلْزَمُ يَا ذَوِي الْحِجَا عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْفَسَقَةِ، أَنَّ مَنْ ثَبَّتَ لِلَّهِ مَا يُثَبِّتُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيِ؛ أَنْ يَكُونَ مُشَبِّهًا خَالِقَهُ بِخَلْقِهِ! حَاشَ لِلَّهِ أَنْ يَكُونَ هَذَا تَشْبِيهًا، كَمَا ادَّعَوْا لِجَهْلِهِمْ بِالْعِلْمِ.

نَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، كَمَا أَعْلَمَنَا خَالِقُنَا وَبَارِئُنَا.

وَنَقُولُ: مَنْ لَهُ سَمْعٌ وَبَصَرٌ مِنْ بَنِي آدَمَ: فَهُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ.

وَلَا نَقُولُ: إِنَّ هَذَا تَشْبِيهُ الْمَخْلُوقِ بِالْخَالِقِ.

---

(١) الفتح/١٠

(٢) طه/٥

(٣) هود/٤٤

وَنَقُولُ: إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَدَيْنِ يَمِينَيْنِ ، لَا شِمَالَ فِيهِمَا[1]، قَدْ أَعْلَمَنَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّ لَهُ يَدَيْنِ، وَخَبَّرَنَا نَبِيُّنَا ﷺ أَنَّهُمَا: يَمِينَانِ، لَا شِمَالَ فِيهِمَا.

وَنَقُولُ: إِنَّ مَنْ كَانَ مِنْ بَنِي آدَمَ سَلِيمُ الْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ، فَلَهُ يَدَانِ: يَمِينٌ وَشِمَالٌ.

وَلَا نَقُولُ: إِنَّ يَدَ الْمَخْلُوقِينَ كَيَدِ الْخَالِقِ، عَزَّ رَبُّنَا عَنْ أَنْ تَكُونَ يَدُهُ كَيَدِ خَلْقِهِ.

وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ لَنَا نَفْسَهُ عَزِيزًا، وَسَمَّى بَعْضَ الْمُلُوكِ عَزِيزًا، فَقَالَ: ﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ**﴾[2]، وَسَمَّى إِخْوَةُ يُوسُفَ أَخَاهُمْ يُوسُفَ: عَزِيزًا، فَقَالُوا: ﴿**يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا**﴾[3]، وَقَالَ: ﴿**قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ**﴾[4].

---

(١) سيأتي بيان هذه الكلام إن شاء الله في باب قادم.

(٢) يوسف/ ٣٠

(٣) يوسف/ ٧٨

(٤) يوسف/ ٨٨

فَلَيْسَ عِزَّةُ خَالِقِنَا الْعِزَّةَ الَّتِي هِيَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ، كَعِزَّةِ الْمَخْلُوقِينَ الَّذِينَ أَعَزَّهُمُ اللَّهُ بِهَا.

وَلَوْ كَانَ كُلُّ اسْمٍ سَمَّى اللَّهُ لَنَا بِهِ نَفْسَهُ، وَأَوْقَعَ ذَلِكَ الِاسْمَ عَلَى بَعْضِ خَلْقِهِ، كَانَ ذَلِكَ تَشْبِيهَ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ عَلَى مَا تَوَهَّمَ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةُ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ؛ لَكَانَ كُلُّ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَصَدَّقَهُ بِقَلْبِهِ أَنَّهُ قُرْآنٌ وَوَحْيٌ وَتَنْزِيلٌ؛ قَدْ شَبَّهَ خَالِقَهُ بِخَلْقِهِ.[1]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَكُلُّ مَنْ فَهِمَ عَنِ اللَّهِ خِطَابَهُ، يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْأَسَامِي الَّتِي هِيَ لِلَّهِ تَعَالَى أَسَامِي، بَيَّنَ اللَّهُ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مِمَّا قَدْ أَوْقَعَ تِلْكَ الْأَسَامِيَ عَلَى بَعْضِ الْمَخْلُوقِينَ، لَيْسَ عَلَى مَعْنَى تَشْبِيهِ الْمَخْلُوقِ بِالْخَالِقِ، لِأَنَّ الْأَسَامِيَ قَدْ تَتَّفِقُ، وَتَخْتَلِفُ الْمَعَانِي.

فَتَفَهَّمُوا يَا ذَوِي الْحِجَا مَا بَيَّنْتُ فِي هَذَا الْفَصْلِ، تَعْلَمُوا وَتَسْتَيْقِنُوا: أَنَّ

---

(١) قد أطال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الباب جدًّا، وذكر بعضًا من الأسماء التي سمى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها نفسه، وتسمى بها عباده، فقد رأيت أن أكتفي بهذا القدر مراعاة الاختصار.

لِخَالِقِنَا عَزَّ وَجَلَّ أَسَامٍ، قَدْ تَقَعُ تِلْكَ الْأَسَامِي عَلَى بَعْضِ خَلْقِهِ فِي اللَّفْظِ، لَا عَلَى الْمَعْنَى، عَلَى مَا قَدْ بَيَّنْتُ فِي هَذَا الْفَصْلِ مِنَ الْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَلُغَةِ الْعَرَبِ.

فَإِنْ كَانَ عُلَمَاءُ الْآثَارِ الَّذِينَ يَصِفُونَ اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مُشَبِّهَةً عَلَى مَا تَزْعُمُ الْجَهْمِيَّةُ الْمُعَطِّلَةُ؛ فَكُلُّ أَهْلِ الْقِبْلَةِ إِذَا قَرَءُوا كِتَابَ اللَّه ، فَآمَنُوا بِهِ بِإِقْرَارٍ بِاللِّسَانِ، وَتَصْدِيقٍ بِالْقَلْبِ، وَسَمَّوُا اللَّهَ بِهَذِهِ الْأَسَامِي الَّتِي خَبَّرَ اللَّهُ بِهَا أَنَّهَا لَهُ أَسَامِي، وَسَمَّوْا هَؤُلَاءِ الْمَخْلُوقِينَ بِهَذِهِ الْأَسَامِي الَّتِي سَمَّاهُمُ اللَّهُ بِهَا، هُمْ مُشَبِّهَةٌ؛ فَعَوْدُ مَقَالَتِهِمْ هَذِهِ تُوجِبُ أَنَّ عَلَى أَهْلِ التَّوْحِيدِ الْكُفْرَ بِالْقُرْآنِ، وَتَرْكَ الْإِيمَانِ بِهِ، وَتَكْذِيبَ الْقُرْآنِ بِالْقُلُوبِ، وَالْإِنْكَارَ بِالْأَلْسُنِ.

فَأَقْذِرْ بِهَذَا مِنْ مَذْهَبٍ، وَأَقْبِحْ بِهَذِهِ الْوُجُوهِ عِنْدَهُمْ، عَلَيْهِم لَعَائِنُ اللَّهِ وَعَلَى مَنْ يُنْكِرُ جَمِيعَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، وَالْكُفْرَ بِجَمِيعِ مَا ثَبَتَ عَنْ نَبِيِّنَا الْمُصْطَفَى ﷺ بِنَقْلِ أَهْلِ الْعَدَالَةِ مَوْصُولًا إِلَيْهِ فِي صِفَاتِ الْخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا.

[ر/٩٨- ح/٤١- ش(١/٨١)- ز(١/٩١)- ي/٧٣]

بَابُ ذِكْرِ أَخْبَارٍ رُوِيَتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ تَأَوَّلَهَا بَعْضُ مَنْ لَمْ يَتَحَرَّ الْعِلْمَ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهَا فَفَتَنَ عَالِمًا مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالْغَبَاوَةِ حَمَلَهُمُ الْجَهْلُ بِمَعْنَى الْخَبَرِ عَلَى الْقَوْلِ بِالتَّشْبِيهِ جَلَّ وَعَلَا عَنْ أَنْ يَكُونَ وَجْهُ خَلْقٍ مِنْ خَلْقِهِ مِثْلَ وَجْهِهِ الَّذِي وَصَفَهُ اللَّهُ بِالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ وَنَفَى الْهَلَاكَ عَنْهُ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: "**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ لِأَحَدٍ: قَبَّحَ اللَّهُ وَجْهَكَ، وَوَجْهًا أَشْبَهَ وَجْهَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**".(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**".(٢)

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: تَوَهَّمَ بَعْضُ مَنْ لَمْ يَتَحَرَّ الْعِلْمَ أَنَّ قَوْلَهُ: "**عَلَى صُورَتِهِ**"

---

(١) **حسن**: البخاري (صحيح الأدب المفرد/٧٩).

(٢) **صحيح**: مسلم (٢٦١٢).

يُرِيدُ صُورَةَ الرَّحْمَنِ، عَزَّ رَبُّنَا وَجَلَّ عَنْ أَنْ يَكُونَ هَذَا مَعْنَى الْخَبَرِ. (١)

---

(١) هذا الموضع من الكتاب يعد من الأخطاء التي وقع فيها الإمام ابن خزيمة ﷺ، وقد تعقب الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تأويله حديث الصورة فقال: وكتابه في التوحيد مجلد كبير، وقد تأول في ذلك حديث الصورة، فليعذر من تأول الصفات.اهـ (السير: ١٤/ ٣٧٤).

وصفة الصورة ثابتة لله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قال أبو محمد البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكل ما سمعت من الآثار شيئا مما لم يبلغه عقلك، نحو قول رسول الله ﷺ: "**قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ**"...وقوله: "**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**"، وقول رسول الله ﷺ: "**رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ**" وأشباه هذه الأحاديث، فعليك بالتسليم، والتصديق، والتفويض، والرضى، ولا تفسر شيئا من هذه بهواك، فإن الإيمان بهذا واجب، فمن فسر شيئا من هذا بهواه أو رده فهو جهمي. (شرح السنة/ ٣٦).

وقال ابن قتيبة الدينوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والذي عندي -والله تعالى أعلم-: أن الصورة ليست بأعجب من اليدين، والأصابع، والعين، وإنما وقع الإلف لتلك، لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه، لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد. (تأويل مختلف الحديث/ ٢٩١).

=

=

وقال ابن بطة العكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب الإيمان بأن الله عز وجل خلق آدم على صورته بلا كيف.

قال الشيخ: وكل ما جاء من هذه الأحاديث، وصحت عن رسول الله ﷺ ففرض على المسلمين قبولها، والتصديق بها، والتسليم لها، وترك الاعتراض عليها، وواجب على من قبلها، وصدق بها أن لا يضرب لها المقاييس، ولا يتحمل لها المعاني والتفاسير، لكن تمر على ما جاءت، ولا يقال فيها: لم؟ ولا كيف؟ إيمانا بها وتصديقا، ونقف من لفظها وروايتها حيث وقف أئمتنا وشيوخنا، وننتهي منها حيث انتهى بنا، كما قال المصطفى نبينا ﷺ بلا معارضة، ولا تكذيب، ولا تنقير، ولا تفتيش، والله الموفق، وهو حسبنا ونعم الوكيل، فإن الذين نقلوها إلينا هم الذين نقلوا إلينا القرآن وأصل الشريعة، فالطعن عليهم، والرد لما نقلوه من هذه الأحاديث؛ طعن في الدين، ورد لشريعة المسلمين، ومن فعل ذلك فالله حسيبه، والمنتقم منه بما هو أهله. (الإبانة الكبرى:٧/ ٢٤٤).

وقال أبو بكر الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (الشريعة:١/ ٦٧٥): حدثنا أبو محمد عبد الله بن العباس الطيالسي، حدثنا إسحاق بن منصور الكوسج قال: قلت لأحمد يعني ابن حنبل: **"يَنْزِلُ رَبُّنَا تبارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا"** أليس تقول بهذه الأحاديث **"وَيَرَاهُ أَهْلُ الجَنَّةِ يَعْنِي رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ"** **"وَلَا تُقَبِّحُوا**

=

=

الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ"، "**وَاشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى وَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ**"، "**وَإِنَّ مُوسَى لَطَمَ مَلَكَ الْمَوْتِ**"؟ قال أحمد: كل هذا صحيح.

قال إسحاق: هذا صحيحٌ، ولا يدفعه إلا مبتدع، أو ضعيف الرأي.

وقال في موضع آخر: باب الإيمان بأن الله عز وجل خلق آدم على صورته بلا كيف. وساق الأحاديث. (الشريعة:١/٦٨٧)

وقال بعد ذكر حديث "**لَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ، فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ**": هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها، ولا يقال فيها: كيف؟ ولم؟ بل تستقبل بالتسليم والتصديق، وترك النظر، كما قال من تقدم من أئمة المسلمين. (الشريعة:١/٦٩١)

وقال أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فجميع ما ورد من الأحاديث في الصفات: مثل: "**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**"...وسائر أحاديث الصفات، فما صح من أحاديث الصفات عن رسول الله ﷺ اجتمع الأئمة على أن تفسيرها قراءتها، قالوا: أمروها كما جاءت. (الحجة في بيان المحجة: ١/١٤٧:١٤٨).

وقال في موضع آخر: فصل في الرد على الجهمية الذي أنكروا صفات الله عز وجل، وسموا أهل السنة مشبهة، وليس قول أهل السنة أن لله وجها ويدين وسائر ما أخبر

=

=

الله تعالى به عن نفسه موجبا تشبيهه بخلقه، وليس روايتهم حديث النبي ﷺ: "**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**" بموجبه نسبة التشبيه إليهم، بل كل ما أخبر الله به عن نفسه، وأخبر به رسول الله ﷺ فهو حق، قول الله حق، وقول رسوله حق، والله أعلم بما يقول ورسوله ﷺ أعلم بما قال، وإنما علينا الإيمان والتسليم، وحسبا الله ونعم الوكيل. (الحجة في بيان المحجة: ١/٢٠٢).

وقال في موضع آخر: ومن مذهب أهل السنة: إن كل ما سمعه المرء من الآثار مما لم يبلغه عقله نحو حديث النبي ﷺ: "**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**" وأشباه ذلك فعليه التسليم والتصديق، والتفويض والرضا، ولا يتصرف في شيء منها برأيه وهواه من فسر من ذلك شيئا برأيه وهواه أخطأ وضل. (الحجة في بيان المحجة: ٢/٥٠١).

وقال أبو يعلى الفراء رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعلم أن هذا حديث صحيح، قال أحمد في رواية ابن منصور: "**لَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**"، وإذا ثبت صحته؛ فغير ممتنع الأخذ بظاهره من غير تفسير ولا تأويل. (إبطال التأويلات/٧٩).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله، فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة. (بيان تلبيس الجهمية: ٦/٣٧٣).

=

بَلْ مَعْنَى قَوْلِهِ: "**خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**" الْهَاءُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كِنَايَةٌ عَنِ اسْمِ الْمَضْرُوبِ وَالْمَشْتُومِ.(١)

=

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: "**خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ**" لم يرد به تشبيه الرب وتمثيله بالمخلوق، وإنما أراد به تحقيق الوجه وإثبات السمع، والبصر، والكلام، صفة ومحلا، والله أعلم. (مختصر الصواعق المرسلة/٥٣٩).

قلت (أبو سفيان): وقد وردت صفة الصورة في مواضع أخرى صحيحة.

فعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: "**أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ**" قال: أَحسبُه قال: "**فِي الْمَنَامِ**" (الترمذي/٣٢٣٣) وصححه الألباني.

ففي هذا الحديث نصٌّ صريح في إضافة الصورة إلى الله تعالى.

فصورة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هي ذاته المتصفة بصفات، وهكذا صورة آدم فهي ذاته المتصفة بصفات، فآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ صورته على صورة الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، من حيث كونه ذات لها صفات، والله أعلم.

وقد ذكر الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ الحديث: "**عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ**" وأعله ببعض العلل، وسيرد الجواب عليها في موضعها إن شاء الله تعالى.

(١) اختلف أهل العلم في عود الضمير في قوله: "**عَلَى صُورَتِهِ**" على قولين:

=

=

القول الأول: أن الضمير في قوله: "**عَلَى صُورَتِهِ**" عائد على غير الله تعالى: فيكون قوله: "**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**" عائد على المضروب، وقال بهذا القول:

ابن حبان في (صحيحه:١٢/ ٤٢٠).

وابن حجر (الفتح:٥/١٨٣).

والبيهقي في (الأسماء والصفات:٢/٧٥٩) رَحِمَهُمُ اللَّهُ جميعًا.

وقال ابن منده رَحِمَهُ اللَّهُ: اختلف أهل التأويل في معنى هذا الحديث، وتكلموا على ضروب شتى، والأحسن منها: أن الله تعالى خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ على معناه: لم يخلقه طفلًا، ثم صبيًا، ثم شابًا، ثم كهلًا ، ثم شيخًا، هو الأصح منها ما جاء عن النبي ﷺ.اهـ (التوحيد:١/٢٢٢-٢٢٣).

والقول الثاني: أن الضمير عائد على الله تعالى، وهو المشهور عند أهل العلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله، فإنه مستفيض من طرق متعددة من الصحابة، وسياق الأحاديث كلها يدل على ذلك...ولكن لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة جعل طائفة الضمير فيه عائدًا إلى غير الله تعالى، حتى نقل ذلك طائفة

=

أَرَادَ ﷺ: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ هَذَا الْمَضْرُوبِ الَّذِي أَمَرَ الضَّارِبَ بِاجْتِنَابِ وَجْهِهِ بِالضَّرْبِ، وَالَّذِي قَبَّحَ وَجْهَهَ، فَزَجَرَ ﷺ أَنْ يَقُولَ: "**وَوَجْهَ مَنْ أَشْبَهَ وَجْهَكَ**" لِأَنَّ وَجْهَ آدَمَ شَبِيهُ وُجُوهِ بَنِيهِ.

فَإِذَا قَالَ الشَّاتِمُ لِبَعْضِ بَنِي آدَمَ: قَبَّحَ اللَّهُ وَجْهَكَ وَوَجْهَ مَنْ أَشْبَهَ وَجْهَكَ، كَانَ مُقَبِّحًا وَجْهَ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ، الَّذِي وُجُوهُ بَنِيهِ شَبِيهَةٌ بِوَجْهِ أَبِيهِمْ.

فَتَفَهَّمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ مَعْنَى الْخَبَرِ، لَا تَغْلَطُوا وَلَا تُغَالِطُوا، فَتَضِلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَتَحْمِلُوا عَلَى الْقَوْلِ بِالتَّشْبِيهِ؛ الَّذِي هُوَ ضَلَالٌ.(١)

=

من العلماء المعروفين بالعلم والسنة في عامة أمورهم، كأبي ثور، وابن خزيمة، وأبي الشيخ الأصبهاني، وغيرهم، ولذلك أنكر عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السنة.اهـ (بيان تلبيس الجهمية:٣٩٦/٢:٣٩٩).

(١) قلت: رحم الله الإمام وغفر له، لو لم يقل هذه اللفظة !

كنت أقول لبعض إخواني: إن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما وقع في التشبيه ولا أوَّل الصفة، ولكنه تصرف في هذا الحديث كما تصرف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله

=

=

تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، فقال: الوجه هنا القبلة، وكان لكلامي هذا توجيه وهو:

أن ظاهر الكلام يفهم بطريقتين:

الطريقة الأولى: الظاهر الإفرادي.

الطريقة الثانية: الظاهر التركيبي.

أما الظاهر الإفرادي: وهو أن نفهمَ الكلام بألفاظه المفردة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الصمد/١) فظاهر الآية أن الله أحد، وكقول الرجل لأخيه، رأيت ذئبًا بالأمس، فالكلام مفهوم بمفرداته، فرأيت بمعنى أنها رؤية العين، وذئبًا وهو الحيوان، والأمس هو ما قبل اليوم، وهكذا.

أما الظاهر التركيبي، فهو ما يفهم من تركيبه لا من لفظه، كقوله تعالى عن إخوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (يوسف/٨٢) فالمراد أن يسأل أهل القرية لا بنايات القرية، وأن يسأل أصحاب العير لا العير، فمفهوم الكلام هنا يكون من تركيبه لا من مفرداته.

ولتوضيح أكثر أقول: إن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ثبت عنه بالتواتر إثبات صفة الوجه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكنه في قوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ قال: هذه ليست من آيات الصفات، وذلك لأن الإمام نظر إلى تركيب الكلام.

=

=

فالله تعالى يقول قبل هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤) وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة/١١٤:١١٥)، فالآيات تدور حول الصلاة، والتوجه لله تعال ، فنظر شيخ الإسلام إلى تركيب الكلام فقال: ﴿وَجْهُ اللَّهِ﴾ قبلة الله.

وعلى هذا فقد كنت أقيس فعل الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ على فعل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فكنت أقول: إن ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يأوِّل حديث الصورة، وإنما نظر إلى الظاهر التركيبي، فكان نفيه لمفهوم الحديث لا للصورة.

وكنت أظن ذلك، لأن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر الصورة في تبويب له فقال: (**بَابُ ذِكْرِ صُورَةِ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلَا وَصِفَةِ سُبُحَاتِ وَجْهِهِ عَزَّ وَجَلَّ**)، وذكر حديث الحشر، وأن الله يأتي العباد يوم القيامة في صورة غير التي رأوها من قبل.

ولكن قول الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**لَا تَغْلَطُوا وَلَا تُغَالِطُوا فَتَضِلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَتَحْمِلُوا عَلَى الْقَوْلِ بِالتَّشْبِيهِ الَّذِي هُوَ ضَلَالٌ**) جعلني في غاية الحيرة، خاصة وقد وقع في نفس الخطأ عند نفيه صفة الشمال، وسيأتي الكلام عندها إن شاء الله تعالى.

وأحسن ما قيل في الرد على هذا الجبل، كلام الجبل الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال:

=

وَقَدْ رُوِيَتْ فِي نَحْوِ هَذَا لَفْظَةٌ أَغْمَضُ، يَعْنِي مِنَ اللَّفْظَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي خَبَرِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَهُوَ مَا :

حَدَّثَنَا بِهِ يُوسُفُ بْنُ مُوسَى قَالَ: ثنا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"لَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ"** .

وَرَوَى الثَّوْرِيُّ، هَذَا الْخَبَرَ مُرْسَلًا غَيْرَ مُسْنَدٍ:

حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى قَالَ: ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: ثنا سُفْيَانُ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"لَا يُقَبَّحُ الْوَجْهُ فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ"** .

=

وكتابه في التوحيد مجلد كبير، وقد تأول في ذلك حديث الصورة، فليعذر من تأول الصفات...-ثم قال معلمًا من بعده الأدب مع أهل العلم-: ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده مع صحة إيمانه، وتوخيه لاتباع الحق أهدرناه وبدعناه، لقل من يسلم من الأئمة معنا رحم الله الجميع بمنه وكرمه.اهـ (السير:١٤/٣٧٤).

وهذا أدب ينبغي لمثلي أن يتأدب به.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَقَدِ افْتُتِنَ بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ الَّتِي فِي خَبَرِ عَطَاءٍ عَالَمٌ، مِمَّنْ لَمْ يَتَحَرَّ الْعِلْمَ، وَتَوَهَّمُوا أَنَّ إِضَافَةَ الصُّورَةِ إِلَى الرَّحْمَنِ فِي هَذَا الْخَبَرِ مِنْ إِضَافَةِ صِفَاتِ الذَّاتِ، فَغَلَطُوا فِي هَذَا غَلَطًا بَيِّنًا، وَقَالُوا مَقَالَةً شَنِيعَةً مُضَاهِيَةً لِقَوْلِ الْمُشَبِّهَةِ، أَعَاذَنَا اللَّهُ وَكُلَّ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَوْلِهِمْ.

وَالَّذِي عِنْدِي فِي تَأْوِيلِ هَذَا الْخَبَرِ إِنْ صَحَّ مِنْ جِهَةِ النَّقْلِ مَوْصُولًا: فَإِنَّ فِي الْخَبَرِ عِلَلًا ثَلَاثًا:

إِحْدَاهُنَّ: أَنَّ الثَّوْرِيَّ قَدْ خَالَفَ الْأَعْمَشَ فِي إِسْنَادِهِ، فَأَرْسَلَ الثَّوْرِيُّ وَلَمْ يَقُلْ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ.(١)

وَالثَّانِيَةُ: أَنَّ الْأَعْمَشَ مُدَلِّسٌ، لَمْ يُذْكَرْ أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي

---

(١) قال العلامة المحدث الشيخ عبد الله بن محمد بن أحمد الدويش رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والجواب عن العلة الأولى؛ وهي أن سفيان أرسله: فهذا لا يضره، لأن الأعمش ثقة حافظ وكان يسمى المصحف، فلا يضره مخالفة الثوري له، لأن معه زيادة علم ومن حفظ حجة على من لم يحفظ.اهـ (دفاع أهل السنة والإيمان عن حديث خلق آدم على صورة الرحمن/٧).

ثَابِتٍ.[١]

وَالثَّالِثَةُ: أَنَّ حَبِيبَ بْنَ أَبِي ثَابِتٍ أَيْضًا مُدَلِّسٌ، لَمْ يُعْلَمْ أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْ عَطَاءٍ.[٢]

---

(١) قال العلامة: أما تعليله لتدليس الأعمش: فلا يضر، لأنه من الطبقة الثانية من المدلسين، وقد احتمل الأئمة تدليسهم، وأخرجوا لهم في الصحيح، كما أشار إلى ذلك الحافظ بن حجر في كتابه (تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس/٦٧).اهـ (دفاع أهل السنة والإيمان/٧:٨).

قال الدكتور الدبيخي: ثم إن الثوري قد تابع الأعمش في رواية هذا الحديث عن حبيب بن أبي ثابت، كما هو عند ابن خزيمة إلا أنه مرسل، وقد صحح الألباني إسناده.اهـ (أحاديث العقيدة/١٣٢).

(٢) قال الدكتور الدبيخي: فإنه وإن كان معروفًا بالتدليس ، إلا أن الذي يترجح في روايته هذه أنه لم يدلس فيها، وأنه قد سمعه من عطاء وإن لم يصرح بذلك، ويدل على ذلك أنه كان يروي عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فلو كان قد دلس في هذا الحديث لكان جديرًا أن يرويه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بدون واسطة، ليحصل له بذلك علو الإسناد، ولكن لمَّا رواه عن عطاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، دلّ ذلك على أنه لم يدلس

=

=

في روايته.اهـ (أحاديث العقيدة/ ١٣٢).

قلت (أبو سفيان): وهناك علة رابعة، ذكرها الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومما يجدر ذكره؛ أن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذهب مذهب ابن خزيمة في تأويل صفة الصورة فقد سُئل الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إلى من يرجع الضمير في قوله ﷺ: "**إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**"؟ فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا حديث لا يحتاج في علمي إلى تأويل؛ لأن الإمام البخاري رواه في صحيحه بتتمة تغني عن التأويل، وهي: "**إِنَّ اللهَ خَلَقَ آَدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولَهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا**"، فالضمير لا يعود إلى الله ، وإنما على آدم -والإمام الألباني هنا لم يقع في التشبيه بل فهم الحديث كما ذكرت كفهم شيخ الإسلام للآية- أما الحديث المذكور في بعض كتب السنن، بلفظ: "**وَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آَدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ...**" فهذا ضعيف بهذا اللفظ، لأنه من رواية حبيب بن أبي ثابت وهو مدلس، وقد رواه معنعنًا في كل الطرق التي وقفت عليها، وكلها تدور عليه.اهـ (الشيخ الألباني ومنهجه في تقرير مسائل الاعتقاد/ ١٨٥) اهـ.

أما العلة الرابعة فهي: قال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والعلة الرابعة هي: جرير بن عبد الحميد، فإنه وإن كان ثقة كما تقدم، فقد ذكر الذهبي في ترجمته من الميزان: أن البيهقي ذكر في سننه في ثلاثين حديثا لجرير بن عبد الحميد قال: قد نسب في آخر عمره إلى سوء الحفظ.اهـ (سلسلة الأحاديث الضعيفة:٣/ ٣١٧).

=

سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ يَقُولُ: ثنا أَبُو بَكْرِ ابْنُ عَيَّاشٍ، عَنِ الأَعْمَشِ قَالَ: قَالَ حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ: لَوْ حَدَّثَنِي رَجُلٌ عَنْكَ بِحَدِيثٍ لَمْ أُبَالِ أَنْ أَرْوِيَهُ عَنْكَ، يُرِيدُ لَمْ أُبَالِ أَنْ أُدَلِّسَهُ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمِثْلُ هَذَا الْخَبَرِ لَا يَكَادُ يَحْتَجُّ بِهِ عُلَمَاؤُنَا مِنْ أَهْلِ الأَثَرِ، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الْخَبَرُ فِي مِثْلِ هَذَا الْجِنْسِ، فِيمَا يُوجِبُ الْعِلْمَ لَوْ ثَبَتَ، وَلَا فِيمَا يُوجِبُ الْعَمَلَ بِمَا قَدْ يُسْتَدَلُّ عَلَى صِحَّتِهِ وَثُبُوتِهِ بِدَلَائِلَ مِنْ نَظَرٍ، وَتَشْبِيهٍ، وَتَمْثِيلٍ بِغَيْرِهِ مِنْ سُنَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ طَرِيقِ الأَحْكَامِ وَالْفِقْهِ.

=

قال العلامة الدويش رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما ما ذكره -أي الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ- من العلة الرابعة، وهي: أن جريرًا نُسب في آخر عمره إلى سوء الحفظ، فجوابه أن يقال: أن هذا الحديث قد رواه عن جرير أئمة حفاظ مثل إسحاق بن راهوية، وقد جزم بصحة الحديث، وأبي معمر، وإسماعيل بن موسى، وهارون بن معروف وغيرهم، ولم يذكر أحد منهم أنه أخطأ فيه، بل رووه قابلين له، وتلقاه عنهم العلماء بالقبول، فهذا برهان واضح أن جريرًا قد حفظه ، هذا لو لم يروه غير جرير، فكيف وقد رواه عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان الثوري، عن حبيب، عن عطاء، إلا أنه أرسله. اهـ (دفاع أهل السنة والإيمان/٨:٩).

فَإِنْ صَحَّ هَذَا الْخَبَرُ مُسْنَدًا، بِأَنْ يَكُونَ: الْأَعْمَشُ قَدْ سَمِعَهُ مِنْ حَبِيبِ ابْنِ أَبِي ثَابِتٍ، وَحَبِيبٌ قَدْ سَمِعَهُ مِنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، وَصَحَّ أَنَّهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَلَى مَا رَوَاهُ الْأَعْمَشُ؛ فَمَعْنَى هَذَا الْخَبَرِ عِنْدَنَا: أَنَّ إِضَافَةَ الصُّورَةِ إِلَى الرَّحْمَنِ فِي هَذَا الْخَبَرِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ إِضَافَةِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، لِأَنَّ الْخَلْقَ يُضَافُ إِلَى الرَّحْمَنِ، إِذِ اللَّهُ خَلَقَهُ، وَكَذَلِكَ الصُّورَةُ تُضَافُ إِلَى الرَّحْمَنِ، لِأَنَّ اللَّهَ صَوَّرَهَا، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ**﴾(١) ، فَأَضَافَ اللَّهُ الْخَلْقَ إِلَى نَفْسِهِ، إِذِ اللَّهُ تَوَلَّى خَلْقَهُ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً**﴾، فَأَضَافَ اللَّهُ النَّاقَةَ إِلَى نَفْسِهِ، وَقَالَ: ﴿**تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ**﴾(٢).

وَقَالَ: ﴿**أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا**﴾(٣).

وقَالَ: ﴿**إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾(١)، فَأَضَافَ اللَّهُ

---

(١) لقمان/١١

(٢) الأعراف/٧٣

(٣) النساء/٩٧

الْأَرْضَ إِلَى نَفْسِهِ، إِذِ اللَّهُ تَوَلَّى خَلْقَهَا فَبَسَطَهَا.

وَقَالَ: ﴿**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾(٢)، فَأَضَافَ اللَّهُ الْفِطْرَةَ إِلَى نَفْسِهِ، إِذِ اللَّهُ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، فَمَا أَضَافَ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ عَلَى مَعْنَيَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: إِضَافَةُ الذَّاتِ.

وَالْآخَرُ: إِضَافَةُ الْخَلْقِ.

فَتَفَهَّمُوا هَذَيْنِ الْمَعْنَيَيْنِ، لَا تَغَالَطُوا.

فَمَعْنَى الْخَبَرِ إِنْ صَحَّ مِنْ طَرِيقِ النَّقْلِ مُسْنَدًا: فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي خَلَقَهَا الرَّحْمَنُ، حِينَ صَوَّرَ آدَمَ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ**﴾(٣).

وَالدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ هَذَا التَّأْوِيلِ:

=

(١) الأعراف/١٢٨

(٢) الروم/٣٠

(٣) الأعراف/١١

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ، وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا**".(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : "**خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ، قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ، وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ، فَاسْمَعْ مَا يُجِيبُونَكَ، وَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، قَالَ: فَذَهَبَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، قَالَ: فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ**".(٢)

---

(١) **صحيح**: انظر الذي بعده.

(٢) **متفق عليه**: البخاري (٦٢٢٧)، مسلم (٢٨٤١)، قال شيخ الإسلام معلقًا على هذا الحديث: فإن قيل: قوله ﷺ: "**خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا**" هذا الحديث إذا حمل على صورة الله تعالى كان ظاهره: أن الله طوله ستون ذراعًا، والله تعالى -كما قال ابن خزيمة- جل أن يوصف بالذرعان والأشبار.

قيل: ليس هذا ظاهر الحديث، ومن زعم أن هذا ظاهر الحديث، فإن الضمير في قوله: "**طُولُهُ**" عائد على آدم الذي قيل فيه: "**خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**"، ثم قال: "**طُولُه**
=

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَصُورَةُ آدَمَ هِيَ سِتُّونَ ذِرَاعًا، الَّتِي أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ: أَنَّ آدَمَ خُلِقَ عَلَيْهَا، لا عَلَى مَا تَوَهَّمَ بَعْضُ مَنْ لَمْ يَتَبَحَّرَ الْعِلْمَ، فَظَنَّ أَنَّ قَوْلَهُ: **"عَلَى صُورَتِهِ"** صُورَةِ الرَّحْمَنِ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ.

جَلَّ وَعَلَا عَنْ أَنْ يُوصَفَ بِالْمُوتَانِ وَالْأَبْشَارِ، قَدْ نَزَّهَ اللَّهُ نَفْسَهُ وَقَدَّسَ عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، فَقَالَ: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[1].

وَهُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ، لَا كَصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْحَيَوَانِ، وَلَا مِنَ الْمُوتَانِ، كَمَا شَبَّهَ الْجَهْمِيَّةُ مَعْبُودَهُمْ بِالْمُوتَانِ، وَلَا كَمَا

=

سُتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ، قَالَ لَهُ: اذْهَبْ إِلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ"، فهذه الضمائر كلها عائدة إلى آدم، وهذا منها أيضا، فلفظ الطول وقدره ليس داخلًا في مسمى الصورة، حتى يقال إذا قيل: "**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**" وجب أن يكون على قدره وطوله. اهـ (بيان تلبيس الجهمية:٢/ ٥٣٤:٥٣٧).

(١) الشورى/١١

شَبَّهَ الْغَالِيَةُ مِنَ الرَّوَافِضِ[1] مَعْبُودَهُمْ بِبَنِي آدَمَ، قَبَّحَ اللَّهُ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ وَقَائِلَهُمَا.

(١) فرقة من فرق الشيعة الضالة، سُموا بهذا الاسم لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لأنهم سألوا زيد بن علي بن الحسين بن علي عن أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: هما شيخا الإسلام، فرفضوه وتركوه، فقال لهم: أنتم الرافضة. انظر: (مقالات الإسلاميين للأشعري/١٣)، و(الملل والنحل للشهرستاني/١٧٦) و(عقائد الثلاث والسبعين فرقة لأبي محمد اليمين:١/١٢٨)، و(الفصل لابن حزم:٣/١٦٧).

[ر/١٠٧- ح/٤٥- ش(١/٩٦)- ز(١/١٠٤)- ي/٨٢]

بَابُ ذِكْرِ إِثْبَاتِ الْعَيْنِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا عَلَى مَا ثَبَّتَهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ لِنَفْسِهِ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ المصطفى ﷺ.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ نُوحٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا**﴾[(١)]، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا**﴾[(٢)]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذِكْرِ مُوسَى: ﴿**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**﴾[(٣)]، وَقَالَ: ﴿**وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾[(٤)].

فَوَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يُثْبِتَ لِخَالِقِهِ وَبَارِئِهِ مَا ثَبَّتَ الْخَالِقُ الْبَارِئُ لِنَفْسِهِ مِنَ الْعَيْنِ، وَغَيْرُ مُؤْمِنٍ مَنْ يَنْفِي عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا قَدْ ثَبَّتَهُ اللَّهُ

---

(١) هود/٣٧

(٢) القمر/١٤

(٣) طه/٣٩

(٤) الطور/٤٨

فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ بِبَيَانِ النَّبِي ﷺ، الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ مُبَيِّناً عَنْهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾[1].

(١) النحل/ ٤٤

[ز (١/١٠٥)][1]

بَابُ ذِكْرِ إِثْبَاتِ الْعَيْنِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا بِبَيَانِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ مُبَيِّنًا عَنْهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[2]

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ لِلَّهِ عَيْنَيْنِ، فَكَانَ بَيَانُهُ مُوَافِقًا لِبَيَانِ مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ، الَّذِي هُوَ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، مَقْرُوءٌ فِي الْمَحَارِيبِ وَالْكَتَاتِيبِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾**[3] رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ

---

(١) هذا العنوان موجود في نسخة (ز) فقط في الطبعة الثانية، وفي نسخة (ر، ح، ي، ش) لم يذكروا هذا العنوان، وذكروا الأحاديث المذكورة في هذا الباب عقب التبويب السابق، وقد نوّه على هذا التبويب الرِّياشي في هامش نسخته (ر)، (هامش٧/ص١٠٧)، ولذلك أوردته.

(٢) النحل/٤٤

(٣) النساء/٥٨

إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ، وَأُصْبُعَهُ الَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَفْعَلُ ذَلِكَ.[1]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "**إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ**".[2]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: "**الدَّجَّالُ هُوَ أَعْوَرُ هِجَانٌ**[3]**، أَشْبَهُ النَّاسِ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ**[4]**، فَأَمَّا هَلَكَ الْهُلَّكُ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**".[5]،[6]

---

(١) **صحيح**: ابن حبان (٢٦٥).

(٢) **متفق عليه**: البخاري (٣٤٣٩)، مسلم (١٦٩).

(٣) الهِجَان: بكسر أوله وتخفيف الجيم، أي أبيض أزهر (الفتح:١٣/١٠٠).

(٤) رجل من بني المُصْطَلق من خُزَاعة، هلك في الجاهلية.

(٥) **صحيح**: أحمد في (المسند:١/٢٤٠/ح٢١٤٨).

(٦) صفة العين صفة خبرية ثابتة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في الكتاب والسنة، ولنا في هذه الصفة مسألة واحدة، وهي: كم عين لله تعالى؟

=

=

وقد وردت صفة العين بصيغة المفرد كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**﴾ (طه/٣٩)، ووردت بصغية الجمع كما في قوله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾ (الطور/٤٨)، ووردت بصيغة المثنى كما في حديث عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ: "**إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ**".

والجمع بين هذه الصيغ الثلاثة: الإفراد، والتثنية، والجمع، هو:

إن صيغة المفرد إذا جاءت مضافة فإنها تفيد العموم، كقول الله تعالى: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ (الضحى/١١)، فجاءت النعمة هنا مفردة مضافة إلى الله تعالى، والمقصود فأما بِنعَمِ الله فحدث، لا نعمة واحدة فقط، هذا ونعم الله لا تعد ولا تحصى.

كذلك قوله تعالى: ﴿**وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**﴾ (طه/٣٩) العين هنا مضافة لياء المخاطب وهو الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والمفرد المضاف يعم، فالعين هنا يفهم منها:

١- جنس الصفة وهي العين.

٢- أعين كثيرة.

٣- عين واحدة.

=

=

هذا وقد وردت صفة العين أيضًا بصيغة الجمع، وهذه الصيغة قد يراد بها الجمع، وقد يراد بها المفرد المعظم، كما في قوله: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ (الحجر/٩)، ومعلوم قطعًا أن الله هو وحده الذي أنزل الذكر، وهو وحده الذي يحفظه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فجاءت صيغة الجمع هنا ويراد بها المفرد المعظم، وهذا كثير في كتاب الله تعالى.

فقوله تعالى: ﴿**فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾ (الطور/٤٨) يفهم منها:

١- جنس الصفة.

٢- أعين كثيرة.

٣- التعظيم والتبجيل لواحدٍ معظم، فتكون دالة على عين واحدة.

وبهذا لا يكون ثَمَّ تعارض بين صيغة الجمع والإفراد، لأن كلا منهما دل على ما يدل عليه الآخر.

وقد وردت صيغة التثنية في السنة النبوية، قال رسول الله ﷺ: "**إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ**"، فدل هذا الحديث على قطعية ثبوت العينين لله تعالى، لأن التثنية اسم عدد مخصوص لا يراد إلا هو، فهو من أسماء الأعداد التي تقصد.

[ر/١١٤- ح/٤٨- ش(١/١٠٦)- ز(١/١١٣)- ي/٨٧]

بَابُ إِثْبَاتِ السَّمْعِ وَالرُّؤْيَةِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا الَّذِي هُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ وَمَنْ كَانَ مَعْبُودُهُ غَيْرَ سَمِيعٍ بَصِيرٍ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْبَصِيرِ يَعْبُدُ غَيْرَ الْخَالِقِ الْبَارِئِ الَّذِي هُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ**﴾(١)، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي قِصَّةِ الْمُجَادَلَةِ: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ**﴾(٢).

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَدْ كُنْتُ أَمْلَيْتُ فِي كِتَابِ الظِّهَارِ خَبَرَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سُبْحَانَ رَبِّي وَبِحَمْدِهِ وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، إِنَّ الْمُجَادِلَةَ(٣) تَشْكُو إِلَى

---

(١) آل عمران/١٨١

(٢) المجادلة/١

(٣) هي خَوْلَةُ بنت ثعلبة الأنصاري، وزوجها هو أَوْسُ بن الصامت أخو عُبَادَة بن الصامت، كان قد ظاهر منها، فقال لها في غضب غير مغلق: أنت علي كظهر أمي، =

النَّبيِّ ﷺ فيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُ كَلَامِهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ**﴾[1]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ**﴾[2].

وَقَدْ أَعْلَمَنَا رَبُّنَا الْخَالِقُ الْبَارِئُ: أَنَّهُ يَسْمَعُ قَوْلَ مَنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَزَعَمَ أَنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ، فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ فِي مَقَالَتِهِمْ تِلْكَ، فَرَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ.

وَخَبَّرَ أَنَّهُ الْغَنِيُّ وَهُمُ الْفُقَرَاءُ، وَأَعْلَمَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ فَكَذَلِكَ خَبَّرَ الْمُؤْمِنِينَ: أَنَّهُ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ الْمُجَادِلَةِ وَتَحَاوُرَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُجَادِلَةِ.

=

وكان الظهار آنذاك يعد طلاقًا، وكانت المرأة ذات أولاد صغار، وتقدم بها السن، فجاءت إلى النبي ﷺ تشكو إليه صنيع زوجها، وذكرت ضعفها وظلت تراجع النبي ﷺ حتى رحمها الله ورحم الأمة من بعدها، وأنزل آيات الظهار، وأن حكمه دون حكم الطلاق.

(١) المجادلة/١، وقد ذكر هذا الأثر البخاري معلقًا (الفتح:٩/١١٧).

(٢) الزخرف/٨٠

وَخبّرَتِ الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّهُ يَخْفَى عَلَيْهَا بَعْضُ كَلَامِ الْمُجَادلَةِ، مَعَ قُرْبِهَا مِنْهَا، فَسَبَّحَتْ خَالِقَهَا الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، وَقَالَتْ: سُبْحَانَ مَنْ وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، فَسَمِعَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا كَلَامَ الْمُجَادِلَةِ، وَهُوَ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، وَقَدْ خَفِيَ بَعْضُ كَلَامِهَا عَلَى مَنْ حَضَرَهَا وَقَرُبَ مِنْهَا.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ لِكَلِيمِهِ مُوسَى وَأَخِيهِ ابْنِ أُمِّهِ هَارُونَ، يُؤَمِّنُهُمَا فِرْعَوْنَ حِينَ خَافَا أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْهِمَا أَوْ أَنْ يَطْغَى: ﴿**إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾(١).

فَأَعْلَمَ الرَّحْمَنُ جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُ سَمِعَ مُخَاطَبَةَ كَلِيمِهِ مُوسَى وَأَخِيهِ هَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَمَا يُجِيبُهُمَا بِهِ فِرْعَوْنَ، وَأَعْلَمَ أَنَّهُ يَرَى مَا يَكُونُ مِنْ كَلَامِ كُلٍّ مِنْهُمْ.

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿**السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾(٢)، وَقَالَ فِي سُورَةِ حم الْمُؤْمِنِ:

---

(١) طه/٤٦

(٢) الإسراء/١

﴿**فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[١].

وَاسْتِقْصَاءُ ذِكْرِ قَوْلِهِ: (**السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**)، (**وَسَمِيعٌ بَصِيرٌ**) يَطُولُ بِذِكْرِ جَمِيعِهِ الْكِتَابُ.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ لِكَلِيمِهِ مُوسَى وَلِأَخِيهِ هَارُونَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا: ﴿**قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ**﴾[٢].

فَأَعْلَمَ جَلَّ وَعَلَا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ مَا يَقُولُ لِكَلِيمِهِ مُوسَى وَأَخِيهِ، وَهَذَا مِنَ الْجِنْسِ الَّذِي أَقُولُ: اسْتِمَاعُ الْخَالِقِ لَيْسَ كَاسْتِمَاعِ الْمَخْلُوقِ.

قَدْ أَمَرَ اللَّهُ أَيْضًا مُوسَى أَنْ يَسْتَمِعَ لِمَا يُوحَى إِلَيْهِ فَقَالَ: ﴿**فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى**﴾[٣]، فَلَفْظُ الِاسْتِمَاعَيْنِ وَاحِدٌ، وَمَعْنَاهُمَا مُخْتَلِفٌ، لِأَنَّ اسْتِمَاعَ الْخَالِقِ غَيْرُ اسْتِمَاعِ الْمَخْلُوقِينَ، عَزَّ رَبُّنَا وَجَلَّ عَنْ أَنْ يُشْبِهَهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَجَلَّ

---

(١) غافر/٥٦

(٢) الشعراء/١٥

(٣) طه/١٣

عَنْ أَنْ يَكُونَ فِعْلُ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ شَبِيهًا بِفِعْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾[1]، وَلَيْسَ رُؤْيَةُ اللَّهِ أَعْمَالَ مَنْ ذَكَرَ عَمَلَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، كَرُؤْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرُؤْيَةِ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَإِنْ كَانَ اسْمُ الرُّؤْيَةِ يَقَعُ عَلَى رُؤْيَةِ اللَّهِ أَعْمَالَهُمْ ، وَعَلَى رُؤْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَرُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَتَدَبَّرُوا أَيُّهَا الْعُلَمَاءُ وَمُقْتَبِسُوا الْعِلْمَ، مُخَاطَبَةَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ أَبَاهُ، وَتَوْبِيخَهُ إِيَّاهُ لِعِبَادَتِهِ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ، تَعْقِلُوا بِتَوْفِيقِ خَالِقِنَا جَلَّ وَعَلَا صِحَّةَ مَذْهَبِنَا، وَبُطْلَانَ مَذْهَبِ مُخَالِفِينَا مِنَ الْجَهْمِيَّةِ الْمُعَطِّلَةِ.

قَالَ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لِأَبِيهِ: ﴿**لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا**﴾[2].

أَفَلَيْسَ مِنَ الْمُحَالِ يَا ذَوِي الْحِجَا، أَنْ يَقُولَ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ لِأَبِيهِ آزَرَ: ﴿**لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ**﴾ وَيَعِيبُهُ بِعِبَادَةِ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ، ثُمَّ

---

(١) التوبة/ ١٠٥

(٢) مريم/ ٤٢

يَدْعُوهُ إِلَى عِبَادَةِ مَنْ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ، كَالْأَصْنَامِ الَّتِي هِيَ مِنَ الْمَوْتَانِ، لَا مِنَ الْحَيَوَانِ أَيْضًا.

فَكَيْفَ يَكُونُ رَبُّنَا الْخَالِقُ الْبَارِئُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ كَمَا يَصِفُهُ هَؤُلَاءِ الْجُهَّالُ الْمُعَطِّلَةُ؟ عَزَّ رَبُّنَا وَجَلَّ عَنْ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ سَمِيعٍ وَلَا بَصِيرٍ، فَهُوَ كَعَابِدِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ، أَوْ كَعَابِدِ الْأَنْعَامِ.[1]

---

(١) يشير ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن نفي الصفة يستلزم ثبوت الضد، وهذه القاعدة، ليست مطردة، بل قد يأتي نفيٌ ولا يراد به ثبوت الضد، فمثلًا: هل يجوز لنا أن نفهم أن لله عز وجل صفة (الأُذن) من الآية: ﴿**أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا**﴾ (الأعراف/١٩٥)كما فعلنا في إثبات السمع والبصر من كلام إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأبيه، فنثب أيضًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: الرجل، واليد، والعين، والأذن، من باب مفهوم المخالفة؟

والجواب: لا، لأن الأصل في إثبات الصفات لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الدليل الثبوتي.

ففي آية إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لا نثبت منها السمع والبصر ابتداءً، بل السمع والبصر ثبتا بدليل مثبت مستقل في مواضع أخر، وصفات الرِّجل، واليد، والعين ثبتوا بدليل ثبوتي مستقل أيضا، أما الأُذن فلم تثبت لله تعالى بدليل ثبوتي، وهذا ما جعل العلماء =

=

رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ لم يعدوها صفة لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومما يزيدك بيانا قول إبراهيم الخليلِ خليلُ الله صلوات الله عليه حين قال لأبيه: ﴿**يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا**﴾ (مريم/٤٢) يعني إبراهيمُ: أن إلهَهُ بخلاف الصنم، يسمع بسمع، ويبصر ببصر، ولو كان على ما أوَّلتَ أيها المَرِيسي، لقال أبو إبراهيم لإبراهيم: فإلهك أيضا لا يسمع بسمع، ولا يبصر ببصر، وكذلك قال في أصنام العرب: ﴿**أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا**﴾ (الأعراف/١٩٥)؛ يعني: أن الله بخلافهم، له يد يبطش بها، وعين يبصر بها، وسمع يسمع به. اهـ (نقض الدارمي /٤٤).

قلت: فقد استدل الإمام هنا بالصفات الثلاث الأُول، ولم يذكر (الأذن) لعدم ثبوت دليل ثبوتي لها.

وقال ابن خزيمة في كتابه هذا: باب ذكر إثبات الرِّجل لله عز وجل: قال الله عز وجل يذكر ما يدعو بعض الكفار من دون الله: ﴿**أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا**﴾ (الأعراف/١٩٥) فأعلمنا ربنا جل وعلا: أن من لا رجل له، ولا يد، ولا عين، ولا سمع، فهو كالأنعام بل هو أضل.اهـ

=

أَلَمْ يَسْمَعُوا قَوْلَ خَالِقِنَا وَبَارِئِنَا: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾(١)، فَأَعْلَمَنَا عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ مَنْ لَا يَسْمَعُ، وَلَا يَعْقِلُ كَالْأَنْعَامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا.

=

وهكذا فعل الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ، لم يذكر صفة (الأذن)، والله أعلى وأعلم.

إذًا ليس كل نفي يراد منه ثبوت كمال الضد، قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ : ليس كل ما نفى عن الله عز وجل وجب أن يوقع عليه ضده.اهـ (الفِصل :٢/٢٨٩:٢٩٠).

وعلى هذا: فالنفي يأتي في الكتاب والسنة ويراد به أحد ثلاث معانٍ:

١- لبيان عموم كماله، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى/١١).

٢- لنفي ما ادعاه في حقه الكاذبون، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ (مريم/٩٢).

٣- لدفع توهم نقص من كماله، كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ (الأنبياء/١٦).

(١) الفرقان/٤٤

[ر/١١٧- ح/٥٠- ش(١/١١٠)- ز(١/١١٧)- ي/٩٠]

بَابُ الْبَيَانِ مِنْ سُنَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى تَثْبِيتِ السَّمْعِ والْبَصَرِ لِلَّهِ مُوَافِقًا لِمَا يَكُونُ مِنْ كِتَابِ رَبِّنَا.

إِذْ سُنَنُهُ ﷺ إِذَا ثَبَتَتْ بِنَقْلِ الْعَدْلِ عَنِ الْعَدْلِ مَوْصُولًا إِلَيْهِ، لَا تَكُونُ أَبَدًا إِلَّا مُوَافِقَةً لِكِتَابِ اللَّهِ، حَاشَا لِلَّهِ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْهَا أَبَدًا مُخَالِفًا لِكِتَابِ اللَّهِ أَوْ لِشَيْءٍ مِنْهُ، فَمَنِ ادَّعَى مِنَ الْجَهَلَةِ: أَنَّ شَيْئًا مِنْ سُنَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا ثَبَتَ مِنْ جِهَةِ النَّقْلِ مُخَالِفٌ لِشَيْءٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَأَنَا الضَّامِنُ بِتَثْبِيتِ صِحَّةِ مَذْهَبِنَا عَلَى مَا أَبُوحُ بِهِ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: "**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ**

عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ: فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي أَمْرَكَ وَبِمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ فَعَلْتُ". فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**".(١)

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَلَمَّا أَقْبَلْنَا وَأَشْرَفْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، كَبَّرَ النَّاسُ تَكْبِيرَةً رَفَعُوا بِهَا أَصْوَاتَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَصَمَّ وَلَا غَائِبٍ**".(٢)

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَاسْمَعُوا يَا ذَوِي الْحِجَا مَا نَقُولُ فِي هَذَا الْبَابِ، وَنَذْكُرُ بُهْتَ الْجَهْمِيَّةِ، وَزُورَهُمْ، وَكَذِبَهُمْ عَلَى عُلَمَاءِ أَهْلِ الْآثَارِ، وَرَمْيَهُمْ خِيَارَ

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (٣٢٣١)، مسلم (١٧٩٥).

(٢) **متفق عليه**: البخاري (٢٩٩٢)، مسلم (٢٧٠٤).

الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، بِمَا اللَّهُ قَدْ نَزَّهَهُمْ عَنْهُ، وَبَرَّأَهُمْ مِنْهُ، بِتَزَوُّرِ الْجَهْمِيَّةِ عَلَى عُلَمَائِنَا إِنَّهُمْ مُشَبِّهَةٌ، فَاسْمَعُوا مَا أَقُولُ وَأُبَيِّنُ مِنْ مَذَاهِبِ عُلَمَائِنَا، تَعْلَمُوا وَتَسْتَيْقِنُوا بِتَوْفِيقِ خَالِقِنَا؛ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُعَطِّلَةَ يَبْهَتُونَ الْعُلَمَاءَ، وَيَرْمُونَهُمْ بِمَا اللَّهُ نَزَّهَهُمْ عَنْهُ.

نَحْنُ نَقُولُ: لِرَبِّنَا الْخَالِقِ عَيْنَانِ، يُبْصِرُ بِهِمَا مَا تَحْتَ الثَّرَى وَتَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى، وَمَا فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، لَا يَخْفَى عَلَى خَالِقِنَا خَافِيَةٌ فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ، وَلَا مِمَّا بَيْنَهُمْ وَلَا فَوْقَهُمْ، وَلَا أَسْفَلَ مِنْهُنَّ، لَا يَغِيبُ عَنْ بَصَرِهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، يَرَى مَا فِي جَوْفِ الْبِحَارِ وَلُجَجِهَا، كَمَا يَرَى عَرْشَهُ الَّذِي هُوَ مُسْتَوٍ عَلَيْهِ.

وَبَنُو آدَمَ وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ عُيُونٌ يُبْصِرُونَ بِهَا، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يَرَوْنَ مَا قَرُبَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ، مِمَّا لَا حِجَابَ وَلَا سِتْرَ بَيْنَ الْمَرْئِيِّ وَبَيْنَ أَبْصَارِهِمْ، وَمَا يَبْعُدُ مِنْهُمْ، وَإِنْ كَانَ يَقَعُ اسْمُ الْقُرْبِ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ، لِأَنَّ الْعَرَبَ الَّتِي خُوطِبْنَا بِلُغَتِهَا قَدْ تَقُولُ: قَرْيَةُ كَذَا مِنَّا قَرِيبَةٌ، وَبَلْدَةٌ كَذَا قَرِيبَةٌ مِنَّا وَمِنْ بَلَدِنَا، وَمَنْزِلُ فُلَانٍ قَرِيبٌ مِنَّا، وَإِنْ كَانَ بَيْنَ الْبَلَدَيْنِ، وَبَيْنَ الْقَرْيَتَيْنِ، وَبَيْنَ الْمَنْزِلَيْنِ فَرَاسِخُ.

وَالْبَصِيرُ مِنْ بَنِي آدَمَ لَا يُدْرِكُ بِبَصَرِهِ شَخْصًا آخَرَ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَبَيْنَهُمَا فَرْسَخَانِ فَأَكْثَرُ، وَكَذَلِكَ لَا يَرَى أَحَدٌ مِنَ الْآدَمِيِّينَ مَا تَحْتَ الْأَرْضِ إِذَا كَانَ فَوْقَ الْمَرْئِيِّ مِنَ الْأَرْضِ وَالتُّرَابِ قَدْرَ أُنْمُلَةٍ، أَوْ أَقَلَّ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا يُغَطَّى وَيُوَارَى الشَّيْءُ، وَكَذَلِكَ لَا يُدْرِكُ بَصَرُهُ إِذَا كَانَ بَيْنَهُمَا حِجَابٌ مِنْ حَائِطٍ، أَوْ ثَوْبٍ صَفِيقٍ، أَوْ غَيْرِهِمَا، مِمَّا يَسْتُرُ الشَّيْءَ عَنْ عَيْنِ النَّاظِرِ.

فَكَيْفَ يَكُونُ يَا ذَوِي الْحِجَا مُشَبِّهًا، مَنْ يَصِفُ عَيْنَ اللَّهِ بِمَا ذَكَرْنَا، وَأَعْيُنُ بَنِي آدَمَ بِمَا وَصَفْنَا؟

وَنَزِيدُ شَرْحًا وَبَيَانًا نَقُولُ: عَيْنُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَدِيمَةٌ، لَمْ تَزَلْ بَاقِيَةً، وَلَا يَزَالُ مَحْكُومٌ لَهَا بِالْبَقَاءِ، مَنْفِيٌّ عَنْهَا الْهَلَاكُ وَالْفَنَاءُ.

وَعُيُونُ بَنِي آدَمَ مُحْدَثَةٌ مَخْلُوقَةٌ، كَانَتْ عَدَمًا غَيْرَ مُكَوَّنَةٍ، فَكَوَّنَهَا اللَّهُ، وَخَلَقَهَا بِكَلَامِهِ، الَّذِي هُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ.

وَقَدْ قَضَى اللَّهُ وَقَدَّرَ أَنَّ عُيُونَ بَنِي آدَمَ تَصِيرُ إِلَى بَلَاءٍ عَنْ قَلِيلٍ، وَاللَّهَ نَسْأَلُ خَيْرَ ذَلِكَ الْمَصِيرِ، وَقَدْ يُعْمِي اللَّهُ عُيُونَ كَثِيرٍ مِنَ الْآدَمِيِّينَ، فَيَذْهَبُ بِأَبْصَارِهَا قَبْلَ نُزُولِ الْمَنَايَا بِهِمْ، وَلَعَلَّ كَثِيرًا مِنْ أَبْصَارِ الْآدَمِيِّينَ قَدْ سَلَّطَ خَالِقُنَا عَلَيْهَا دِيدَانَ الْأَرْضِ حَتَّى تَأْكُلَهَا، وَتُفْنِيهَا بَعْدَ نُزُولِ الْمَنِيَّةِ بِهِمْ، ثُمَّ

يُنْشِئُهَا اللَّهُ بَعْدُ، فَيُصِيبُهَا مَا قَدْ ذَكَرْنَا قَبْلُ فِي ذِكْرِ الْوَجْهِ.

فَمَا الَّذِي يُشَبِّهُ يَا ذَوِي الْحِجَا عَيْنَ اللَّهِ، الَّتِي هِيَ مَوْصُوفَةٌ بِمَا ذَكَرْنَا، عُيُونَ بَنِي آدَمَ الَّتِي وَصَفْنَاهَا بَعْدُ؟

وَلَسْتُ أَحْسَبُ لَوْ قِيلَ لِبَصِيرٍ لَا آفَةَ بِبَصَرِهِ، وَلَا عِلَّةَ بِعَيْنِهِ، وَلَا نَقْصَ بَلْ هُوَ أَعْيَنُ، أَكْحَلُ، أَسْوَدُ الْحَدَقِ، شَدِيدُ بَيَاضِ الْعَيْنَيْنِ، أَهْدَبُ الْأَشْفَارِ: عَيْنُكَ كَعَيْنِ فُلَانٍ الَّذِي هُوَ صَغِيرُ الْعَيْنِ، أَزْرَقُ، أَحْمَرُ بَيَاضِ الْعَيْنَيْنِ، قَدْ تَنَاثَرَتْ أَشْفَارُهُ وَسَقَطَتْ، أَوْ كَانَ أَخْفَشَ الْعَيْنِ، أَزْرَقَ، أَحْمَرَ بَيَاضِ شَحْمِهَا، يَرَى الْمَوْصُوفُ الْأَوَّلُ الشَّخْصَ مِنْ بَعِيدٍ، وَلَا يَرَى الثَّانِي مِثْلَ ذَلِكَ الشَّخْصِ مِنْ قَدْرِ عُشْرِ مَا يَرَى الْأَوَّلُ، لِعِلَّةٍ فِي بَصَرِهِ، أَوْ نَقْصٍ فِي عَيْنِهِ ؛ إِلَّا غَضِبَ مِنْ هَذَا، وَأَنِفَ مِنْهُ، فَلَعَلَّهُ يُخْرِجُ إِلَى الْقَائِلِ لَهُ ذَلِكَ إِلَى الْمَكْرُوهِ مِنَ الشَّتْمِ وَالْأَذَى.

وَلَسْتُ أَحْسَبُ عَاقِلًا يَسْمَعُ هَذَا الْمُشَبِّهَ عَيْنَيْ أَحَدِهِمَا بِعَيْنَيِ الْآخَرِ، إِلَّا هُوَ يُكَذِّبُ هَذَا الْمُشَبِّهَ عَيْنَ أَحَدِهِمَا بِعَيْنِ الْآخَرِ، وَيَرْمِيهِ بِالْعَتَهِ وَالْخَبَلِ، وَالْجُنُونِ، وَيَقُولُ لَهُ: لَوْ كُنْتَ عَاقِلًا يَجْرِي عَلَيْكَ الْقَلَمُ لَمْ تُشَبِّهْ عَيْنَيْ أَحَدِهِمَا بِعَيْنَيِ الْآخَرِ، وَإِنْ كَانَا جَمِيعًا يُسَمَّيَانِ بَصِيرَيْنِ، إِذْ لَيْسَا بِأَعْمَيَيْنِ، وَيُقَالُ:

لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، فَكَيْفَ لَوْ قِيلَ لَهُ: عَيْنُكَ كَعَيْنِ الْخِنْزِيرِ، أَوْ الْقِرْدِ، أَوْ الدُّبِّ، أَوْ الْكَلْبِ، أَوْ غَيْرِهَا مِنَ السِّبَاعِ، أَوْ هَوَامِّ الْأَرْضِ، وَالْبَهَائِمِ.

فَتَدَبَّرُوا يَا ذَوِي الْأَلْبَابِ، أَبَيْنَ عَيْنَيْ خَالِقِنَا الْأَزَلِيِّ، الدَّائِمِ، الْبَاقِي، الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ، وَبَيْنَ عَيْنَيِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْفُرْقَانِ أَكْثَرُ؟ أَوْ مِمَّا بَيْنَ أَعْيُنِ بَنِي آدَمَ، وَبَيْنَ عُيُونِ مَا ذَكَرْنَا؟ تَعْلَمُوا وَتَسْتَيْقِنُوا: أَنَّ مَنْ سَمَّى عُلَمَاءَنَا مُشَبِّهَةً غَيْرُ عَالِمٍ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، وَلَا يَفْهَمُ الْعِلْمَ، إِذْ لَمْ يَجُزْ تَشْبِيهُ أَعْيُنِ بَنِي آدَمَ بِعُيُونِ الْمَخْلُوقِينَ، مِنَ السِّبَاعِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، وَكُلُّهَا لَهَا عُيُونٌ يُبْصِرُونَ بِهَا، وَعُيُونُ جَمِيعِهِمْ مُحْدَثَةٌ مَخْلُوقَةٌ، خَلَقَهَا اللَّهُ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ عَدَمًا وَكُلُّهَا تَصِيرُ إِلَى فَنَاءٍ وَبِلَى، وَغَيْرُ جَائِزٍ إِسْقَاطِ اسْمِ الْعُيُونِ وَالْأَبْصَارِ عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا.

فَكَيْفَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ لَوْ كَانَتِ الْجَهْمِيَّةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَنْ يَرْمُوا مَنْ يُثْبِتُ لِلَّهِ عَيْنًا بِالتَّشْبِيهِ؟

فَلَوْ كَانَ كُلُّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ الِاسْمُ كَانَ مُشْبِهًا لِمَا يَقَعُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الِاسْمُ؛ لَمْ يَجُزْ قِرَاءَةَ كِتَابِ اللَّهِ، وَوَجَبَ مَحْوُ كُلِّ آيَةٍ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ فِيهَا ذِكْرُ نَفْسِ اللَّهِ،

أَوْ عَيْنِهِ، أَوْ يَدِهِ، وَلَوَجَبَ الْكُفْرُ بِكُلِّ مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذِكْرِ صِفَاتِ الرَّبِّ، كَمَا يَجِبُ الْكُفْرُ بِتَشْبِيهِ الْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ، إِلَّا أَنَّ الْقَوْمَ جَهَلَةٌ، لَا يَفْهَمُونَ الْعِلْمَ، وَلَا يُحْسِنُونَ لُغَةَ الْعَرَبِ، فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ، وَاللَّهَ نَسْأَلُ الْعِصْمَةَ وَالتَّوْفِيقَ وَالرَّشَادَ فِي كُلِّ مَا نَقُولُ وَنَدْعُو إِلَيْهِ.

[ر/١٢٣- ح/٥٣- ش(١/١١٨)- ز(١/١٢٥)- ي/٩٥]

بَابُ ذِكْرِ إِثْبَاتِ الْيَدِ لِلْخَالِقِ الْبَارِئِ جَلَّ وَعَلَا وَالْبَيَانُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ يَدَانِ كَمَا أَعْلَمَنَا فِي مُحْكَم تَنْزِيلِهِ أَنَّهُ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدَيْهِ.

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِإِبْلِيسَ: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾[١]، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا تَكْذِيبًا لِلْيَهُودِ حِينَ قَالُوا: ﴿**يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**﴾ فَكَذَّبَهُمْ فِي مَقَالَتِهِمْ، وَقَالَ: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾[٢].

وَأَعْلَمَنَا أَنَّ ﴿**الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾[٣]، و ﴿**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾[٤]، وَقَالَ: ﴿**فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ**

---

(١) ص/٧٥.

(٢) المائدة/٦٤

(٣) الزمر/٦٧

(٤) الفتح/١٠

مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1]، وَقَالَ: ﴿تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]، وَقَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾[3].

---

(١) يس/٨٣

(٢) آل عمران/٢٦

(٣) يس/٧١

[ر/١٢٤-ح/٥٤- ش(١/١١٩)- ز(١/ ١٢٦)- ي/٩٦]

بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ مِنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ المصطفى ﷺ عَلَى إِثْبَاتِ يَدِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا مُوَافِقًا لِمَا تَلَوْنَا مِنْ تَنْزِيلِ رَبِّنَا لَا مُخَالِفًا قَدْ نَزَّهَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَأَعْلَى دَرَجَتَهُ وَرَفَعَ قَدْرَهُ عَنْ أَنْ يَقُولَ إِلَّا مَا هُوَ مُوَافِقٌ لِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ وَحْيِهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ آدَمُ: يَا مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ**".(١)

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَكَلِيمُ اللَّهِ خَاطَبَ آدَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، عَلَى مَا هُوَ مَحْفُوظٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، مِنْ إِعْلَامِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ: أَنَّهُ خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ.

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (٣٤٠٩)، مسلم (٢٦٥٢).

[ر/١٣٠- ح/٥٦- ش(١/١٢٦)- ز(١/١)]

بَابُ ذِكْرِ قِصَّةٍ ثَانِيَةٍ(١) فِي إِثْبَاتِ يَدِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِسُنَّةٍ صَحِيحَةٍ عَنِ النَّبِيِّ المصطفى ﷺ بَيَانًا أَنَّ اللَّهَ خَطَّ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ لِكَلِيمِهِ مُوسَى وَإِنْ رَغِمَتْ أُنُوفُ الْجَهْمِيَّةِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: "**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ: أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ آدَمُ يَا مُوسَى: اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ تَلُومُ عَلَيَّ أَمْرًا قَدْ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً، قَالَ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ**".(٢)

---

(١) هكذا في (ز)، (ر)، وفي باقي النسخ (ثابتة).

(٢) **متفق عليه**: سبق تخريجه.

[ر/١٣٣-ح/٥٧-ش(١/١٣٤)-ز(١/١٣٣)-ي/١٠٤]

بَابُ ذِكْرِ سُنَّةٍ ثَالِثَةٍ فِي إِثْبَاتِ الْيَدِ لِلَّهِ الْخَالِقِ الْبَارِئِ وَكَتْبِ اللَّهِ بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ: أَنَّ رَحْمَتَهُ تَغْلِبُ غَضَبَهُ.

وَفِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ الَّتِي نَذْكُرُهَا فِي هَذَا الْبَابِ: إِثْبَاتُ صِفَتَيْنِ لِخَالِقِنَا الْبَارِئِ، مِمَّا ثَبَّتَهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَالْإِمَامِ الْمُبِينِ؛ ذَكَرُ النَّفْسِ وَالْيَدِ جَمِيعًا، وَإِنْ رَغِمَتْ أُنُوفُ الْجَهْمِيَّةِ الْمُعَطِّلَةِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**".(١)

(١) **متفق عليه**: البخاري (٧٤٠٤)، مسلم (٢٧٥١).

[ر/١٣٥- ح/٥٨- ش(١/١٣٦)- ز(١/١٣٥)- ي/١٠٦]

بَابُ ذِكْرِ سُنَّةٍ رَابِعَةٍ مُبَيِّنَةٍ لِيَدَيْ خَالِقِنَا عَزَّ وَجَلَّ مَعَ الْبَيَانِ أَنَّ لِلَّهِ يَدَيْنِ كَمَا أَعْلَمَنَا فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ أَنَّهُ خَلَقَ آدَمَ بِيَدَيْهِ وَكَمَا أَعْلَمَنَا أَنَّ لَهُ يَدَيْنِ مَبْسُوطَتَيْنِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الْبَاقِي، فَيَبْسُطُ يَدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَلَا عَبْدٌ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، قَالَ: فَمَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَسْطَعَ الْفَجْرُ، وَقَالَ: فَيَبْسُطُ يَدَهُ: أَلَا عَبْدٌ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ"**.(١)

(١) أحاديث النزول متواتر، وسيأتي الكلام عنها إن شاء الله تعالى.

[ر/١٣٦- ح/٥٩- ش(١/١٣٨)- ز(١/١٣٦)- ي/١٠٧]

بَابُ ذِكْرِ سُنَّةٍ خَامِسَةٍ تُثْبِتُ أَنَّ لِمَعْبُودِنَا يَدًا يَقْبَلُ بِهَا صَدَقَةَ الْمُؤْمِنِينَ عَزَّ رَبُّنَا وَجَلَّ عَنْ أَنْ تَكُونَ يَدُهُ كَيَدِ الْمَخْلُوقِينَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَصَدَّقُ بِالتَّمْرَةِ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا طَيِّبًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ، حَتَّى تَصِيرَ مِثْلَ أُحُدٍ"**.(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَصَدَّقُ بِالتَّمْرَةِ إِذَا كَانَتْ مِنَ الطَّيِّبِ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا طَيِّبًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ فِي كَفِّهِ فَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ أَوْ فَصِيلَهُ، حَتَّى تَعُودَ فِي يَدِهِ مِثْلَ الْجَبَلِ"**.(٢)

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَذِهِ اللَّفْظَةُ يَعْنِي: **"تَعُودُ"** مِنَ الْجِنْسِ الَّذِي أَقُولُ: إِنَّ

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (١٤١٠)، مسلم (١٠١٤) والفُلُو: صغير الفرس، والفَصِيل: صغير الناقة

(٢)**متفق عليه**: انظر السابق، وفي الحديثين إثبات اليد، والكف.

الْعَوْدَ قَدْ يَقَعُ عَلَى الْبَدْءِ، وَأَقُولُ: الْعَرَبُ قَدْ تَقُولُ عَادَ عَلَى مَعْنَى صَارَ.

وَبِيَقِينٍ يُعْلَمُ: أَنَّ تِلْكَ التَّمْرَةَ الَّتِي تَصَدَّقَ بِهَا الْمُتَصَدِّقُ لَمْ تَكُنْ مِثْلَ الْجَبَلِ قَبْلَ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِهَا الْمُتَصَدِّقُ، ثُمَّ صَغُرَتْ، فَصَارَتْ مِثْلَ تَمْرَةٍ تَحْوِيهَا يَدُ الْمُتَصَدِّقِ، ثُمَّ أَعَادَهَا اللَّهُ إِلَى حَالِهَا، فَصَيَّرَهَا كَالْجَبَلِ، وَلَكِنْ كَانَتِ التَّمْرَةُ مِثْلَ تَمْرَةٍ تَحْوِيهَا يَدُ الْمُتَصَدِّقِ، فَلَمَّا تَصَدَّقَ بِهَا؛ صَيَّرَهَا اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ مِثْلَ الْجَبَلِ، فَمَعْنَى قَوْلِهِ: "**حَتَّى تَعُودَ مِثْلَ الْجَبَلِ**" أَيْ تَصِيرُ مِثْلَ الْجَبَلِ.

فَافْهَمُوا سَعَةَ لِسَانِ الْعَرَبِ، لَا تُخْدَعُوا فَتُغَالِطُوا، فَتَتَوَهَّمُوا أَنَّ الْمُظَاهِرَ لَا تَجِبُ عَلَيْهِ الْكَفَّارَةُ إِلَّا بِتَظَاهُرٍ مَرَّتَيْنِ، فَإِنَّ هَذَا الْقَوْلَ خِلَافُ سُنَّةِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ﷺ، وَخِلَافُ قَوْلِ الْعُلَمَاءِ، قَدْ بَيَّنْتُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فِي مَوْضِعِهَا.(١)

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ**﴾ (المجادلة/٣).

[ر/١٤٥- ح/٦٢- ش(١/١٥١)- ز(١/١٤٧)- ي/١١٥]

بَابُ ذِكْرِ صِفَةِ خَلْقِ اللَّهِ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْبَيَانِ الشَّافِي أَنَّهُ خَلَقَهُ بِيَدَيْهِ لَا بِنِعْمَتَيْهِ عَلَى مَا زَعَمَتِ الْجَهْمِيَّةُ الْمُعَطِّلَةُ إِذْ قَالَتْ: إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ بِنِعْمَتِهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ قَبْضَةً فَيَخْلُقُ مِنْهَا بَشَرًا وَهَذِهِ السُّنَّةُ السَّادِسَةُ فِي إِثْبَاتِ الْيَدِ لِلْخَالِقِ الْبَارِئِ جَلَّ وَعَلَا.

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ مِنْهُمُ الْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ، وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ**".(١)

(١) **صحيح**: الترمذي (٢٩٥٥) وصححه الألباني.

[ر/١٤٧- ح/٦٣- ش(١/١٥٤)- ز(١/١٤٩)- ي/١١٧]

بَابُ ذِكْرِ سُنَّةٍ سَابِعَةٍ تُثْبِتُ يَدَ اللهِ وَالْبَيَانُ أَنَّ يَدَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ فَخَبَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أَيْضًا: "أَنَّ يَدَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا" أَيْ فَوْقَ يَدِ الْمُعْطِي وَالْمُعْطَى جَمِيعًا.

عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَلْحَفْتُ فِي الْمَسْأَلَةِ فَقَالَ: **"يَا حَكِيمُ، مَا أَكْثَرَ مَسْأَلَتَكَ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّمَا أَوْسَاخُ أَيْدِي النَّاسِ، وَإِنَّ يَدَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، وَيَدَ الْمُعْطِي الَّتِي تَلِيهَا، وَيَدَ السَّائِلِ أَسْفَلُ مِنْ ذَلِكَ"**.(١)

عَنْ مَالِكِ بْنِ نَضْلَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"الْأَيْدِي ثَلَاثَةٌ: فَيَدُ اللَّهِ الْعُلْيَا، وَيَدُ الْمُعْطِي الَّتِي تَلِيهَا، وَيَدُ السَّائِلِ السُّفْلَى، فَأَعْطِ الْفَضْلَ وَلَا تَعْجَزْ عَنْ نَفْسِكِ"**.(٢)

---

(١) **صحيح**: أحمد في (المسند:٢٤/٣٧/ح١٥٣٢١).

(٢) **صحيح**: أحمد في (المسند:٢٥/٢٢٥/ح١٥٨٩٠).

[ر/١٥٠-ح/٦٤-ش(١/١٥٩)- ز(١/١٥٣)- ي/١٢٠]

بَابُ ذِكْرِ سُنَّةٍ ثَامِنَةٍ تُبَيِّنُ وَتُوَضِّحُ أَنَّ لِخَالِقِنَا جَلَّ وَعَلَا يَدَيْنِ كِلْتَاهُمَا يَمِينَانِ وَلَا يَسَارَ لِخَالِقِنَا عَزَّ وَجَلَّ.(١)

---

(١)يعد هذا التبويب من أخطر تبويبات هذا السفر الجليل، ولولا أني اشترطت على نفسي الاختصار، لأطلت الكلام جدًا في التعليق على هذا الباب خاصة؛ لأهميته وخطورته، ولكن أتكلم فيه عن مسألتين:

الأولى: هل ثبت لله عز وجل في الكتاب أو في السنة الصحيحة صفة الشمال؟

الثانية: هل ما قرره الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب من رد صفة الشمال صحيح؟

أما المسألة الأولى فنقول: إنَّ وصف الله تعالى بصفة من الصفات متوقف على أمرين:

الأول: ثبوتها بنصٍ من الكتاب.

الثاني: ثبوتها بنصٍ صحيح من السنة.

وهذا هو عين كلام الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذ يقول : (**لَمْ أُخَرِّجْ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنَ الْمُقَطَّعَاتِ لِأَنَّ هَذَا - باب الأسماء والصفات- مِنَ الْجِنْسِ الَّذِي نَقُولُ: إِنَّ عِلْمَ هَذَا لَا يُدْرَكُ إِلَّا**

=

=

بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى ﷺ، لَسْتُ أَحْتَجُّ فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ خَالِقِي عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا بِمَا هُوَ مَسْطُورٌ فِي الْكِتَابِ، أَوْ مَنْقُولٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِالْأَسَانِيدِ الصَّحِيحَةِ الثَّابِتَةِ).

وهذا هو قانون الصحابة والسلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ جميعًا؛ أن باب الغيبيات وقْفِيٌّ، ولذا فإن وصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بصفة، أو تسميته باسم؛ متوقف على صحة الدليل، إما من الكتاب، أو من السنة الصحيحة.

وقد وردت صفة الشمال في صحيح مسلم (٢٧٨٨) قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو أسامة، عن عمر بن حمزة، عن سالم بن عبد الله، أخبرني عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "**يَطْوِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟**".

ورواه عبد بن حميد في (المنتخب/٧٤٣) عن أبي بكر بن أبي شيبة عنه به وذكر صفة الشمال، والبيهقي (الأسماء والصفات:٢/٥٥) من طريق أبي بكر بن أبي شيبة بذكر صفة الشمال.

ورواه ابن أبي عاصم في (السنة/٥٤٧) عن أبي بكر بن أبي شيبة بدون ذكر الصفة.

=

=

وتابع أبا بكر بن أبي شيبة كلا من:

١- عثمان بن أبي شيبة، رواه أبو داود (٤٧٣٢) بدون ذكر الشمال.

٢- محمد بن العلاء، رواه أبو داود (٤٧٣٢) قال ابن العلاء: "**بِيَدِهِ الْأُخْرَى**".

٣- الحسن بن حماد الكوفي، رواه أبو يعلى في (المسند/٥٥٥٨) وذكر صفة الشمال.

٤- شعيب بن أيوب الواسطي، رواه أبو الشيخ في (العظمة:٢/٤٥٦) بذكر صفة الشمال.

فمما سبق يتبين لنا تفرد أبو أسامة بروايته عن عمر بن حمزة، عن سالم، عن أبيه واضطرب في لفظة (بشماله)، فقد رواها بعضهم ولم يروها آخرون.

وإليك بيان حال هذا السند :

١- أبو أسامة: حماد بن أسامه بن زيد القرشي، ثقة أخرج له الشيخين.

٢- عمر بن حمزة: هو ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب، قال أحمد: أحاديثه مناكير وضعفة ابن حجر والذهبي رَحِمَهُمَاللَّهُ.

٣- سالم: هو ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ثقة ثبت.

فمدار الحديث على عمر بن حمزة، فهو ضعيف كما تبين، وقد ضعفه النسائي، وذكره =

=

ابن حبان في الثقات، وقال: وكان ممن يخطئ.

وقال البيهقي عقب ذكره لروايته: وذكر (الشمال) فيه تفرد به عمر بن حمزة، عن سالم.

قلت: فلفظ (الشمال) منكر، والله أعلم، وللحديث طرق أخرى صحيحه عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، غير هذا الطريق، بدون لفظ (الشمال).

وعليه فلا يوصف الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بصفة الشمال؛ لعدم صحة الدليل.

أما المسألة الثانية فأقول: إن رد الإمام رَحِمَهُٱللَّهُ لصفة الشمال لكونها من صفات المخلوقين؛ ليس من طريقة السلف رَحِمَهُمُٱللَّهُ، وغفر الله له.

إن أهل السنة والجماعة -والإمام منهم- يثبتون لله تعالى كل ما ثبت في الكتاب والسنة، وينفون عن الله تعالى كل ما نُفي في الكتاب والسنة، من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل، ولا يظنون: أن وصف الله بصفة ما يقتضي تشبيهه بالمخلوقين لمجرد إطلاقها عليهم.

فقول الإمام رَحِمَهُٱللَّهُ : **(إِذِ الْيَسَارُ مِنْ صِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ)** قولًا مردودًا جملة وتفصيلًا، فإن اليمين أيضًا من صفات المخلوقين، والعين، واليد، والوجه، والساق...الخ من الصفات التي وردت في كتابه رَحِمَهُٱللَّهُ، بل الأمر يدور مع الدليل حيث دار.

=

إِذِ الْيَسَارُ مِنْ صِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ، فَجَلَّ رَبُّنَا عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ يَسَارٌ، مَعَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾[1]، أَرَادَ عَزَّ ذِكْرُهُ

=

فطريقة السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ هي إثبات ما ثبت في الكتاب والسنة، ونفي ما نفاه الكتاب والسنة، دون البحث في الكيف، أو توهم المشابهة.

قال أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ قال: قال بعض أهل النّظر: لا يُوصف الله بالصبر، ولا يقال صبور، وقال: الصبر تحمل الشيء، ولا وجه لإنكار هذا الاسم، لأن الحديث قد ورد به، ولولا التَّوقيف لم نقله.

وقال بعض علماء أهل السّنة: معنى الصبور: أنه لا يعاجل بالعقوبة.

وقال: لا يجوز أن يوصف الله بالجميل، ولا وجه لإنكار هذا الاسم أيضا، لأنه إذا صح عن النبي ﷺ، فلا معنى للمعارضة، وقد صح أنه قال ﷺ: "**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ**"، فالوجه إنما هو التسليم والإيمان.

قال بعض العلماء: لا يجوز أن يوصف الله بالسخي لأنه لم يرد به نص، ويوصف بالجواد لأنه ورد به النص. (الحجة في بيان المحجة:٢/٥٢٧)

(١) المائدة/ ٦٤

بِالْيَدَيْنِ، الْيَدَيْنِ لَا النِّعْمَتَيْنِ، كَمَا ادَّعَتِ الْجَهْمِيَّةُ الْمُعَطِّلَةُ[١]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا آدَمُ، وَقَالَ لَهُ: يَا آدَمُ، اذْهَبْ إِلَى أُولَئِكَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَى مَلَأٍ مِنْهُمْ جُلُوسٍ، فَقُلِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ وَبَنِيهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي، وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ، ثُمَّ بَسَطَهَا، فَإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَإِذَا كُلُّ إِنْسَانٍ مَكْتُوبٌ عُمْرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَإِذَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَضْوَؤُهُمْ، أَوْ مِنْ أَضْوَئِهِمْ، لَمْ يُكْتَبْ لَهُ إِلَّا أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَقَالَ: يَارَبِّ، مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ، وَقَدْ**

---

(١) إن أهل السنة والجماعة يُجوِّزون تأويل الصفة في حالتي الإفراد والجمع، مع إثبات أصل الصفة، فمثلًا: يمكن أن نقول اليد بمعنى القدرة، أو النعمة، أو العون، أو النصرة، هذا في حالة الإفراد كـ(يد)، أو الجمع كـ(أيدينا)، أما في حالة التثنية فلا يمكن.

كَتَبْتُ لَهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَقَالَ: يَارَبِّ، زِدْهُ فِي عُمْرِهِ، قَالَ: ذَاكَ الَّذِي كَتَبْتُ لَهُ، قَالَ: فَإِنِّي جَعَلْتُ لَهُ مِنْ عُمْرِي سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ، فَقَالَ: ثُمَّ أُسْكِنَ الْجَنَّةَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أُهْبِطَ مِنْهَا، وَكَانَ آدَمُ يَعُدُّ لِنَفْسِهِ، فَأَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: قَدْ عَجَّلْتَ قَدْ كُتِبَ لِي أَلْفُ سَنَةٍ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنَّكَ جَعَلْتَ لِابْنِكَ دَاوُدَ مِنْهَا سِتِّينَ سَنَةً، فَجَحَدَ، فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، فَيَوْمَئِذٍ أُمِرَ بِالْكِتَابِ وَالشُّهُودِ".[1]

عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَمِينُ اللَّهِ مَلْأَى، لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ"، قَالَ: "وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَمِينِهِ الْأُخْرَى الْقَبْضُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ".[2]

---

(١) **صحيح**: الترمذي (٣٣٦٨) وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) **متفق عليه**: البخاري (٧٤١٩)، مسلم (٩٩٣).

[ر/١٥٣- ح/٦٦- ش(١/١٦٤)- ز(١/١٥٧)- ي/١٢٣]

بَابُ ذِكْرِ سُنَّةٍ تَاسِعَةٍ تُثْبِتُ يَدَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَهِيَ إِعْلَامُ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ غَرَسَ كَرَامَةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِيَدِهِ وَخَتَمَ عَلَيْهَا.

عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ عَلَى مِنْبَرِهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**إِنَّ مُوسَى سَأَلَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أَخْبِرْنِي بِأَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ عَبْدٌ يَأْتِي بَعْدَ مَا يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلْ، فَيَقُولُ: كَيْفَ أَدْخُلُ وَقَدْ سَكَنَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَخَذُوا مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَمَا تَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مَا كَانَ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ قَالَ: فَيَقُولُ: نَعَمْ، قَالَ: أَفَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مَا كَانَ لِمَلِكَيْنِ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ قَالَ: فَيَقُولُ: نَعَمْ، قَالَ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مَا كَانَ لِثَلَاثَةِ مُلُوكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ قَالَ: رَبِّ، رَضِيتُ، قَالَ: لَكَ مِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ، وَعَشَرَةُ أَضْعَافِهِ، وَلَكَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، فَأَخْبِرْنِي بِأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً، قَالَ: هَذَا أَرَدْتُ، فَسَوْفَ أُخْبِرُكَ قَالَ: غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ ذَلِكَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ**

نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]".[2]

---

(١) السجدة/١٧.

(٢) **صحيح**: مسلم (١٨٩).

[ر/١٥٤- ح/٦٧- ش(١/١٦٦)- ز(١/١٥٨)- ي/١٢٥]

بَابُ ذِكْرِ سُنَّةٍ عَاشِرَةٍ تُثْبِتُ يَدَ اللَّهِ، وَهُوَ إِعْلَامُ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ قَبْضَ اللَّهِ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَطَيِّهِ جَلَّ وَعَلَا سَمَاوَاتِهِ بِيَمِينِهِ، مِثْلُ الْمَعْنَى الَّذِي هُوَ مَسْطُورٌ فِي الْمَصَاحِفِ، مَتْلُوٌّ فِي الْمَحَارِيبِ، وَالْكَتَاتِيبِ، وَالْجُدُورِ.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: "أَنَا الْمَلِكُ، فَأَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ"**.[(١)]

(١) **متفق عليه**: البخاري (٤٨١٢)، مسلم (٢٧٨٧).

[ر/١٥٧- ح/٦٨- ش(١/ ١٧٠)- ز(١/ ١٦٣)- ي/١٢٧]

بَابُ تَمْجِيدِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ نَفْسَهُ عِنْدَ قَبْضَتِهِ الْأَرْضَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ وَطَيِّهِ السَّمَاءَ بِالْأُخْرَى.

وَهُمَا يَمِينَانِ لِرَبِّنَا لَا شِمَالَ لَهُ، تَعَالَى رَبُّنَا عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَهِيَ السُّنَّةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ فِي تَثْبِيتِ يَدَيْ خَالِقِنَا عَزَّ وَجَلَّ.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَاتِ يَوْمًا عَلَى الْمِنْبَرِ: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾[1]، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**هَكَذَا بِأَصَابِعِهِ يُحَرِّكُهَا يُمَجِّدُ الرَّبَّ نَفْسَهُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْعَزِيزُ، أَنَا الْكَرِيمُ**"، فَرَجَفَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمِنْبَرُ، حَتَّى قُلْنَا لَيَخِرَّنَّ بِهِ.[2]

عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِقْسَمٍ، أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى ابْنِ عُمَرَ كَيْفَ يَحْكِي رَسُولَ اللَّهِ

---

(١) الزمر/٦٧.

(٢) **صحيح**: مسلم (٢٧٨٨).

ﷺ، قَالَ: "**يَأْخُذُ الرَّبُّ جَلَّ وَعَلَا سَمَاوَاتِهِ وَأَرَاضِيهِ بِيَدَيْهِ، وَجَعَلَ يَقْبِضُ يَدَيْهِ وَيَبْسُطُهُمَا، يَقُولُ اللَّهُ: أَنَا الرَّحْمَنُ**"، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ: أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟[1]

---

(١) **صحيح**: انظر الذي قبله، وفيه إثبات صفة الأصابع.

وتمثيل النبي ﷺ بيده كما ورد في الحديث، لا يُفهم منه تشبيه فعل الله تعالى، ولكن هذا من التأكيد على الفعل، كما فعل في صفتي السمع والبصر، وأشار إلى عينه وأذنه.

وما فعله النبي ﷺ، كفعل الواحد من الناس عند الكلام عن أمرٍ رآه، ثم يُحَاكِيه لتقريب المشهد، فمثلا: لو رأى كلبًا يعض رجلًا، تراه يقول بيده إن الكلب قضم رِجل الرَّجُل، ومعلومٌ أن الكلب والرجل ليسا ثمّ.

[ر/١٥٩- ح/٦٩- ش(١/١٧٤)- ز(١/١٦٦)- ي/١٢٩]

بَابُ ذِكْرِ السُّنَّةِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ فِي إِثْبَاتِ يَدَيْ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ.

وَهِيَ الْبَيَانُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا يَقْبِضُ الْأَرْضَ بِيَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَعْدَمَا يُبَدِلُهَا فَتَصِيرُ الْأَرْضَ خُبْزَةً لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، لِأَنَّ اللَّهَ يَقْبِضُهَا وَهِيَ طِينٌ وَحِجَارَةٌ، وَرَضْرَضٌ[1]، وحَمْأَةٌ[2]، وَرَمْلٌ، وَتُرَابٌ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **"تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَكْفَؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ بِيَدِهِ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ**[3]" فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: **"بَلَى"** قَالَ:

---

(١) الحجر الصغير.

(٢) الطين الأسود المنتن.

(٣) وهذا من قدرة الله تعالى، فالأرض التي هي رمل وطين وصخور، يحولها الله تعالى إلى طعام يأكل منه أهل الجنة، بل من أفضل الأطعمة.

تَكُونُ الْأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَنظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْنَا، ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: "**أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَدَامِهِمْ؟**" قَالَ: بَلَى قَالَ: "**لَامٌ، وَنُونٌ**"، وَمَا هَذَا؟ قَالَ: "**ثَوْرٌ، وَنُونٌ**[1] **يَأْكُلُ مِنْ زِيَادَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا**".[2]

---

(١) الحوت.

(٢) **صحيح**: البخاري (٦٥٢٠)، مسلم (٢٧٩٢).

[ر/١٦٠- ح/٧٠- ش(١/١٧٦)- ز(١/١٦٧)- ي/١٣٠]

بَابُ السُّنَّةِ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ فِي إِثْبَاتِ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهِيَ إِعْلَامُ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ يَدَيِ اللَّهِ يُبْسَطَانِ لِمُسِيءِ اللَّيْلِ لِيَتُوبَ بِالنَّهَارِ وَلِمُسِيءِ النَّهَارِ لِيَتُوبَ بِاللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا.

عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ قَالَ: "**إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، وَلَكِنْ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهَا؛ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**".[١]

---

(١) **صحيح**: مسلم (١٧٩).

[ر/١٦٢- ح/٧١- ش(١/١٧٨)- ز(١/١٧٠)- ي/١٣٢]

بَابُ ذِكْرِ إِمْسَاكِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ وَجَلَّ ثَنَاؤُهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا عَلَيْهَا عَلَى أَصَابِعِهِ.

جَلَّ رَبُّنَا عَنْ أَنْ تَكُونَ أَصَابِعُهُ كَأَصَابِعِ خَلْقِهِ، وَعَنْ أَنْ يُشْبِهَ شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ صِفَاتِ خَلْقِهِ، وَقَدْ أَجَلَّ اللَّهُ قَدْرَ نَبِيِّهِ ﷺ عَنْ أَنْ يُوصَفَ الْخَالِقُ الْبَارِئُ بِحَضْرَتِهِ بِمَا لَيْسَ مِنْ صِفَاتِهِ، فَيَسْمَعُهُ فَيَضْحَكُ عِنْدَهُ، وَيَجْعَلُ بَدَلَ وجُوبِ النَّكِيرِ وَالْغَضَبِ عَلَى الْمُتَكَلِّمِ بِهِ ضَحِكًا تَبْدُو نَوَاجِذُهُ[1]، تَصْدِيقًا وَتَعَجُّبًا لِقَائِلِهِ، لَا يَصِفُ النَّبِيَّ ﷺ بِهَذِهِ الصِّفَةِ مُؤْمِنٌ مُصَدِّقٌ بِرِسَالَتِهِ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ: أَبَلَغَكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحْمِلُ الْخَلَائِقَ عَلَى أُصْبُعٍ، والسَّمَاوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالثَّرَى عَلَى أُصْبُعٍ؟

(١) الأضراس.

قَالَ: فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾[1] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.[2]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَعَلَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ كُلَّهَا عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ.

قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ، حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تَعَجُّبًا لَهُ، وَتَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾".[3]

---

(١) الزمر/٦٧.

(٢) **متفق عليه**: البخاري (٧٤٥١)، مسلم (٢٧٨٦).

(٣) **متفق عليه**: انظر السابق.

[ر/١٦٨- ح/٧٤- ش(١/١٨٧)- ز(١/١٧٩)- ي/١٣٩]

بَابُ إِثْبَاتِ الْأَصَابِعِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ قِيلًا لَهُ لَا حِكَايَةً عَنْ غَيْرِهِ كَمَا زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالْعِنَادِ أَنَّ خَبَرَ ابْنَ مَسْعُودٍ لَيْسَ هُوَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ قَوْلِ الْيَهُودِ وَأَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ ضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ تَصْدِيقًا لِلْيَهُودِيِّ.

عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **"مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا هُوَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ تَعَالَى إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ، وَإِنَّ شَاءَ أَزَاغَهُ**"، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**".(١)

فَنسْأَلَهُ أَنْ لَا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ.

فَتَدَبَّرُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ مَا نَقُولُهُ فِي هَذَا الْبَابِ، فِي ذِكْرِ الْيَدَيْنِ: كَنَحْوِ

(١) **صحيح**: السنة لابن أبي عاصم (٢١٩) وصححه الألباني.

قَوْلِنَا فِي ذِكْرِ الْوَجْهِ، وَالْعَيْنَيْنِ، تَسْتَيْقِنُوا بِهِدَايَةِ اللَّهِ إِيَّاكُمْ، وَشَرْحِهِ جَلَّ وَعَلَا صُدُورَكُمْ لِلْإِيمَانِ بِمَا قَصَّهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، وَبَيَّنَهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مِنْ صِفَاتِ خَالِقِنَا عَزَّ وَجَلَّ، وَتَعْلَمُوا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ إِيَّاكُمْ أَنَّ الْحَقَّ وَالصَّوَابَ وَالْعَدْلَ فِي هَذَا الْجِنْسِ مَذْهَبُنَا مَذْهَبُ أَهْلِ الْآثَارِ، وَمُتَّبِعِي السُّنَنِ، وَتَقِفُوا عَلَى جَهْلِ مَنْ يُسَمِّيهِمْ مُشَبِّهَةً، إِذِ الْجَهْمِيَّةُ الْمُعَطِّلَةُ جَاهِلُونَ بِالتَّشْبِيهِ.

نَحْنُ نَقُولُ: لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا يَدَانِ، كَمَا أَعْلَمَنَا الْخَالِقُ الْبَارِئُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى ﷺ.

وَنَقُولُ: كِلْتَا يَدَيْ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ يَمِينٌ، عَلَى مَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ.

وَنَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبِضُ الْأَرْضَ جَمِيعًا بِإِحْدَى يَدَيْهِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَدِهِ الْأُخْرَى، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ لَا شِمَالَ فِيهِمَا.

ونَقُولُ: مَنْ كَانَ مِنْ بَنِي آدَمَ سَلِيمَ الْأَعْضَاءِ وَالْأَرْكَانِ، مُسْتَوِي التَّرْكِيبِ، لَا نَقصَ فِي يَدَيْهِ، أَقْوَى بَنِي آدَمَ، وَأَشَدَّهُمْ بَطْشًا، لَهُ يَدَانِ عَاجِزٌ عَنْ أَنْ يَقْبِضَ عَلَى قَدْرِ أَقَلَّ مِنْ شَعْرَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءٍ كَثِيرَةٍ عَلَى أَرْضٍ وَاحِدَةٍ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ، وَلَوْ أَنَّ جَمِيعَ مَنْ خَلَقَهُمُ اللَّهُ مِنْ بَنِي آدَمَ إِلَى

وَقْتِنَا هَذَا، وَقَضَى خَلقَهُمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَعُونَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَحَاوَلُوا عَلَى قَبْضِ أَرْضٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ بِأَيْدِيهِمْ، كَانُوا عَاجِزِينَ عَنْ ذَلِكَ غَيْرَ مُسْتَطِيعِينَ لَهُ، وَكَذَلِكَ لَوِ اجْتَمَعُوا جَمِيعًا عَلَى طَيِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ سَمَاءٍ وَاحِدَةٍ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوه، وَكَانُوا عَاجِزِينَ عَنْهُ.

فَكَيْفَ يَكُونُ يَا ذَوِي الْحِجَا مَنْ وَصَفَ يَدَ خَالِقِهِ بِمَا بَيَّنَّا مِنَ الْقُوَّةِ وَالْأَيْدِي، وَوَصَفَ يَدَ الْمَخْلُوقِينَ بِالضَّعْفِ وَالْعَجْزِ، مُشَبِّهًا يَدَ الْخَالِقِ بِيَدِ الْمَخْلُوقِينَ؟

أَمْ كَيْفَ يَكُونُ مُشَبِّهًا مَنْ يُثْبِتُ للهِ أَصَابِعَ، عَلَى مَا بَيَّنَهُ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى ﷺ لِلْخَالِقِ الْبَارِئِ؟ وَيَقُولُ: "**إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ...**".

وَنَقُولُ: إِنَّ جَمِيعَ بَنِي آدَمَ مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ إِلَى أَنْ يَنْفُخَ فِي الصُّورِ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى إِمْسَاكِ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءٍ كَثِيرَةٍ مِنْ سَمَاءٍ مِنْ سَمَاوَاتِهِ أَوْ أَرْضٍ مِنْ أَرَاضِيهِ السَّبْعِ بِجَمِيعِ أَيْدِيهِم، كَانُوا غَيْرَ قَادِرِينَ عَلَى ذَلِكَ وَلَا مُسْتَطِيعِينَ لَهُ، بَلْ عَاجِزِينَ عَنْهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ مَنْ يُثْبِتُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَدَيْنِ

عَلَى مَا ثَبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ، وَثَبَّتَهُ لَهُ نَبِيُّه ﷺ، مُشَبِّهًا يَدَيْ رَبِّهِ بِيَدَيْ بَنِي آدَمَ؟

نَقُولُ: لِلَّهِ يَدَانِ مَبْسُوطَتَانِ، يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ، بِهِمَا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبِيَدِهِ كَتَبَ التَّوْرَاةَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيَدَاهُ قَدِيمَتَانِ لَمْ تَزَالَا بَاقِيَتَيْنِ، وَأَيْدِي الْمَخْلُوقِينَ مَخْلُوقَةٌ مُحْدَثَةٌ غَيْرُ قَدِيمَةٍ، فَانِيَةٌ غَيْرُ بَاقِيَةٍ، بَالِيَةٌ تَصِيرُ مِيتَةً ثُمَّ رَمِيمًا، ثُمَّ يُنْشِئُهُ اللَّهُ خَلْقًا آخَرَ ﴿**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾[1]، فَأَيُّ تَشْبِيهٍ يَلْزَمُ أَصْحَابَنَا أَيُّهَا الْعُقَلَاءُ إِذَا ثَبَتُوا لِلْخَالِقِ مَا ثَبَتَهُ الْخَالِقُ لِنَفْسِهِ، وَثَبَتَهُ لَهُ نَبِيُّهُ الْمُصْطَفَى ﷺ؟

وَقَوْلُ هَؤُلَاءِ الْمُعَطِّلَةِ يُوجِبُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ، وَيُؤْمِنُ بِهِ إِقْرَارًا بِاللِّسَانِ، وَتَصْدِيقًا بِالْقَلْبِ؛ فَهُوَ مُشَبِّهٌ، لِأَنَّ اللَّهَ مَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ بِزَعْمِ هَذِهِ الْفِرْقَةِ، وَمَنْ وَصَفَ يَدَ خَالِقِهِ فَهُوَ يُشَبِّهُ الْخَالِقَ بِالْمَخْلُوقِ، فَيَجِبُ عَلَى قَوْدِ مَقَالَتِهِمْ: أَنْ يَكْفُرَ بِكُلِّ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ، عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ؛ إِذْ هُمْ كُفَّارٌ مُنْكِرُونَ لِجَمِيعِ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ، غَيْرُ مُقِرِّينَ

(١) المؤمنون/ ١٤

بِشَيْءٍ مِنْهُ، وَلَا مُصَدِّقِينَ بِشَيْءٍ مِنْهُ.

نَقُولُ: لَوْ شَبَّهَ بَعْضُ النَّاسِ يَدَ قَوِّيِّ السَّاعِدَيْنِ شَدِيدِ الْبَطْشِ، عَالِمٍ بِكَثِيرٍ مِنَ الصِّنَاعَاتِ، جَيِّدِ الْخَطِّ، سَرِيعِ الْكِتَابَةِ، بِيَدِ ضَعِيفِ الْبَطْشِ، مِنَ الْآدَمِيِّينَ، خُلْوٍ مِنَ الصِّنَاعَاتِ وَالْمَكَاسِبِ، أَخْرَقَ، لَا يُحْسِنُ أَنْ يَخُطَّ بِيَدِهِ كَلِمَةً وَاحِدَةً، أَوْ شَبَّهَ يَدَ مَنْ ذَكَرْنَا أَوَّلًا بِالْقُوَّةِ، وَالْبَطْشِ الشَّدِيدِ، بِيَدِ صَبِيٍّ فِي الْمَهْدِ، أَوْ كَبِيرٍ هَرِمٍ يَرْعَشُ، لَا يَقْدِرُ عَلَى قَبْضٍ، وَلَا بَسْطٍ، وَلَا بَطْشٍ، أَوْ يَقُولُ لَهُ: يَدُكَ شَبِيهَةٌ بِيَدِ قِرْدٍ، أَوْ خِنْزِيرٍ، أَوْ دُبٍّ، أَوْ كَلْبٍ، أَوْ غَيْرِهَا مِنَ السِّبَاعِ، أَمَا يَقُول لُهُ سَامِعُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ إِنْ كَانَ مِنْ ذَوِي الْحِجَا وَالنُّهَى: أَخْطَأْتَ يَا جَاهِلُ التَّمْثِيلَ، وَنَكَّسْتَ التَّشْبِيهَ، وَنَطَقْتَ بِالْمُحَالِ مِنَ الْمَقَالِ، لَيْسَ كُلُّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ الْيَدِ جَازَ أَنْ يُشَبَّهَ وَيُمَثَّلَ إِحْدَى الْيَدَيْنِ بِالْأُخْرَى، وَكُلُّ عَالِمٍ بِلُغَةِ الْعَرَبِ فَالْعِلْمُ عِنْدَهُ مُحِيطٌ: أَنَّ الاسْمَ الْوَاحِدَ قَدْ يَقَعُ عَلَى الشَّيْئَيْنِ مُخْتَلِفِي الصِّفَةِ مُتَبَايِنِي الْمَعَانِي، وَإِذَا لَمْ يَجُزْ إِطْلَاقِ اسْمِ التَّشْبِيهِ إِذَا قَالَ الْمَرْءُ لِابْنِ آدَمَ، وَلِلْقِرْدِ يَدَانِ، وَأَيْدِيهِمَا مَخْلُوقَتَانِ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى مُشَبِّهًا مَنْ يَقُولُ لِلَّهِ يَدَانِ، عَلَى مَا أَعْلَمَ اللهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ؟

وَنقُولُ: لِبَنِي آدَمَ يَدَانِ، وَنقُولُ: وَيَدَا اللَّهِ بِهِمَا خَلَقَ آدَمُ، وَبِيَدِهِ كَتَبَ

التَّوْرَاةَ لِمُوسَى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وَيَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَأَيْدِي بَنِي آدَمَ مَخْلُوقَةٌ عَلَى مَا بَيَّنْتُ وَشَرَحْتُ قَبْلُ فِي بَابِ الْوَجْهِ وَالْعَيْنَيْنِ، وَفِي هَذَا الْبَابِ.

وَزَعَمَتِ الْجَهْمِيَّةُ الْمُعَطِّلَةُ: أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾[(١)] أَيْ نِعْمَتَاهُ، وَهَذَا تَبْدِيلٌ[(٢)]، لَا تَأْوِيلٌ[(٣)].

---

(١) المائدة/٤٦

(٢) أي تحريف.

(٣) التأويل لغةً له عدة معانٍ :

١ – التصيير: أي يؤول كذا إلى كذا ، بمعنى يصير كذا إلى كذا.

٢ – التفسير.

٣- العاقبة، لأن الأمر يصير إليها.

قال الله عز وجل: ﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ (النساء/٥٩).

وتُسمى حقيقةُ الشيء المُخبر به تأويلًا، لأن الأمر ينتهي إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿**هَلْ**
=

=
يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ (الأعراف/٥٣)، فمجيء تأويله مجيء نفس ما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر، والمعاد وتفاصيله، والجنة والنار.

ويسمى تعبير الرؤيا تأويلا بالاعتبارين، فإنه تفسير لها، وهو عاقبتها وما تؤول إليه وقال يوسف لأبيه: ﴿**يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ**﴾ (يوسف/١٠٠)، أي حقيقتها ومصيرها إلى هٰهنا.

والتأويل في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المراد به: حقيقة المعنى الذي يؤول اللفظ إليه، وهي الحقيقة الموجودة في الخارج، فإن الكلام نوعان:

١- خبر. ٢- إنشاء (طلب).

فتأويل الخبر: هو حقيقته، أي تأويل ﴿**وَفَارَ التَّنُّورُ**﴾ (هود/٤٠) أن التنور قد فار حقًا، وتأويل الوعد والوعيد هو نفس الموعود والمتوعَدُ به، فتأويل دخول أهل الإيمان الجنة، أن أهل الإيمان سيدخلون الجنة.

وتأويل ما أخبر الله به من أسمائه الحسنى وصفاته العُلى هو نفس ما أخبر به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فتأويل قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ (طه/٥) أن الرحمن على العرش استوى حقيقة.

=

=

وتأويل الأمر: هو تطبيقُ المأمورِ به، قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: "**سُبْحَانَكَ اللهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ**" يتأول القرآن، فهذا التأويل هو تطبيق المأمور به.

فالتأويل للأخبار وقوعها كما أُخبرت، وتأويل الأوامر والنواهي تنفيذها.

ومن معاني التأويل: التفسير، وهذا في اصطلاح السلف، ومنه قول النبي ﷺ لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: "**اللهُمَّ عَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**".

ومنه قول ابن جرير وغيره رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: (القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا) يريد تفسيره.

ومنه قول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه في [الرد على الزنادقة والجهمية فيما تأولته من القرآن على غير تأويله]، فأبطل تلك التأويلات التي ذكروها، وهي تفسيرها المراد بها، وهو تأويلها عنده.

ومنه قول ابن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التوحيد: (ومن أسماء الله عز وجل: السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، قال أهل التأويل: كذا وكذا) أي قال أهل التفسير.

وأما المعتزلة، والجهمية، وغيرهم من فرق المتكلمين، فمرادهم بالتأويل: صرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته إلى مجازه وما يخالف ظاهره، وهذا هو الشائع في عرف

=

وَالدَّلِيلُ عَلَى نَقْصِ دَعْوَاهُمْ هَذِهِ أَنَّ نِعَمَ اللَّهِ كَثِيرَةٌ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا الْخَالِقُ الْبَارِئُ، وَلِلَّهِ يَدَانِ لَا أَكْثَرَ مِنْهُمَا[1]، كَمَا قَالَ لِإِبْلِيسَ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾[2]، فَأَعْلَمَنَا جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُ خَلَقَ آدَمَ بِيَدَيْهِ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ خَلَقَ آدَمَ بِنِعْمَتِهِ، كَانَ مُبَدِّلًا لِكَلَامِ اللَّهِ.

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**﴾[3]، أَفَلَا يَعْقِلُ أَهْلُ الْإِيمَانِ أَنَّ الْأَرْضَ جَمِيعًا لَا تَكُونُ قَبْضَةَ إِحْدَى نِعْمَتَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا أَنَّ السَّمَاوَاتِ مَطْوِيَّاتٌ بِالنِّعْمَةِ

=

المتأخرين من أهل الأصول والفقه، ولهذا يقولون: التأويل على خلاف الأصل، والتأويل: يحتاج إلى دليل.

(١) والكلام على كم يد لله تعالى، هو نفس الكلام على كم عين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد ذكرت قبل بيان الجمع بين ذكر العين مفردةً، ومثناة، وجمعًا، فما قلته هناك يقال هنا.

(٢) ص/ ٧٥

(٣) الزمر/ ٦٧

الْأُخْرَى، أَلَا يَعْقِلُ ذَوُو الْحِجَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ هَذِهِ الدَّعْوَى الَّتِي يَدَّعِيهَا الْجَهْمِيَّةُ جَهْلٌ، أَوْ تَجَاهُلٌ شَرٌّ مِنَ الْجَهْلِ، بَلِ الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَةُ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلَا بِإِحْدَى يَدَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ وَهِيَ الْيَدُ الْأُخْرَى، وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّنَا يَمِينٌ، لَا شِمَالَ فِيهِمَا، جَلَّ رَبُّنَا وَعَزَّ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ يَسَارٌ؛ إِذْ كَوْنُ إِحْدَى الْيَدَيْنِ يَسَارًا، إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ عَلَامَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، جَلَّ رَبُّنَا وَعَزَّ عَنْ شِبْهِ خَلْقِهِ.

وَافْهَمْ مَا أَقُولُ مِنْ جِهَةِ اللُّغَةِ، تَفْهَمْ وَتَسْتَيْقِنْ أَنَّ الْجَهْمِيَّةَ مُبَدِّلَةٌ لِكِتَابِ اللَّهِ، لَا مُتَأَوِّلَةٌ قَوْلَهُ: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾، لَوْ كَانَ مَعْنَى الْيَدِ النِّعْمَةَ كَمَا ادَّعَتِ الْجَهْمِيَّةُ لَقُرِئَتْ: (**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَةٌ**)، (**أَوْ مُنْبَسِطَةٌ**)، لِأَنَّ نِعَمَ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، وَمُحَالٌ أَنْ تَكُونَ نِعَمُه نِعْمَتَيْنِ لَا أَكْثَر، فَلَمَّا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾، كَانَ الْعِلْمُ مُحِيطًا أَنَّهُ ثَبَّتَ لِنَفْسِهِ يَدَيْنِ لَا أَكْثَرَ مِنْهُمَا، وَأَعْلَمَ أَنَّهُمَا مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ.

وَالْآيَةُ دَالَّةٌ أَيْضًا عَلَى أَنَّ ذِكْرَ الْيَدِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لَيْسَ مَعْنَاهُ النِّعْمَةَ، حَكَى اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا قَوْلَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**﴾ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَدًّا عَلَيْهِمْ: ﴿**غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ**﴾، وَقَالَ: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾.

وَبِيَقِينٍ يَعْلَمُ كُلُّ مُؤْمِنٍ: أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُرِدْ بِقَوْلِهِ: ﴿**غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ**﴾ أَيْ غُلَّتْ نِعَمُهُمْ، لَا، وَلَا أَرَادَ الْيَهُودُ أَنَّ نِعَمَ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، وَإِنَّمَا رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَقَالَتَهُمْ، وَكَذَّبَهُمْ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿**يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**﴾، وَأَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ يَدَيْهِ مَبْسُوطَتَانِ، يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَقَدْ قَدَّمْنَا ذِكْرَ إِنْفَاقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِيَدَيْهِ فِي.

خَبَرِ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: "**يَمِينُ اللَّهِ مَلْأَى سَحَّاءُ لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ**" فَأَعْلَمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ يُنْفِقُ بِيَمِينِهِ، وَهُمَا يَدَاهُ الَّتِي أَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّهُ يُنْفِقُ بِهِمَا كَيْفَ يَشَاءُ.

وَزَعَمَ بَعْضُ الْجَهْمِيَّةِ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: "**خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ بِيَدَيْهِ**" أَيْ بِقُوَّتِهِ، فَزَعَمَ أَنَّ الْيَدَ هِيَ الْقُوَّةُ، وَهَذَا مِنَ التَّبْدِيلِ أَيْضًا، وَهُوَ جَهْلٌ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، وَالْقُوَّةُ إِنَّمَا تُسَمَّى الْأَيْدُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ، لَا الْيَدُ، فَمَنْ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْيَدِ وَالْأَيْدِ فَهُوَ إِلَى التَّعْلِيمِ وَالتَّسْلِيمِ إِلَى الْكَتَاتِيبِ أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَى التَّرَؤُسِ وَالْمُنَاظَرَةِ.

قَدْ أَعْلَمَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ خَلَقَ السَّمَاءَ بِأَيْدٍ، وَالْيَدَانِ غَيْرُ الْأَيْدِ إِذْ لَوْ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ بِأَيْدٍ كَخَلْقِهِ السَّمَاءَ، دُونَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ خَصَّ خَلْقَ آدَمَ بِيَدَيْهِ لَمَا قَالَ لِإِبْلِيسَ: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾،

وَلَا شَكَّ وَلَا رَيْبَ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ خَلَقَ إِبْلِيسَ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ أَيْضًا بِقُوَّتِهِ، أَيْ إِذَا كَانَ قَوِيًّا عَلَى خَلْقِهِ، فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي**﴾ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْمُعَطِّلَةِ، وَالْبَعُوضُ، وَالنَّمْلُ، وَكُلُّ مَخْلُوقٍ فَاللَّهُ خَلَقَهُمْ عِنْدَهُ بِأَيْدٍ وَقُوَّةٍ.

[ر/١٧٨- ح/٨٠- ش(١/٢٠٢)- ز(١/١٩٢)- ي/١٤٧]

بَابُ ذِكْرِ إِثْبَاتِ الرِّجْلِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَإِنْ رَغَمَتْ أُنُوفُ الْمُعَطِّلَةِ الْجَهْمِيَّةِ، الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِصِفَاتِ خَالِقِنَا عَزَّ وَجَلَّ الَّتِي أَثْبَتَهَا لِنَفْسِهِ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى ﷺ.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَذْكُرُ مَا يَدْعُو بَعْضُ الْكُفَّارِ مِنْ دُونِ اللَّهِ: ﴿**أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ**﴾[(١)]، فَأَعْلَمَنَا رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا أَنَّ مَنَ لَا رِجْلَ لَهُ، وَلَا يَدَ، وَلَا عَيْنَ، وَلَا سَمْعَ فَهُوَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُوَ أَضَلُّ.

فَالْمُعَطِّلَةُ الْجَهْمِيَّةُ الَّذِينَ هُمْ شَرٌّ مِنَ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى، وَالْمَجُوسِ كَالْأَنْعَامِ بَلْ أَضَلُّ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "**اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهِمَا، فَقَالَتِ الْجَنَّةُ: أَيْ رَبِّ، مَا لَهَا إِنَّمَا يَدْخُلُهَا ضُعَفَاءُ النَّاسِ**

---

(١) الأعراف/١٩٥

وَسَقَطُهُمْ، وَقَالَتِ النَّارُ: أَيْ رَبِّ إِنَّمَا يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، فَقَالَ: أَنْتِ رَحْمَتِي[١] أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَأَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا الْجَنَّةُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لَهَا نَشْئًا، وَأَمَّا النَّارُ، فَيُلْقَوْنَ فِيهَا، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ وَيُلْقَوْنَ فِيهَا، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ الْجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ، هُنَاكَ تَمْتَلِئُ، وَيَدْنُو بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ ".[٢]

عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا ثنا أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُسْتَكْبِرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعَجَزُهُمْ، قَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي، أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، وَأَمَّا النَّارُ، فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ رِجْلَهُ فِيهَا، فَتَقُولُ: قَطْ،

---

(١) الرحمة هنا مخلوقة، وليست صفة من صفات الله تعالى.

(٢) **متفق عليه**: البخاري (٧٤٤٩)، مسلم (٢٨٤٦)، وفيه إثبات القدم.

قَطْ، قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا".[1]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: أَلَا لِيَتْبَعْ كُلُّ أُنَاسٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيُمَثَّلُ لِصَاحِبِ الصَّلِيبِ صَلِيبُهُ، وَلِصَاحِبِ التَّصْوِيرِ تَصْوِيرُهُ، وَلِصَاحِبِ النَّارِ نَارُهُ، فَيَتْبَعُونَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَيَبْقَى الْمُسْلِمُونَ، فَيَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: أَلَا تَتَّبِعُونَ النَّاسَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، اللَّهُ رَبُّنَا وَهَذَا مَكَانُنَا، حَتَّى نَرَى رَبَّنَا، وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ وَيُثَبِّتُهُمْ، ثُمَّ يَتَوَارَى، ثُمَّ يَطَّلِعُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَتَّبِعُونَ النَّاسَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، اللَّهُ رَبُّنَا وَهَذَا مَكَانُنَا، حَتَّى نَرَى رَبَّنَا، وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ وَيُثَبِّتُهُمْ**"، ثُمَّ قَالُوا: وَهَلْ نَرَاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "**وَهَلْ تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟**" قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "**فَإِنَّكُمْ لَا تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَتِهِ تِلْكَ السَّاعَةَ، ثُمَّ يَتَوَارَى، ثُمَّ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ، فَيُعَرِّفُهُمْ بِنَفْسِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ**

---

(١) **متفق عليه**: انظر الذي قبله، وفيه إثبات الرِّجل.

فَاتَّبِعُونِ، فَيَقُومُ الْمُسْلِمُونَ، وَيُضَعُ الصِّرَاطُ، فَيَمُرُّ عَلَيْهِ مِثْلُ جِيَادِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، وَقَوْلُهُمْ عَلَيْهِ: سَلِّمْ سَلِّمْ، وَيَبْقَى أَهْلُ النَّارِ، فَيُطْرَحُ مِنْهُمْ فِيهَا فَوْجٌ، ثُمَّ يُقَالُ: هَلِ امْتَلأَتِ؟ فتقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ ثُمَّ يُطْرَحُ فِيهَا فَوْجٌ آخَرُ، فيُقَالُ: هَلِ امْتَلأَتِ؟ فتقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ ثُمَّ يُطْرَحُ فِيهَا فَوْجٌ آخَرُ فيُقَالُ: هَلِ امْتَلأَتِ؟ فتقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى إِذَا أُوعِبُوا فِيهَا، وَضَعَ الرَّحْمَنُ قَدَمَهُ فِيهَا، فَانْزَوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ قَالَ: قَطْ، قَالَتْ: قَطْ قَطْ ، فَإِذَا صُيِّرَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ، أُتِيَ بِالْمَوْتِ مُلَبَّبًا، فَيُوقَفُ عَلَى السُّورِ الَّذِي بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ فَرِحِينَ لِلشَّفَاعَةِ وَالهِينَ، فَيُقَالُ : لِأَهْلِ الْجَنَّةِ وَلِأَهْلِ النَّارِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ: قَدْ عَرَفْنَاهُ، هَذَا الْمَوْتُ الَّذِي وُكِّلَ بِنَا، فَيُضْجَعُ، فَيُذْبَحُ ذَبْحًا عَلَى السُّورِ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَ يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ ".(١)

---

(١) **صحيح**: الترمذي (٢٥٥٧) وصححه الألباني، وفي الصحيحين مختصرًا.

[ر/١٩٨- ح/٨٨- ش(١/٢٣١)- ز(١/٢١٦)- ي/١٦٦)]

بَابُ ذِكْرِ اسْتِوَاءِ خَالِقِنَا الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْفَعَّالِ لِمَا يَشَاءُ عَلَى عَرْشِهِ، فَكَانَ فَوْقَهُ وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ عَالِيًا.

كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي قَوْلِهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾(١)، وَقَالَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾(٢)، وَقَالَ فِي تَنْزِيلِ السَّجْدَةِ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾(٣)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾(٤).

---

(١) طه/٥

(٢) الأعراف/٥٤

(٣) السجدة/٤

(٤) هود/٧

فَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِخَبَرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ خَالِقَنَا مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، لَا نُبَدِّلُ كَلَامَ اللَّهِ، وَلَا نَقُولُ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَنَا، كَمَا قَالَتِ الْمُعَطِّلَةُ الْجَهْمِيَّةُ: إِنَّهُ اسْتَوْلَى عَلَى عَرْشِهِ، لَا اسْتَوَى، فَبَدَّلُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ، كَفِعْلِ الْيَهُودِ، كَمَا أُمِرُوا أَنْ يَقُولُوا: حِطَّةٌ، فَقَالُوا: حِنْطَةٌ، مُخَالِفِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، كَذَلِكَ الْجَهْمِيَّةُ.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَتَاهُ رَجُلٌ، وَقَالَ: أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ**﴾؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَذَلِكَ لَمْ يَزَلْ.[1]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"وَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ وَسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَا الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ".**[2]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَالْخَبَرُ يُصَرِّحُ أَنَّ عَرْشَ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلَا فَوْقَ جَنَّتِهِ، وَقَدْ أَعْلَمَنَا جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، فَخَالِقُنَا عَالٍ فَوْقَ عَرْشِهِ الَّذِي هُوَ

---

(١) **حسن**: أبو الشيخ (العظمة:١/٨٢).

(٢) **صحيح**: البخاري (٢٧٩٠).

فَوْقَ جَنَّتِهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي**".(١)

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَالْخَبَرُ دَالٌّ عَلَى أَنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا فَوْقَ عَرْشِهِ الَّذِي كِتَابُهُ إِنَّ رَحْمَتَهُ غَلَبَتْ غَضَبَهُ عِنْدَهُ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: مَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى أُخْرَى مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى الْكُرْسِيِّ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ الْكُرْسِيِّ إِلَى الْمَاءِ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ وَالْعَرْشُ عَلَى الْمَاءِ، وَاللَّهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَيَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ.(٢)

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ قَالَتْ: كُنْتُ مَعَ جَعْفَرٍ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَرَأَيْتُ امْرَأَةً عَلَى رَأْسِهَا مِكْتَلٌ مِنْ دَقِيقٍ، فَمَرَّتْ بِرَجُلٍ مِنَ الْحَبَشَةِ، فَطَرَحَهُ عَنْ

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (٧٤٠٤)، مسلم (٢٧٥١).

(٢) **حسن**: أخرجه عثمان الدارمي في (نقض الدارمي/١٥٧).

رَأْسِهَا، فَسَفَّتُ الرِّيحُ الدَّقِيقَ ، فَقَالَتْ: أَكِلُكَ إِلَى الْمَلِكِ يَوْمَ يَقْعُدُ عَلَى الْكُرْسِيِّ، وَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ.(١)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ، وَالْعَرْشُ لَا يُقْدَرُ قَدْرُهُ.(٢)

---

(١) **صحيح**: انظر (إثبات الحد لله للدشتي رَحِمَهُ اللَّهُ/١٧٦: ١٨٠).

(٢) **حسن**: قال الذهبي في (مختصر العلو/٥٩): إسناده صالح، وعلق الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال: فإن كان صالح لغيره فمقبول.

ومسألة القعود أو الجلوس مدارها على ثبوت الدليل، ولا غضاضة عندنا في إثباتها إن صح دليلها، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ اختلاف أهل العلم في هذه المسألة من حيث صحة الدليل من ضعفه، فقال: ومن ذلك حديث عبد الله بن خليفة المشهور الذي يُروي عن عمر، عن النبي ﷺ، وقد رواه أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي في (مختاره)، وطائفة من أهل الحديث ترده لاضطرابه كما فعل ذلك أبو بكر الإسماعيلي، وابن الجوزي، وغيرهم، لكن أكثر أهل السنة قبلوه.اهـ (مجموع الفتاوي:ج١٦/ ٤٨٢).

والحديث المشار إليه: هو ما رواه عبد الله بن خليفة، عن عمر بن الخطاب: أن امرأة =

=

أتت النبي ﷺ، فقالت: ادع الله عز وجل أن يدخلني الجنة، فعظم الرب عز وجل وقال: "**إِنَّ كُرْسِيَّه وَسِعَ السَّمَوَاتِ والْأَرْضَ، وَإِنَّ لَهُ أَطِيطًا كَأَطِيط الرَّحْلِ الجَدِيدِ إِذَا رُكِبَ مِنْ ثِقْلِهِ** رواه ابن بطة في (الإبانة:٧/١٧٨)، والدارقطني في (الصفات/٣٥)، وقد ضعفه كلًا من محققي الكتابين.

وقد صنف في هذه المسألة الإمام أبي محمد محمود بن أبي القاسم الدشتي (٦٦٥هـ) كتابا سماه: (إثبات الحد لله عز وجل وبأنه قاعد وجالس على عرشه) واستدل فيه على ثبوت هذه الصفة، وقد نقل محقق الكتاب أقوال أهل العلم في ثبوت صفة الجلوس والقعود، فذكر منهم:

١- الحسن البصري. ٢- عكرمة. ٣- محمد بن كعب.

٤- عمر بن عبد العزيز. ٥- مجاهد. ٦- خارجة بن مصعب.

٧- الأعمش. ٨- سفيان الثوري. ٩- وكيع بن الجراح.

١٠- أحمد بن حنبل. ١١- عبد الله بن أحمد. ١٢- عبد الوهاب الوراق.

١٣- الدارمي. ١٤- الدارقطني. ١٥- أبو القاسم التيمي.

١٦- أبو موسى المديني. ١٧- ابن حامد الحنبلي. ١٨- أبو يعلي.

١٩- ابن تيمية. ٢٠- ابن القيم. ٢١- الذهبي.

=

عَنْ هِشَامٍ وَهُوَ ابْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، فَذَكَرْتُ عِنْدَهُ الصَّخْرَةَ الَّتِي بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: هَذِهِ صَخْرَةُ الرَّحْمَنِ الَّتِي وَضَعَ عَلَيْهَا رِجْلَهُ، فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾[1]، وَتَقُولُ وَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى هَذِهِ، يَا سُبْحَانَ اللَّهِ، إِنَّمَا هَذِهِ جَبَلٌ قَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ أَنَّهُ يُنْسَفُ نَسْفًا فَيَذَرَهَا قَاعًا صَفْصَفًا.[2]

=

٢٢- محمد بن عبد الله بن المحب. ٢٣- محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

٢٤- السعدي. ٢٥- عبد الرحمن البراك.

(١) البقرة/٢٥٥

(٢) صفة الاستواء صفة فعلية ثابتة لله تعالى بالكتاب، والسنة، والإجماع، وقد ذكر الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ وسيذكر الأدلة المتنوعة على ثبوت الاستواء والعلو لله تعالى من الكتاب والسنة.

أما الإجماع، فقد نقل الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية لغزو المعطلة الجهمية) جملة كبيرة من أقوال أهل العلم لا يجحدها إلا جاحد كذاب.

=

=

وقد نقل اللالكائي الإجماع على ثبوت صفة العلو والاستواء لله تعالى، فقال: سياق ما روى في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وأن الله على عرشه في السماء، ثم ساق الأدلة وكلام أهل العلم في إثبات الاستواء والعلو. (شرح أصول الاعتقاد:٣/٢٣:٥٠).

وقد صنف العلماء قديمًا وحديثًا في هذه المسألة، ومن أهم ما صُنِف فيها، كتاب ابن القيم المذكور آنفًا، وكتاب (العلو) لابن قدامة، و(العلو) للذهبي رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

مسألة:

صفات الله تعالى تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- صفات ذات لا تنفك عنه أبدًا، ولا تتغير، ولا تقع تحت الزمن.

٢- صفات الأفعال، وهي تقع حسب مشيئة الرب تعالى، ومتعلقة بالزمن.

٣- صفات خبرية، وهي ما تسمى في حق المخلوق أبعاض.

فالعلو من صفات الذات التي لا تنفك عنه أبدًا، فالله تعالى له العلو بأنواعه الثلاثة:

١- علو الذات، دل عليه اسم الله (العلي).

٢- علو الشأن، دل عليه اسم الله (الأعلى).

=

=

٣- علو القهر، دل عليه اسم الله (المتعال).

أما الاستواء فهو فعل لله تعالى، فعله بعد أن لم يكن مفعولًا، فالله تعالى قبل أن يستوي على العرش لم يكن مستوٍ، لكنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كان عاليًا فوق خلقه، فتنبه لهذه المسألة.

مسألة أخرى:

لفظ الاستواء جاء في الكتاب والسنة بعدة معانٍ:

قال أبو القاسم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والاستواء في كلام العرب يأتي لمعان: تقول العرب: استوى الشيء إذا كان معوجًا فذهب عوجه، تقول: سَوَّيْتُهُ أي: قومته فاستقام، وهذا المعنى لا يجوز على الله تعالى.

ومنه الاستواء بمعنى المماثله والمشابهة يقال: استوى فلان وفلان في هذا الأمر أي: تماثلا وتساويا، قال الله تعالى: ﴿**لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ**﴾ (الحشر/٢٠) أي لا يتساوى هذان الفريقان، وهذا أيضًا لا يجوز في حق الله تعالى.

ومنه الاستواء بمعنى القصد، ويستعمل مع إلى، يقال: استويت إلى هذا الأمر، أي قصدته، قال الله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ**﴾ (فصلت/١١) أي

=

=

قصدها، ولا يقال: استوى عليه بمعنى قصده، فمن خالف موضوع اللغة، فقد خالف طريقة العرب، والقرآن عربي، ولو كان الاستواء على العرش بمعنى الاستواء إلى العرش، لقال تعالى: إلى العرش استوى.

قال أهل السنة: الاستواء هو العلو: قال الله تعالى ﴿**فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ**﴾ (المؤمنون/٢٨) وليس للاستواء في كلام العرب معنى إلا ما ذكرنا. اهـ (الحجة في بيان المحجة:٢/ ٢٦٤).

مسألة ثالثة:

اختلف أهل السنة في معنى ﴿**اسْتَوَى إِلَى**﴾، هل الاستواء إذا عُدِي بـ (إلى) بمعنى قصد، أم بمعنى علا وارتفع؟ على قولين:

القول الأول: استوى إلي: أي علا وارتفع، وهذا قول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ورجحه الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

القول الثاني: استوى إلى: أي قصد، وهو قول ابن كثير، والبغوي، والأصبهاني، والسعدي، وابن عثيمين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وهو الصحيح.

قال الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ما ذكر معاني الاستواء: وليس للاستواء في كلام العرب معنى إلا ما ذكرنا. اهـ (الحجة في بيان المحجة:٢/ ٢٦٤).

=

=

مسألة رابعة:

تنوعت الأدلة على علو الله تعالى على خلقه، وتحت كل نوع أدلة كثيرة، فمنها:

١- التصريح بالفوقية.

٢- التصريح بأنه في السماء.

٣- نزول الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٤- نزول الملائكة وهم سكان السماء

٥- صعود الأعمال.

٦- رفع عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إليه.

٧- ذكر العندية.

٨- رحلة المعراج.

٩- النظر إلى وجهه تعالى كنظرنا إلى القمر...الخ

مسألة خامسة:

قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كَمَا قَالَتِ الْمُعَطِّلَةُ الْجَهْمِيَّةُ: إِنَّهُ اسْتَوْلَى عَلَى عَرْشِهِ، لَا اسْتَوَى فَبَدَّلُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ، كَفِعْلِ الْيَهُودِ كَمَا أُمِرُوا أَنْ يَقُولُوا: حِطَّةٌ، فَقَالُوا: حِنْطَةٌ**

=

=

مُخَالِفِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا كَذَلِكَ الْجَهْمِيَّةُ).اهـ

فقد ذهب أهل التعطيل إلى تعطيل صفة الاستواء كغيرها من الصفات، ولكنهم جبنوا أن يمحوها من الكتاب، فجنحوا إلى تأويلها تأويلًا باطلًا، فقالوا: إن استوى على بمعنى: استولى، وذلك لقول الشاعر:

اسْتَوى بِشْرٌ عَلى العِرَاقِ ... مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقِ

وقد فنّد شيخ الإسلام هذه الشبهة تفنيدًا، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمبطل لتأويل من تأول استوى بمعنى استولى وجوه:

أحدها: أن هذا التفسير لم يفسره أحد من السلف من سائر المسلمين من الصحابة والتابعين، فإنه لم يفسره أحد في الكتب الصحيحة عنهم، بل أول من قال ذلك: بعض الجهمية والمعتزلة؛ كما ذكره أبو الحسن الأشعري في كتاب (المقالات) وكتاب (الإبانة).

الثاني: أن معنى هذه الكلمة مشهور؛ ولهذا لما سُئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن ومالك بن أنس عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ قالا: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، ولا يريد أن: الاستواء معلوم في اللغة دون الآية، لأن السؤال عن الاستواء في الآية كما يستوي الناس.

=

=

الثالث: أنه إذا كان معلوما في اللغة التي نزل بها القرآن كان معلوما في القرآن.

الرابع: أنه لو لم يكن معنى الاستواء في الآية معلوما لم يحتج أن يقول: الكيف مجهول، لأن نفي العلم بالكيف لا ينفي إلا ما قد علم أصله، كما نقول إنا نقر بالله ونؤمن به ولا نعلم كيف هو.

الخامس: الاستيلاء سواء كان بمعنى القدرة أو القهر أو نحو ذلك هو عام في المخلوقات كالربوبية والعرش، وإن كان أعظم المخلوقات ونسبة الربوبية إليه لا تنفي نسبتها إلى غيره، كما في قوله: ﴿**قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ (المؤمنون/٨٦)، وكما في دعاء الكرب؛ فلو كان استوى بمعنى استولى -كما هو عام في الموجودات كلها- لجاز مع إضافته إلى العرش أن يقال: استوى على السماء، وعلى الهوى، والبحار، والأرض، وعليها، ودونها، ونحوها إذ هو مستو على العرش، فلما اتفق المسلمون على أنه يقال: استوى على العرش ولا يقال: استوى على هذه الأشياء، مع أنه يقال: استولى على العرش، والأشياء، علم أن معنى استوى خاص بالعرش ليس عاما كعموم الأشياء.

السادس: أنه أخبر بخلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، وأخبر أن عرشه كان على الماء قبل خلقها، وثبت ذلك في صحيح البخاري عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: "**كَانَ اللهُ وَلاَ شَيء غَيْرَهُ، وَكَانَ**

=

=

عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ"، مع أن العرش كان مخلوقا قبل ذلك، فمعلوم أنه ما زال مستوليا عليه قبل وبعد، فامتنع أن يكون الاستيلاء العام هذا الاستيلاء الخاص بزمان كما كان مختصا بالعرش.

السابع: أنه لم يثبت أن لفظ استوى في اللغة بمعنى استولى؛ إذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المشهور:

اسْتَوى بِشْرٌ عَلى العِرَاقِ ... مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقِ

ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه، وقالوا: إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة، وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله ﷺ لاحتاج إلى صحته، فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده، وقد طعن فيه أئمة اللغة، وذكر عن الخليل كما ذكره أبو المظفر في كتابه (الإفصاح) قال: سئل الخليل هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى؟ فقال: هذا ما لا تعرفه العرب؛ ولا هو جائز في لغتها، وهو إمام في اللغة على ما عُرف من حاله، فحينئذ حمله على ما لا يُعرف حمل باطل.

الثامن: أنه رُوي عن جماعة من أهل اللغة أنهم قالوا: لا يجوز استوى بمعنى استولى إلا في حق من كان عاجزا، ثم ظهر، والله سبحانه لا يعجزه شيء، والعرش لا يغالبه

=

=

في حال، فامتنع أن يكون بمعنى استولى.

فإذا تبين هذا فقول الشاعر: (اسْتَوى بِشْرٌ عَلى العِرَاقِ) لفظ مجازي لا يجوز حمل الكلام عليه إلا مع قرينة تدل على إرادته، واللفظ المشترك بطريق الأولى، ومعلوم أنه ليس في الخطاب قرينة أنه أراد بالآية الاستيلاء، وأيضا فأهل اللغة قالوا: لا يكون استوى بمعنى استولى إلا فيما كان منازعا مغالبا، فإذا غلب أحدهما صاحبه قيل: استولى، والله لم ينازعه أحد في العرش، فلو ثبت استعماله في هذا المعنى الأخص مع النزاع في إرادة المعنى الأعم لم يجب حمله عليه بمجرد قول بعض أهل اللغة مع تنازعهم في ، وهؤلاء ادعوا أنه بمعنى استولى في اللغة مطلقا، والاستواء في القرآن في غير موضع مثل قوله: ﴿**فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ**﴾ (المؤمنون/٢٨)، ﴿**وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ**﴾ (هود/٤٤)، ﴿**لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ**﴾ (الزخرف/١٣)، وفي حديث عدي: أن رسول الله ﷺ أُتى بدابته فلما وضع رجله في الغرز قال: "**بِسْمِ اللهِ**"، فلما استوى على ظهرها قال: "**الْحَمْدُ للهِ**".

التاسع: أنه لو ثبت أنه من اللغة العربية لم يجب أن يكون من لغة العرب العَرْبَاء، ولو كان من لفظ بعض العرب العرباء، لم يجب أن يكون من لغة رسول الله ﷺ وقوله، ولو كان من لغته لكان بالمعنى المعروف في الكتاب والسنة، وهو الذي يراد به، ولا يجوز أن يراد معنى آخر.

=

=

العاشر: أنه لو حمل على هذا المعنى، لأدى إلى محذور يجب تنزيه بعض الأئمة عنه، فضلا عن الصحابة، فضلا عن الله ورسوله، فلو كان الكلام في الكتاب والسنة كلاما نفهم منه معنى ويريدون به آخر، لكان في ذلك تدليس وتلبيس، ومعاذ الله أن يكون ذلك، فيجب أن يكون استعمال هذا الشاعر هذا اللفظ في هذا المعنى ليس حقيقة بالاتفاق، بل حقيقة في غيره، ولو كان حقيقة فيه، للزم الاشتراك المجازي فيه، وإذا كان مجازا عن بعض العرب أو مجازا اخترعه من بعده، أفترك اللغة التي يخاطب بها رسول الله ﷺ؟

الحادي عشر: أن هذا اللفظ -الذي تكرر في الكتاب والسنة والدواعي متوفرة على فهم معناه من الخاصة والعامة عادة ودينا- إن جعل الطريق إلى فهمه بيت شعر أُحدث فيؤدي إلى محذور؛ فلو حمل على معنى هذا البيت، للزم تخطئة الأئمة الذين لهم مصنفات في الرد على من تأول ذلك؛ ولكان يؤدي إلى الكذب على الله ورسوله ﷺ، والصحابة، والأئمة، وللزم أن الله امتحن عباده بفهم هذا دون هذا مع ما تقرر في نفوسهم، وما ورد به نص الكتاب والسنة، والله سبحانه لا يكلف نفسا إلا وسعها، وهذا مستحيل على الله ورسوله ﷺ، والصحابة، والأئمة.

الثاني عشر: أن معنى الاستواء معلوم علما ظاهرا بين الصحابة، والتابعين، وتابعيهم، فيكون التفسير المحدث بعده باطلا قطعا، وهذا قول يزيد بن هارون

=

=

الواسطي؛ فإنه قال: إن من قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ خلاف ما تقرر في نفوس العامة فهو جهمي، ومنه قول مالك: الاستواء معلوم، وليس المراد أن هذا اللفظ في القرآن معلوم، كما قال بعض الناس: استوى أم لا؟ أو أنه سئل عن الكيفية ومالك جعلها معلومة، والسؤال عن النزول، ولفظ الاستواء ليس بدعة، ولا الكلام فيه؛ فقد تكلم فيه الصحابة، والتابعون، وإنما البدعة السؤال عن الكيفية، ومن أراد أن يزداد في هذه القاعدة نورا، فلينظر في شيء من الهيئة وهي الإحاطة ، والكروية ، ولا بد من ذكر الإحاطة ليعلم ذلك. اهـ (مجموع الفتاوى:٥/٩٢:٩٥).

قلت (أبو سفيان) **الثالث عشر**: نُسَلِّم لكم أن استوى بمعنى: استولى، أفلا يكون هذا هروب من إثبات فعل لله لعله عدم التشبيه لإثبات فعلٍ آخر؟! فإن المعطلة جنحوا إلى تحريف ﴿اسْتَوَى﴾، لأنهم لا يثبتون فعلًا لله تعالى، لأن المخلوق يفعل، ولو أثبتوا فعلًا لله تعالى لشبهوه بالمخلوق -على زعمهم- فهم بقولهم: استوى بمعنى استولى، هربوا من إثبات فعل إلى إثبات فعل آخر، فما أقبحه من تكلف، وتناقض.

الرابع عشر: استدلالهم بقول الأخطل، هو من طريق آحاد، ومن أصولهم دفع أحاديث الآحاد في مسائل الاعتقاد، فبذلك يكونوا قد وقع في تضاد.

[ر/٢١٥- ح/٩٥- ش(١/٢٥٤)- ز(١/٢٣١)- ي/١٨٠]

بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي السَّمَاءِ.(١)

كَمَا أَخْبَرَنَا فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَمَا هُوَ مَفْهُومٌ فِي فِطْرَةِ الْمُسْلِمِينَ، عُلَمَائِهِمْ وَجُهَّالِهِمْ، أَحْرَارِهِمْ وَمَمَالِيكِهِمْ، ذُكْرَانِهِمْ وَإِنَاثِهِمْ بَالِغِيهِمْ وَأَطْفَالِهِمْ.

كُلُّ مَنْ دَعَا اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا، فَإِنَّمَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَيَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى

---

(١) قوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ لها معنيان:

المعنى الأول: أأمنتم من على السماء، فـ(مِنْ) تأتي بمعنى (على)، قال تعالى: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ**﴾ (الأنعام/١١) أي: على الأرض، وقال حاكيًا عن فرعون: ﴿**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**﴾ (طه/٧١) أي: على جذوع النخل.

المعنى الثاني: أأمنتم من في العلو، والسماء تُستخدم عند العرب بمعنى العلو، قال تعالى: ﴿**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا**﴾ (الرعد/١٧)، والماءُ ينزل من العلو من السحاب، فأطلقت السماء لأن السحاب في العلو.

اللَّهِ، إِلَى أَعْلَاهُ لَا إِلَى أَسْفَلَ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَدْ ذَكَرْنَا اسْتِوَاءَ رَبِّنَا عَلَى الْعَرْشِ فِي الْبَابِ قَبْلُ، فَاسْمَعُوا الْآنَ مَا أَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ رَبِّنَا الَّذِي هُوَ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، مَقْرُوءٌ فِي الْمَحَارِيبِ وَالْكَتَاتِيبِ، مِمَّا هُوَ مُصَرَّحٌ فِي التَّنْزِيلِ، أَنَّ الرَّبَّ جَلَّ وَعَلَا فِي السَّمَاءِ، لَا كَمَا قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ الْمُعَطِّلَةُ: إِنَّهُ فِي أَسْفَلِ الْأَرَضِينَ، فَهُوَ فِي السَّمَاءِ، عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهُ الْمُتَتَابِعَةُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ**﴾(١)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا**﴾(٢).

أَفَلَيْسَ قَدْ أَعْلَمَنَا يَا ذَوِي الْحِجَا خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ؟

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ**

---

(١) الملك/١٦

(٢) الملك/١٧

يَرْفَعُهُ﴾[1].

أَفَلَيْسَ الْعِلْمُ مُحِيطًا يَا ذَوِي الْحِجَا وَالْأَلْبَابِ أَنَّ الرَّبَّ جَلَّ وَعَلَا فَوْقَ مَنْ يَتَكَلَّمْ بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، فَتَصْعَدُ إِلَى اللهِ كَلِمَتُهُ، لَا كَمَا زَعَمَتِ الْمُعَطِّلَةُ الْجَهْمِيَّةُ: أَنَّهُ تَهْبِطُ إِلَى اللهِ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ كَمَا تَصْعَدُ إِلَيْهِ ؟

أَلَمْ تَسْمَعُوا يَا طُلَّابَ الْعِلْمِ، قَوْلَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ: ﴿**يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾[2]، أَلَيْسَ إِنَّمَا يُرْفَعُ الشَّيْءُ مِنْ أَسْفَلَ إِلَى أَعْلَى، لَا مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلَ؟

وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**﴾[3]، وَمُحَالٌ أَنْ يَهْبِطَ الْإِنْسَانُ مِنْ ظَهْرِ الْأَرْضِ إِلَى بَطْنِهَا، أَوْ إِلَى مَوْضِعٍ أَخْفَضَ مِنْهُ وَأَسْفَلَ، فَيُقَالُ: رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ، لِأَنَّ الرِّفْعَةَ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ الَّذِينَ بِلُغَتِهِمْ خُوطِبْنَا لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ أَسْفَلَ إِلَى أَعْلَى وَفَوْقَ.

---

(١) فاطر/١٠

(٢) آل عمران/٥٥

(٣) النساء/١٥٨

أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ خَالِقِنَا جَلَّ وَعَلَا يَصِفُ نَفْسَهُ: ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾[1]، أَوَ لَيْسَ الْعِلْمُ مُحِيطًا إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ جَمِيعِ عِبَادِهِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْمَلَائِكَةِ، الَّذِينَ هُمْ سُكَّانُ السَّمَاوَاتِ جَمِيعًا؟

أَوَ لَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ الْخَالِقِ الْبَارِئِ: ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[2]، فَأَعْلَمَنَا الْجَلِيلُ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَيْضًا: أَنَّ رَبَّنَا فَوْقَ مَلَائِكَتِهِ، وَفَوْقَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ، وَأَعْلَمَنَا: أَنَّ مَلَائِكَتَهُ يَخَافُونَ رَبَّهُمُ الَّذِي فَوْقَهُمْ، وَالْمُعَطِّلَةُ تَزْعُمُ: أَنَّ مَعْبُودَهُمْ تَحْتَ الْمَلَائِكَةِ.

أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ خَالِقِنَا: ﴿**يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ**﴾[3]، أَلَيْسَ مَعْلُومًا فِي اللُّغَةِ السَّائِرَةِ بَيْنَ الْعَرَبِ الَّتِي خُوطِبْنَا بِهَا

---

(١) الأنعام/١٨

(٢) النحل/ ٥٠

(٣) السجدة/ ٥

وَبِلِسَانِهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ، أَنَّ تَدْبِيرَ الْأَمْرِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، إِنَّمَا يُدَبِّرُهُ الْمُدَبِّرُ، وَهُوَ فِي السَّمَاءِ لَا فِي الْأَرْضِ وَكَذَلِكَ مَفْهُومُ عِنْدَهُمْ: أَنَّ الْمَعَارِجَ: الْمَصَاعِدُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ**﴾[1]، وَإِنَّمَا يَعْرُجُ الشَّيْءُ مِنْ أَسْفَلَ إِلَى أَعْلَى وَفَوْقَ، لَا مِنْ أَعْلَى إِلَى دُونَ وَأَسْفَلَ، فَتَفَهَّمُوا لُغَةَ الْعَرَبِ لَا تَغَالَطُوا.

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**﴾[2]، فَالْأَعْلَى: مَفْهُومٌ فِي اللُّغَةِ: أَنَّهُ أَعْلَى شَيْءٍ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَاللَّهُ قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ تَنْزِيلِهِ وَوَحْيِهِ، وَأَعْلَمَنَا أَنَّهُ ﴿**الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾[3]، أَفَلَيْسَ الْعَلِيُّ يَا ذَوِي الْحِجَا مَا يَكُونُ عَالِيًا، لَا كَمَا تَزْعُمُ الْمُعَطِّلَةُ الْجَهْمِيَّةُ أَنَّهُ أَعْلَى، وَأَسْفَلُ، وَوَسَطٌ، وَمَعَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ أَرْضٍ وَسَمَاءٍ وَفِي أَجْوَافِ جَمِيعِ الْحَيَوَانِ؟

---

(١) المعارج/٤

(٢) الأعلى/١

(٣) البقرة/٢٥٥

وَلَوْ تَدَبَّرُوا آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَوَفَّقَهُمُ اللَّهُ لِفَهْمِهَا؛ لَعَقَلُوا أَنَّهُمْ جُهَّالٌ لَا يَفْهَمُونَ مَا يَقُولُونَ، وَبَانَ لَهُمْ جَهْلُ أَنْفُسِهِمْ، وَخَطَأُ مَقَالَتِهِمْ.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا سَأَلَهُ كَلِيمُهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُرِيَهُ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، قَالَ: ﴿**لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ**﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا**﴾[1].

أَفَلَيْسَ الْعِلْمُ مُحِيطًا يَا ذَوِي الْأَلْبَابِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَوْ كَانَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ، وَمَعَ كُلِّ بَشَرٍ وَخَلْقٍ كَمَا زَعَمَتِ الْمُعَطِّلَةُ، لَكَانَ مُتَجَلِّيًا لِكُلِّ شَيْءٍ؟ وَكَذَلِكَ جَمِيعِ مَا فِي الْأَرْضِ، لَوْ كَانَ مُتَجَلِّيًا لِجَمِيعِ أَرْضِهِ سَهْلِهَا، وَوَعْرِهَا، وَجِبَالِهَا، وَبَرَارِيهَا، وَمَفَاوِزِهَا، وَمُدُنِهَا، وَقُرَاهَا، وَعُمْرَانِهَا، وَخَرَابِهَا، وَجَمِيعِ مَا فِيهَا مِنْ نَبَاتٍ، وَبِنَاءٍ؛ لَجَعَلَهَا دَكًّا، كَمَا جَعَلَ اللَّهُ الْجَبَلَ الَّذِي تَجَلَّى لَهُ دَكًّا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا**﴾.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا**﴾ قَالَ: "**بِأُصْبُعِهِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِالْخِنْصَرِ مِنَ الظُّفْرِ يُمْسِكُهُ**

(١) الأعراف/١٤٣

بِالْإِبْهَامِ"، قَالَ: فَقَالَ حُمَيْدٌ لِثَابِتٍ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، دَعْ هَذَا، مَا تُرِيدُ إِلَى هَذَا؟ قَالَ: فَضَرَبَ ثَابِتٌ مَنْكِبَ حُمَيْدٍ، وَقَالَ: وَمَنْ أَنْتَ يَا حُمَيْدُ؟ وَمَا أَنْتَ يَا حُمَيْدُ، حَدَّثَنِي بِهِ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَقُولُ أَنْتَ: دَعْ هَذَا.(١)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا**﴾(٢) قَالَ: هَكَذَا، وَوَصَفَ مُعَاذٌ أَنَّهُ أَخْرَجَ أَوَّلَ مَفْصِلٍ مِنْ خِنْصَرِهِ.(٣)

فَاسْمَعُوا يَا ذَوِي الْحِجَا دَلِيلًا آخَرَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، أَنَّ اللَّهَ جَلَا وَعَلَا فِي السَّمَاءِ، مَعَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ فِرْعَوْنَ مَعَ كُفْرِهِ وَطُغْيَانِهِ، قَدْ أَعْلَمَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَلِكَ، وَكَأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّ خَالِقَ الْبَشَرِ فِي السَّمَاءِ، أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ يَحْكِي عَنْ فِرْعَوْنَ قَوْلَهُ: ﴿**يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ**

---

(١) **صحيح**: الترمذي (٣٠٧٤) وصححه الألباني.

(٢) الأعراف/١٤٣

(٣) **صحيح**: سبق تخريجه.

(٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾(١)، فَفِرْعَوْنُ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ يَأْمُرُ بِبِنَاءِ صَرْحٍ، يحَسَبُ أَنَّهُ يَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾(٢) دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مُوسَى قَدْ كَانَ أَعْلَمَهُ أَنَّ رَبَّهُ جَلَّ وَعَلا أَعْلَى وَفَوْقَ، وَأَحْسَبُ أَنَّ فِرْعَوْنَ إِنَّمَا قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ اسْتِدْرَاجًا مِنْهُ لهُمْ، كَمَا خَبَّرَنَا جَلَّ وَعَلَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾(٣)، فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّ هَذِهِ الْفِرْقَةَ جَحَدَتْ، يُرِيدُ: بِأَلْسِنَتِهِمْ لَمَّا اسْتَيْقَنَتْهَا قُلُوبُهُمْ، فَشُبِّهَ أَنْ يَكُونَ فِرْعَوْنُ إِنَّمَا قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ وَقَلْبُهُ: أَنَّ كَلِيمَ اللَّهِ مِنَ الصَّادِقِينَ، لَا مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَكَانَ فِرْعَوْنُ مُسْتَيْقِنًا بِقَلْبِهِ عَلَى مَا أَوَّلْتُ، أَمْ مُكَذِّبًا بِقَلْبِهِ ظَانًّا أَنَّهُ غَيْرُ صَادِقٍ.

وَخَلِيلُ اللَّهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَالِمٌ فِي ابْتِدَاءِ النَّظَرِ إِلَى الْكَوَاكِبِ وَالْقَمَرِ

---

(١) غافر/٣٦:٣٧

(٢) القصص/٣٨

(٣) النمل/١٤

وَالشَّمْسِ، أَنَّ خَالِقَهُ عَالٍ فَوْقَ خَلْقِهِ حِينَ نَظَرَ إِلَى الْكَوَاكِبِ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ، أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ: ﴿**هَذَا رَبِّي**﴾[1] وَلَمْ يَطْلُبْ مَعْرِفَةَ خَالِقِهِ، مِنْ أَسْفَلَ، إِنَّمَا طَلَبَهُ مِنْ أَعْلَى، مُسْتَيْقِنًا عِنْدَ نَفْسِهِ أَنَّ رَبَّهِ فِي السَّمَاءِ لَا فِي الْأَرْضِ.

---

(١) الأنعام/٧٦

[ر/٢٢٣- ح/٩٩- ش(١/٢٦٥)- ز(١/١٤٠)- ي/١٨٦]

بَابُ ذِكْرِ سُنَنِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُثْبِتَةِ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَأَنَّهُ فِي السَّمَاءِ.

كَمَا أَعْلَمَنَا فِي وَحْيِهِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ، إِذْ لَا تَكُونُ سُنَّتُهُ أَبَدًا الْمَنْقُولَةُ عَنْهُ بِنَقْلِ الْعَدْلِ عَنِ الْعَدْلِ مَوْصُولًا إِلَيْهِ، إِلَّا مُوَافِقَةً لِكِتَابِ اللَّهِ لَا مُخَالِفَةً لَهُ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَتَتْ فَاطِمَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَتْهُ خَادِمًا، فَقَالَ لَهَا: "**قُولِي: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ** ، وَقَالَ مَرَّةً: "**وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنِ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ**".(١)

---

(١) **صحيح**: مسلم (٢٧١٣).

عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**الْمَلَائِكَةُ يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ، مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، يَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ قَالُوا: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**".(١)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قِسْمَةِ الذَّهَبِ الَّتِي بَعَثَ بِهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنَ الْيَمَنِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**أَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ**".(٢)

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَفِي الْأَخْبَارِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عُرِجَ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتِ، عَلَى مَا جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ، فَتِلْكَ الْأَخْبَارُ كُلُّهَا دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ الْخَالِقَ الْبَارِئَ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ، لَا عَلَى مَا زَعَمَتِ الْمُعَطِّلَةُ: أَنَّ مَعْبُودَهُمْ هُوَ مَعَهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ،

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (٣٢٢٣)، مسلم (٦٣٢).

(٢) **متفق عليه**: البخاري (٤٣٥١)، مسلم (١٠٦٤).

وَكُنُفِهِمْ عَلَى مَا هُوَ عَلَى عَرْشِهِ قَدِ اسْتَوَى.(١)

---

(١) احتجت الجهمية المعطلة بآيات من القرآن الكريم من المتشابه، على أن الله في كل مكان بذاته، وهم الحلولية والاتحادية، فقالوا:

قال الله تعالى: ﴿**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ**﴾ (الأنعام/٣)، وقال: ﴿**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ**﴾ (الزخرف/٨٤)، وقال: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**﴾ (الحديد/٤)، فدلت الآيات على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في السماء وفي الأرض بذاته، وأنه مع كل أحد.

وهذا كلام باطل لا أساس له، ينكره العقل فضلًا عن الشرائع، فقولهم في الآيتين الأوليين: أن الله في السماء بذاته وفي الأرض بذاته، قولًا باطلًا، بل المقصود أن الله عز وجل إله يعبده أهل السموات ويعبده أهل الأرض، فكل من في السموات والأرض من خلقه يعبدونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أما الآية الثانية، فأولها وآخرها ينقض دعواهم، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ ألا ترى أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ابتدأ الآية بالعلم، فقال: ﴿**يَعْلَمُ**﴾، وختمها فقال: ﴿**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾، فالله تعالى بذاته على العرش فوق عباده، وهو في =

عَنِ الْبَرَاءِ فِي قِصَّةِ قَبْضِ رُوحِ الْمُؤْمِنِ وَرُوحِ الْكَافِرِ، قَالَ فِي قِصَّةِ قَبْضِ رُوحِ الْمُؤْمِنِ: "**فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ الْمُطْمَئِنَّةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنَ السِّقَاءِ، لَا يَتْرُكُونَهَا فِي يَدِهِ طَرَفَةَ عَيْنٍ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى جُنْدٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ ، فَإِذَا انْتُهِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، ثُمَّ شَيَّعَهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا مِنَ السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، ثُمَّ يُقَالُ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي عِلِّيِّينَ**".(١)

=

كل مكان بعلمه، وبصره، وإحاطته، ورعايته.

(١) **صحيح**: أبو داود (٤٧٥٣) وصححه الألباني.

[ر/٢٣٢- ح/١٠٣- ش(١/٢٧٨)- ز(١/٢٥١)- ي/١٩٤]

بَابُ ذِكْرِ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْإِقْرَارَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي السَّمَاءِ مِنَ الْإِيمَانِ.

قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ الْحَكَمِ السُّلَمِيُّ قَالَ: وَكَانَتْ غُنَيْمَةٌ لِي تَرْعَاهَا جَارِيَةٌ لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَوَجَدْتُ الذِّئْبَ قَدْ أَخَذَ مِنْهَا شَاةً، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ[1] كَمَا يَأْسَفُونَ، فَصَكَكْتُهَا صَكَّةً، ثُمَّ انْصَرَفْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أَعْتِقُهَا؟ قَالَ: "**بَلَى، ائْتِنِي بِهَا**"، فَجِئْتُ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهَا: "**أَيْنَ اللَّهُ ؟**"، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: "**فَمَنْ أَنَا ؟**"، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: "**إِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ، فَأَعْتِقْهَا**".[2]

---

(١) أغضب.

(٢) **صحيح**: مسلم (٥٣٧).

[ر/٢٤١-ح/١٠٦-ش(١/٢٨٩)-ز(١/٢٥٩)-ي/٢٠٠]

بَابُ ذِكْرِ أَخْبَارٍ ثَابِتَةِ السَّنَدِ صَحِيحَةِ الْقَوَامِ رَوَاهَا عُلَمَاءُ الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ عَنِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ﷺ فِي نُزُولِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ.(١)

---

(١) صفة النزول صفة فعلية ثابتة لله عز وجل، وقد بلغت الأحاديث الواردة في ثبوت صفة النزول حد التواتر، وقد صنف الإمام الدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه القيم [النزول] ذكر فيه عدة روايات عن جملة من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

قال الإمام الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (الرد على الجهمية/٧٩): فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد ولا يمتنع من روايتها، حتى ظهرت هذه العصابة، فعارضت آثار رسول الله برد، وتشمروا لدفعها بجد، فقالوا: كيف نزوله هذا ؟

قلنا: لم نكلف معرفة كيفية نزوله في ديننا، ولا تعقله قلوبنا، وليس كمثله شيء من خلقه فَنُشَبِّهُ منه فعلا أو صفة بفعالهم وصفتهم، ولكن ينزل بقدرته ولطف ربوبيته كيف يشاء، فالكيف منه غير معقول والإيمان بقول رسول الله في نزوله واجب، ولا يسأل الرب عما يفعل كيف يفعل وهم يسألون.اهـ

=

نَشْهَدُ شَهَادَةَ مُقِرٍّ بِلِسَانِهِ، مُصَدِّقٍ بِقَلْبِهِ، مُسْتَيْقِنٍ بِمَا فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ مِنْ ذِكْرِ نُزُولِ الرَّبِّ، مِنْ غَيْرِ أَنْ نَصِفَ الْكَيْفِيَّةَ، لِأَنَّ نَبِيَّنَا الْمُصْطَفَى لَمْ يَصِفْ لَنَا كَيْفِيَّةَ نُزُولِ خَالِقِنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، أَعْلَمَنَا أَنَّهُ يَنْزِلُ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لَمْ يَتْرُكْ وَلَا نَبِيُّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيَانَ مَا بِالْمُسْلِمِينَ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ فَنَحْنُ قَائِلُونَ مُصَدِّقُونَ بِمَا فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ مِنْ ذِكْرِ النُّزُولِ، غَيْرِ مُتَكَلِّفِينَ الْقَوْلَ بِصِفَتِهِ أَوْ بِصِفَةِ الْكَيْفِيَّةِ، إِذِ النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَصِفْ لَنَا كَيْفِيَّةَ النُّزُولِ.

وَفِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ مَا بَانَ وَثَبَتَ وَصَحَّ، أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا فَوْقَ سَمَاءِ

=

وقال أبو بكر الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النزول: وأما أهل الحق فيقولون: الإيمان به واجب بلا كيف، لأن الأخبار قد صحت عن رسول الله : **"أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ"**، والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام، وعلم الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد فكما قبل العلماء عنهم ذلك كذلك قبلوا منهم هذه السنن، وقالوا: من ردها فهو ضال خبيث، يحذرونه ويحذرون منه. اهـ (الشريعة/٢٤٧).

وقال اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سياق ما روى عن النبي ﷺ في نزول الرب تبارك وتعالى: رواه عن النبي ﷺ عشرون نفسًا. اهـ (شرح أصول الاعتقاد:٣/٩١).

الدُّنْيَا الَّذِي أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا ﷺ أَنَّهُ يَنْزِلُ إِلَيْهِ، إِذْ مُحَالٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ أَنْ تقُولَ: نَزَلَ مِنْ أَسْفَلَ إِلَى أَعْلَى، وَمَفْهُومٌ فِي الْخِطَابِ أَنَّ النُّزُولَ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلَ.

عَنِ الْأَغَرِّ أَنَّهُ قَالَ : أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : "**إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ حَتَّى يَذْهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ ، فَيَنْزِلُ ، فَيَقُولُ : هَلْ مِنْ سَائِلٍ ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ ؟ هَلْ مِنْ مُذْنِبٍ ؟**" فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ؟ قَالَ: "**نَعَمْ**".(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "**يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟**".(٢)

عَنْ عَطَاءَ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي رِفَاعَةُ بْنُ عَرَابَةَ الْجُهَنِيُّ قَالَ: صَدَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَجَعَلُوا يَسْتَأْذِنُونَ النَّبِيَّ ﷺ، فَجَعَلَ يَأْذَنُ

---

(١) **صحيح**: أحمد (المسند:١٤/٥٢٩/ح٨٩٧٤).

(٢) **متفق عليه**: البخاري (١١٤٥)، مسلم (٧٥٨).

لَهُمْ، فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**مَا بَالُ شِقِّ الشَّجَرَةِ الَّذِي يَلِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَبْغَضُ إِلَيْكُمْ مِنَ الشِّقِّ الْآخَرِ؟**" فَلَا يُرَى مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا بَاكِيًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: إِنَّ الَّذِي يَسْتَأْذِنُ بَعْدَ هَذَا فِي نَفْسٍ لَسَفِيهٌ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَكَانَ إِذَا حَلَفَ قَالَ: "**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، أَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ: مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، ثُمَّ يُسَدِّدُ إِلَّا سُلِكَ بِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَلَقَدْ وَعَدَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَدْخُلُوهَا حَتَّى تَبَوَّءُوا، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَذُرِّيَّاتِكُمْ مَسَاكِنَكُمْ فِي الْجَنَّةِ**"، ثُمَّ قَالَ: "**إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ**"، أَوْ قَالَ: "**ثُلُثَاهُ يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَقُولُ: لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي: مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأُجِيبَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ**".(١)

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**إِنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الْبَاقِي، ثُمَّ يَهْبِطُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَبْسُطُ**

(١) **صحيح**: الآجري (الشريعة/٧٠٩,٧١٠).

يَدَيْهِ: أَلَا عَبْدٌ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ فَمَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى تَسْطَعَ الشَّمْسُ ".(١)

---

(١) **صحيح**: أحمد (المسند:٧/٣٠١/ح٤٢٦٧)، وفيه إثبات صفة الهبوط.

فائدة: قال محقق كتاب (النزول) المسمى (التعليق المأمول/١٦٦): وليس بين هؤلاء الرواة جميعًا خلافٌ في تحديد وقت النزول الإلهي أنه: "**حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ**"، وهذه اللفظة في تحديد وقت النزول هي أدق وأصح الألفاظ في تعيينه، وذلك لأربعة مرجحات:

أولها: أنها من رواية جبل الحفظ والتيقظ والتثبت، إمام دار الهجرة مالك بن أنس، من رواية أثبات أصحابه عنه.

ثانيها: أنه قد تابع مالكا جماعة من أثبات أصحاب الزهري: معمر، وإبراهيم بن سعد ، وفُليح بن سليمان.

ثالثها: أنها الرواية التي اتفق عليها إماما المحدثين: البخاري ومسلم.

رابعها: أن روايات الحديث عن سائر الصحابة توافقها، أو تقاربها بنوع تأويل.اهـ

[ر/٢٦٢-ح/١١٧-ش(١/٣٢٨)-ز(١/٢٨٢)-ي/٢١٨]

بَابُ ذِكْرِ تَكْلِيمِ اللَّهِ كَلِيمَهُ مُوسَى خُصُوصِيَّةً خَصَّهُ اللَّهُ بِهَا مِنْ بَيْنِ الرُّسُلِ بِذِكْرِ آيٍ مُجْمَلَةٍ غَيْرِ مُفَسَّرَةٍ، فَسَّرَتْهَا آيَاتٌ مُفَسَّرَاتٌ.(١)

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: نَبْدَأُ بِذِكْرِ تِلَاوَةِ الْآيِ الْمُجْمَلَةِ غَيْرِ الْمُفَسَّرَةِ، ثُمَّ نُثْنِي بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ بِالْآيَاتِ الْمُفَسَّرَاتِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ**

---

(١) المجمل: هو ما احتمل أكثر من معنى دون رجحان، والمفسر كالمبين: وهو ما دل على المعنى المراد، فقول الله تعالى: ﴿**مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ**﴾ مجمل، لا نعرف من هو الذي كلمه الله كفاحًا، فلما قال: ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾، ولما قال النبي ﷺ: "**آدَمُ نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ**" فُسِّر لنا وبُيِّنَ ما كان مُجْملاً في ﴿**مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ**﴾.

وصفة الكلام صفة ذاتية فعلية، ثابتة لله تعالى من الكتاب والسنة والإجماع، وإنما قلنا صفة ذاتية، لأن الله تعالى متكلم، وليس بأبكم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإنما قلنا فعليه، لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتكلم أو يسكت متى شاء كيف شاء.

اللَّهُ﴾[1]، فَأَجْمَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَ مَنْ كَلَّمَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَلَمْ يَذْكُرْهُ بِاسْمٍ وَلَا نَسَبٍ، وَلَا صِفَةٍ، فَيَعْرِفُ الْمُخَاطَبُ بِهَذِهِ الْآيَةِ التَّالِي لَهَا، أَوْ سَامِعَهَا مِنْ غَيْرِهِ، أَيَّ الرُّسُلِ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ الرُّسُلِ، وَكَذَلِكَ أَجْمَلَ اللَّهُ أَيْضًا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْجِهَاتِ الَّتِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهَا مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ كَلَّمَهُمْ مِنَ الرُّسُلِ، فَبَيَّنَ فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ**﴾[2]، الْجِهَاتِ الَّتِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهَا بَعْضَ الْبَشَرِ، فَأَعْلَمَ: أَنَّهُ كَلَّمَ بَعْضَهُمْ وَحْيًا، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، أَوْ يُرْسِلُ رَسُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ.

وَبَيَّنَ فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾[3] أَنَّ مُوسَى ﷺ كَلَّمَهُ تَكْلِيمًا[4]، فَبَيَّنَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا كَانَ أَجْمَلَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**مِنْهُمْ**

---

(١) البقرة/٢٥٣

(٢) الشورى/٥١

(٣) النساء/١٦٤

(٤) قوله تعالى: ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾ من أقوى الأدلة على أن الله يتكلم كلامًا حقيقًا يليق بذاته، لأن الفعل إذا أكده مصدره لم يدل إلا على الحقيقة، وعلى =

مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾[1]، فَسُمِّيَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ كَلِيمَهُ، وَأَعْلَمَ أَنَّهُ مُوسَى الَّذِي خَصَّهُ اللَّهُ بِكَلَامِهِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ**﴾[2][3] مُفَسِّرٌ لِلْآيَةِ الْأُولَى، سَمَّى اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ كَلِيمَهُ، وَأَعْلَمَ أَنَّهُ مُوسَى الَّذِي خَصَّهُ اللَّهُ بِالتَّسْمِيَةِ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الرُّسُلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَأَعْلَمَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ رَبَّهُ الَّذِي كَلَّمَهُ، وَأَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ اصْطَفَى مُوسَى بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ،

=

هذا أجمع النحويون.

(١) البقرة/٢٥٣

(٢) الأعراف/١٤٣

(٣) جاء رجل معتزلي إلى أبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة، فقال له: أريدك أن تقرأ هذه الآية: ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾ بنصب بلفظ الجلالة -ذلك ليكون موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هو المتكلم، أما الرب عنده فلا يتكلم؛ لأن الكلام لا يكون إلا بفم ولسان حسب زعمه- فقال أبو عمرو: هب أني وافقتك في ذلك، فماذا تفعل بقوله عز وجل: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ**﴾ فبهت المعتزلي.

فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾(١)، فَفِي الْآيَةِ: زِيَادَةُ بَيَانٍ وَهِيَ : إِعْلَامُ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَعْضَ مَا بِهِ كَلَّمَ مُوسَى.

أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

وَبَيَّنَ فِي آيٍ أُخَرَ بَعْضَ مَا كَلَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ، فَقَالَ فِي سُورَةِ طه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾(٢) إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ.

وَقَالَ فِي سُورَةِ النَّمْلِ: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ

---

(١) الأعراف/١٤٤

(٢) طه/١٢:١٤

حَوْلَهَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: **﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**[١].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: **﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾**[٢] إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ.

فَبَيَّنَ اللَّهُ فِي الْآيِ الثَّلَاثِ: بَعْضَ مَا كَلَّمَ اللَّهُ بِهِ مُوسَى، مِمَّا لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ أَلْفَاظِ مَلِكٍ مُقَرَّبٍ، وَلَا مَلِكٍ غَيْرِ مُقَرَّبٍ، غَيْرِ جَائِزٍ أَنْ يُخَاطِبَ مَلِكٌ مُقَرَّبٌ مُوسَى، فَيَقُولُ: **﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾**[٣]، أَوْ يَقُولَ: **﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾**[٤].

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا**

---

(١) النمل/٧:٩

(٢) القصص/٣٠

(٣) القصص/٣٠

(٤) طه/١٢

صَبَرُوا﴾[1]، فَأَعْلَمَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ لَهُ جَلَّ وَعَلَا كَلِمَةً يَتَكَلَّمُ بِهَا.

فَاسْمَعُوا الْآنَ سُنَنَ النَّبِيِّ ﷺ الصَّرِيحَةَ، بِنَقْلِ الْعَدْلِ عَنِ الْعَدْلِ مَوْصُولًا إِلَيْهِ، الْمُبَيِّنَةَ أَنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مُوسَى بِكَلَامِهِ، خُصُوصِيَّةً خَصَّهُ بِهَا مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**لَقِيَ مُوسَى آدَمَ ﷺ**" فَذَكَرُوا الْحَدِيثَ بِتَمَامِهِ، وَفِي الْخَبَرِ: "**فَقَالَ آدَمُ: أَلَسْتَ مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ؟**".[2]

---

(١) الأعراف/١٣٧

(٢) **متفق عليه**: سبق تخريجه.

[ر/٢٧٢- ح/١٢٢- ش(١/٣٤٦)- ز(١/٢٩٣)- ي/٢٢٥]

بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا كَلَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ.

مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولٌ يُبَلِّغُهُ كَلَامَ رَبِّهِ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي وَقْتِ كَلَامِهِ إِيَّاهُ.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: يَا رَبِّ: أَرِنَا آدَمَ الَّذِي أَخْرَجَنَا وَنَفْسَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَرَاهُ اللَّهُ آدَمَ، فَقَالَ: أَنْتَ أَبُونَا آدَمُ؟ قَالَ لَهُ آدَمُ: نَعَمْ، قَالَ: أَنْتَ الَّذِي نَفَخَ اللَّهُ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَعَلَّمَكَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا؟ وَأَمَرَ مَلَائِكَتَهُ فَسَجَدُوا لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ؟ قَالَ لَهُ آدَمُ: وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، الَّذِي كَلَّمَكَ اللَّهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَسُولًا مِنْ خَلْقِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا وَجَدْتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَبِمَ تَلُومُنِي فِي شَيْءٍ سَبَقَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ الْقَضَاءُ قَبْلِي؟**"،

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**عِنْدَ ذَلِكَ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ**".(١)

(١) **صحيح**: انظر السابق ، وفي هذا الحديث فوائد عديدة، ففيه إثبات جملة من الصفات، كاليد، والكتابة، الكلام، وفيه إثبات الإيمان بالقدر، و جواز الاحتجاج به في المعايب التي تِيبَ منها.

[ر/٢٧٣- ح/١٢٣- ش(١/٣٤٨)- ز(١/٢٩٥)- ي/٢٢٦)]

بَابُ صِفَةِ تكَلُّمِ اللَّهِ بِالْوَحْيِ وَشِدَّةِ خَوْفِ السَّمَاوَاتِ مِنْهُ وَذِكْرِ صَعْقِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَسُجُودِهِمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ تكَلَّمَ بِالْوَحْيِ، أَخَذَتِ السَّمَاوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةً، أَوْ قَالَ رِعْدَةً شَدِيدَةً، خَوْفًا مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صُعِقُوا، وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ الْحَقَّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ**".(١)

---

(١) **صحيح**: أبو داود (٤٧٣٨) وصححه الألباني.

[ر/٢٧٤-ح/١٢٤-ش(١/٣٤٩)-ز(١/٢٩٧)-ي/٢٢٨]

بَابٌ مِنْ صِفَةِ تَكَلُّمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْوَحْيِ.

وَالْبَيَان أَنَّ كَلَامَ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ لَا يُشْبِهُ كَلَامَ الْمَخْلُوقِينَ، لِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ كَلَامٌ مُتَوَاصِلٌ، لَا سَكْتَ بَيْنَهُ وَلَا سَمْتَ، لَا كَكَلَامِ الْآدَمِيِّينَ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ كَلَامِهِمْ سَكْتٌ وَسَمْتٌ، لِانْقِطَاعِ النَّفَسِ، أَوِ التَّذَاكُرِ، أَوِ الْعِيِّ، مُنَزَّهٌ اللَّهُ مُقَدَّسٌ مِنْ ذَلِكَ أَجْمَعَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.(١)

---

(١) كلام الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصف صفة الكلام مشكل ويحتاج إلى تبين، وقد كنت أتمنى أن أجد بين يدي تعليقًا على هذا الكلام يشفي صدري، ففي نسخة (دار الحديث) لم يعلق المحقق على هذا الكلام، وفي نسخة (يحيي الأزهري) لم يعلق على هذا الكلام أيضا، وفي نسخة (الرِّياشي) قال المحقق: هذا التفصيل يحتاج إلى دليل من الكتاب، أو السنة الصحيحة، وإلا فالسكوت عنه أولى؛ لأنه لم يرد عن الصحابة والقرون المفضلة رضوان الله عليهم أجمعين.

وفي نسخة (الشهوان) قال: الأولى ترك مثل هذا التعبير، لأنه فيما يبدو كلام في كيفية صفة الباري عز وجل، وهو من أمور الغيب، حيث لم يورد المؤلف أي حديث يدل =

=

على هذه الكيفية، وكما هو معلوم أن القاعدة هي إثبات صفة الكلام للباري عز وجل على أكمل صفة، ولا نبحث الكيفية بغير دليل نقلي.

وفي نسخة (الزهيري) قال: لو ترك إمام الأئمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: (**لِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ كَلَامٌ مُتَوَاصِلٌ، لَا سَكْتَ بَيْنَهُ وَلَا سَمْتَ**) لكان أولى، ولو سقطت هذه الجملة لاستقام الكلام، ولتم مراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو إثبات الكلام لله عز وجل مع التنزيه ونفي التشبيه، وأما هذه الجملة ففيها خوض فيما لم نؤت علمه، والله أعلم.

وكنت أتمنى أن أطلع على تعليق الشيخ هراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم إني اطلعت على كلامه بفضل الله تعالى من نسخة فضيلة الشيخ أبي عمرو أحمد الوكيل حفظه الله، فوجدت كلام الشيخ هراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحتاج إلى تعقب هو أيضا، فلم أرَ فائدة من ذكره ، رحم الله الشيخ رحمة واسعة.

وقد قرأت قبلُ كلامًا للإمام محمد بن إسحاق بن منده رَحِمَهُ ٱللَّهُ شبيهًا بكلام الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث قال:

فمن الصفات التي وصف بها نفسه ومنح خلقه [الكلام]، فالله عز وجل تكلم كلامًا أزليًا **غير مُعلَّمٍ ولا منقطع فيه**، يخلق الأشياء بكلامه، دل على صفاته التي لا يستدرك كيفيتها مخلوق، ولا يبلغها وصف واصف.اهـ (التوحيد/٢٤٢ ط فياض-

=

=

ص٤٤١/ ط دار الفضيلة).

وقد اطلعت على طبعة فضيلة الشيخ الفقيهي، ولكنى لم أجد أي تعليق على هذا الكلام فيما اطلعت عليه من طبعات، وقد كنت أرجو أن أجد تعليقًا في أيٍّ من الكتابين -التوحيد لابن خزيمة و التوحيد لابن منده- ؛ لأن ما يقال في أحدها قد يغني عن الآخر، ثم إني وجدت في هامش كتاب (التوحيد لابن منده/ط دار الفضيلة) عزو كلام الإمام لقوام السنة الأصبهاني في كتابه القيم (الحجة في بيان المحجة)، فشرعت في النظر إلى الكتاب ط (دار الفاروق/١٢) فلم أجد أي تعليق من الإمام الأصبهاني على كلام الإمام ابن منده رحمهما الله جميعا، ولا من المحقق نفسه.

ومن العجيب أني وجدت ابنَ فُورك الأشعري قد تعقب الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعقبًا قويًا في هذا الموضع، وقد أصاب بعض الحق في كلامه، وإلا فابن فورك نفسه مبتدع في هذا الباب، ولا يؤتمن عليه.

وبعد هذا، أقول مستعينًا بالله تعالى:

اختلفت الأمة في صفة الكلام والقرآن اختلافًا أفضى إلى تفرقها فرقًا عديدة، وقد ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوال الفرق في الكلام والقرآن، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

=

=

اختلف أهل الأرض في كلام الله تعالى ... فذكر الاتحادية، والفلاسفة، والجهمية، والكُلَّابية، والأشعرية، والكرَّامية، ثم ذكر السالمية، فقال:

المذهب السابع: مذهب السالمية، ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة وأهل الحديث؛ أنه صفة قديمة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال، لا يتعلق بقدرته ومشيئته، ومع ذلك هو حروف وأصوات وسور وآيات، سمعه جبريل منه، وسمعه موسى بلا واسطة، ويُسمعه سبحانه من يشاء، وإسماعه نوعان: بواسطة، وبلا واسطة، ومع ذلك فحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضا، بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد، ثم لم تكن معدومة في وقت من الأوقات ولا تعدم، بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفة الحياة والسمع والبصر، وجمهور العقلاء قالوا: إن تصور هذا المذهب كاف في الجزم ببطلانه.اهـ (مختصر الصواعق المرسلة/ ٤٦٦:٤٧١).

قلت: مما سبق يتبين القدر الذي اتفقت السالمية فيه مع أهل السنة والقدر الذي اختلفت فيه مع أهل السنة.

فالقدر المتفق بين أهل السنة والسالمية هو قولهم:

١ - أنه صفة قديمة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال.

=

=

٢- ومع ذلك هو حروف وأصوات وسور وآيات.

٣- سمعه جبريل منه، وسمعه موسى بلا واسطة، ويُسمعه سبحانه من يشاء.

٤- ثم لم تكن معدومة في وقت من الأوقات، ولا تعدم، بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفة الحياة والسمع والبصر.

القدر المختلف بين أهل السنة والسالمية هو قولهم:

١- لا يتعلق بقدرته ومشيئته. [والصواب أن الكلام صفة فعلية أيضا].

٢- ومع ذلك فحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضا، بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد. [والصواب أن الله يتكلم ويسكت].

فالإمام ابن خزيمة رَحِمَهُٱللَّهُ كلامه يشبه -والله أعلم- كلام السالمية، فقوله: **(لِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ كَلَامٌ مُتَوَاصِلٌ، لَا سَكْتَ بَيْنَهُ، وَلَا سَمْتَ، لَا كَكَلَامِ الْآدَمِيِّينَ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ كَلَامِهِمْ سَكْتٌ وَسَمْتٌ، لِانْقِطَاعِ النَّفَسِ أَوِ التَّذَاكُرِ، أَوِ الْعِيِّ، مُنَزَّهٌ اللَّهُ مُقَدَّسٌ مِنْ ذَلِكَ أَجْمَعَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى)** يشبه كلام السالمية الذي هو: (ومع ذلك فحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضا، بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد).

هذا وكلام الإمام اشتمل على نفي عن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لم يرد في الكتاب ولا في السنة، فالأولى التوقف في ذلك، فلا نثبت إلا ما ثبت، ولا ننفي إلا ما نفي، ونتوقف

=

=

فيما لم يرد فيه نفي أو إثبات، ثم إن كلام الإمام يدور على كيفية الصفة لا على معناها، ولا طاقة لنا بذلك.

بقيت لنا فائدة يجب التنبيه عليها: وهي أن صفات الله تعالى الفعلية أصلها ذاتي وآحادها متجدد حادث، فمثلًا :

فصفة السمع صفة ذاتية لله تعالى ثبتت بالنقل والعقل، وأيضًا هي صفةٌ فعلية حيث إن الله يسمع الآن من يحمده، وكذلك البصر...الخ

ومن ذلك صفة الكلام، فصفة الكلام صفة ذاتية، فمحال أن يوصف الله تعالى بالبكم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهي أيضًا صفة فعليه متجددة، تحدث بعد عدم حدوث، فالله تعالى يتكلم بمشيئته متى شاء كيف شاء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (النحل/٤٠) ففي الآية دلالة على أن القول يكون تحت مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقد عقد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (درء التعارض:٢/٣٤٩) بابًا أفرد فيه مسألة قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى وأقوال السلف فيها، فقال: وأما مسألة قيام الأفعال الاختيارية به، فإن ابن كُلاب والأشعري وغيرهما ينفونها، وعلى ذلك بنوا قولهم في مسألة القرآن، وبسبب ذلك وغيره تكلم الناس فيهم في هذا الباب بما

=

=

هو معروف في كتب أهل العلم، ونسبوهم إلى البدعة وبقايا بعض الاعتزال فيهم، وشاع النزاع في ذلك بين عامة المنتسبين إلى السنة من أصحاب أحمد وغيرهم، وقد ذكر أبو بكر عبد العزيز في كتاب (الشافي) عن أصحاب أحمد في معنى أن القرآن غير مخلوق قولين مبنيين على هذا الأصل:

أحدهما: أنه قديم لا يتعلق بمشيئته وقدرته.

والثاني: أنه لم يزل متكلما إذا شاء.اهـ

ثم ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أقوال الأئمة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى، وأنه سبحانه يفعل ما شاء متى شاء، فنقل كلام الصابوني، والبيهقي، والخلال وأحمد بن حنبل، وعبد العزيز الماجشون، والبخاري، والمحاسبي، والدارمي، وغيرهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ جميعًا، واستدل على ذلك بالعديد من الآيات القرآنية التي ذُكرت فيها أفعال الرب عز وجل، والأحاديث النبوية التي ذُكرت فيها أيضا أفعال الرب عز وجل ؛ من حب ورضا واستواء ، ونزول...الخ.

والمراد بيان أن أهل السنة والجماعة أجمعوا على أن الله يفعل ما شاء، متى شاء، كيف شاء، وأن كلام الله من حيث آحاده من صفاته الفعليه، فإنه سبحانه يتكلم ويسكت في الوقت الذي يريده، سبحانه لا مكره له، ومن هنا بدأ الخلاف بين الفرق

=

عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: سُئِلَ عَبْدُ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿**حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**﴾[١]، قَالَ: إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ لِلسَّمَاوَاتِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا.[٢]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**إِذَا قَضَى اللَّهُ فِي السَّمَاءِ أَمْرًا ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهَا سِلْسِلَةٍ عَلَى صَفْوَانَ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: لِلَّذِي قَالَ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُو السَّمْعِ، وَهُمْ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوْقَ الْآخَرِ -وَأَشَارَ سُفْيَانُ بِأَصَابِعِهِ- وَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ الْمُسْتَمِعَ فَيُحْرِقُهُ، وَرُبَّمَا لَمْ يُدْرِكْهُ، حَتَّى يَرْمِيَ بِهَا إِلَى الَّذِي أَسْفَلَ مِنْهُ وَيَرْمِيهَا الْآخَرُ عَلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، فَيُلْقِيهَا عَلَى فَمِ السَّاحِرِ، أَوِ الْكَاهِنِ فَيَكْذِبُ عَلَيْهَا مَا يُرِيدُ، فَيُحَدِّثُ بِهَا النَّاسَ، فَيَقُولُونَ: قَدْ أَخْبَرَنَا بِكَذَا وَكَذَا، فَوَجَدْنَاهُ حَقًّا، فَيُصَدَّقُ بِالْكَلِمَةِ**

=

والطوائف، كما بين شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ، والله أعلى وأعلم.

(١) سبأ/٢٣

(٢) **صحيح**: البخاري في (خلق أفعال العباد/١٨٣).

الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ".[١]

عَنْ يَزِيدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: ﴿**حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**﴾[٢] قَالَ: تَجَلَّيَ عَنْ قُلُوبِهِمْ.[٣]

---

(١) **صحيح**: البخاري (٤٧٠١).

(٢) سبأ/٢٣

(٣) **صحيح**: تفسير يحيي بن سلام (٢/٧٥٩).

[ر/٢٨١-ح/١٢٧-ش(١/٣٥٨)-ز(١/٣٠٤)-ي/٢٣٤]

بَابُ صِفَةِ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَالْبَيَانُ أَنَّهُ قَدْ كَانَ يَسْمَعُ بِالْوَحْيِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ، صَوْتًا كَصَلْصَلَةِ الْجَرَسِ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**أَحْيَانًا فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، فَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا، فَيُكَلِّمُنِي، فَأَعِي مَا يَقُولُ**".

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا.(١)

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (٢)، مسلم (٢٣٣٣).

[ر/٢٨٢- ح/١٢٨- ش(١/٣٥٩)- ز(١/٣٠٦)- ي/٢٣٥]

بَاب الْبَيَانِ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يُكَلِّمُ عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ غَيْرِ تُرْجُمَانٍ يَكُونُ بَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَ عِبَادِهِ بِذِكْرِ لَفْظٍ عَام مُرَادُهُ خَاصٌّ.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُ رَبَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ مَنْ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ يَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ"**.(١)

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (٦٥٣٩)، مسلم (١٠١٦).

[ر/٢٨٦- ح/١٣٠- ش(١/٣٦٥)- ز(١/٣١١)- ي/٢٣٨]

بَابُ ذِكْرِ بَعْضِ مَا يُكَلِّمِ بِهِ الْخَالِقُ جَلَّ وَعَلَا عِبَادَهُ مِمَّا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَالْبَيَانُ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُكَلِّمُ الْكَافِرَ وَالْمُنَافِقَ أَيْضًا تَقْرِيرًا وَتَوْبِيخًا.

قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْحَاجَةَ، وَجَاءَ آخَرُ، فَشَكَا قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ ؟"** قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، فَقَالَ: **"لَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَيُفْتَحَنَّ عَلَيْنَا كُنُوزُ كِسْرَى"**، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ! قَالَ: **"كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَى أَنَّ الرَّجُلَ يَجِيءُ بِمِلْءِ كَفِّهِ ذَهَبًا، أَوْ فِضَّةً يَلْتَمِسُ مَنْ يَقْبَلُهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ، وَلَيَلْقَيَنَّ اللَّهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا فَأَفْضَلَ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ، فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ، فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ"**، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"فَاتَّقُوا النَّارَ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، وَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ"**.

قَالَ عَدِيٌّ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ الظَّعِينَةَ يَرْتَحِلُونَ مِنَ الْحِيرَةِ، حَتَّى يَطُوفُوا بِالْكَعْبَةِ آمِنِينَ لَا يَخَافُونَ إِلَّا اللَّهَ، وَلَقَدْ كُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: "**يَجِيءُ الرَّجُلُ بِمِلْءِ كَفِّهِ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً لَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ**".(١)

---

(١) **صحيح**: البخاري (٣٥٩٥).

[ر/٢٨٨- ح/١٣١- ش(١/٣٦٨)- ز(١/٣١٣)- ي/٢٤٠]

بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ الشَّافِي لِصِحَّةِ مَا تَرْجَمْتُهُ لِلْبَابِ قَبْلَ هَذَا أَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا ذِكْرُهُ يُكَلِّمُ الْكَافِرَ وَالْمُنَافِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَقْرِيرًا وَتَوْبِيخًا

وَذِكْرِ إِقْرَارِ الْكَافِرِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِكُفْرِهِ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ إِقْرَارُهُ: أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَظُنُّ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُ مُلَاقٍ رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ كَانَ غَيْرَ مُؤْمِنٍ فِي الدُّنْيَا غَيْرَ مُصَدِّقٍ بِأَنَّهُ مُلَاقٍ رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَكَافِرٌ غَيْرُ مُؤْمِنٍ.

وَذِكْرِ دَعْوَى الْمُنَافِقِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ: أَنَّهُ كَانَ مُؤْمِنًا بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَبِنَبِيِّهِ، وَبِكِتَابِهِ، صَائِمًا، مُصَلِّيًا، مُزَكِّيًا فِي الدُّنْيَا، وَإِنْطَاقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَخِذَ الْمُنَافِقِ، وَلَحْمَهُ، وَعِظَامَهُ لِمَا كَانَ يَعْمَلُ فِي الدُّنْيَا تَكْذِيبًا لِدَعْوَاهُ بِلِسَانِهِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: "**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟**" قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "**فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابٍ؟**" قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، كَمَا لَا تُضَارُّونَ فِي**

رُؤْيَتِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ يَعْنِي يَا فُلَانُ أَلَمْ أُكْرِمْكَ؟ أَلَمْ أُسَوِّدْكَ؟ أَلَمْ أُزَوِّجْكَ؟ أَلَمْ أُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَتْرُكْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟[1] قَالَ: بَلَى يَا رَبِّي، قَالَ: فَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ قَالَ: لَا يَارَبِّ، قَالَ: فَالْيَوْمُ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، قَالَ: ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي فَيَقُولُ: أَلَمْ أُكْرِمْكَ؟ أَلَمْ أُسَوِّدْكَ؟ أَلَمْ أُزَوِّجْكَ؟ أَلَمْ أُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَتْرُكْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ قَالَ: بَلَى يَارَبِّ، قَالَ: فَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ، قَالَ: فَالْيَوْمُ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، قَالَ: ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ: مَا أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَبْدُكَ، آمَنْتُ بِكَ، وَبِنَبِيِّكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَصُمْتُ، وَصَلَّيْتُ وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيُقَالَ لَهُ: أَفَلَا نَبْعَثُ عَلَيْكَ شَاهِدَنَا؟ قَالَ: فَيُنْكِرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ: لِفَخِذِهِ انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ، فَذَلِكَ الْمُنَافِقُ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الَّذِي

(١) قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي فل) معناه يا فلان، وهو ترخيم على خلاف القياس، (أُسَوِدك) أي أجعلك سيدا على غيرك، (ترأس) أي تكون رئيس القوم وكبيرهم، (تربع) أي تأخذ المرباع الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة وهو ربعها.

سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: أَلَا اتَّبَعَتْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ".(١)

سُئِلَ سُفْيَانُ عَنْ تَفْسِيرِ: "**تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ**"، فَقَالَ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا كَانَ رَأْسَ الْقَوْمِ كَانَ لَهُ الْمِرْبَاعُ، وَهُوَ الرُّبُعُ.

وَقَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ حِينَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنِّي عَلَى دِينٍ، قَالَ: "**أَنَا أَعْلَمُ بِدَيْنِكَ مِنْكَ، إِنَّكَ تَسْتَحِلُّ الْمِرْبَاعَ، وَلَا يَحِلُّ لَكَ**".(٢)

---

(١) **صحيح**: مسلم (٢٩٦٨).

(٢) قال ابن خزيمة في آخر هذا الباب: (**إِلَّا أَنَّ اللهَ يُكَلِّمُ الْمُنَافِقِينَ عَلَى غَيْرِ الْمَعْنَى الَّذِي يُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ، فَيُكَلِّمُ الْمُنَافِقِينَ عَلَى مَعْنَى التَّوْبِيخِ وَالتَّقْرِيرِ، وَيُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ -يُبَشِّرُهُمْ بِمَا لَهُمْ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ- كَلَامَ أَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَسَأُبَيِّنُ ذِكْرَ الْفَرْقِ بَيْنَ كَلَامِ اللهِ أَوْلِيَائِهِ، وَبَيْنَ كَلَامِ أَعْدَاءِهِ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللهُ ذَلِكَ وَقَدَّرَهُ**).اهـ [وهو الباب التالي].

[ر/٢٩٩-ح/١٣٨-ش(١/٣٨٦)-ز(١/٣٢٨)-ي/٢٥٠]

بَابُ ذِكْرِ الْفَرْقِ بَيْنَ كَلَامِ اللَّهِ تَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُهُ وَجَلَّ ثَنَاؤُهُ الْمُؤْمِنَ الَّذِي قَدْ سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ يُرِيدُ مَغْفِرَتَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ وَبَيْنَ كَلَامِ اللَّهِ الْكَافِرَ الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا غَيْرَ مُؤْمِنٍ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ كَاذِبًا عَلَى رَبِّهِ ضَالًّا عَنْ سَبِيلِهِ كَافِرًا بِالْآخِرَةِ.

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ قَالَ: كُنْتُ آخِذًا بِيَدِ ابْنِ عُمَرَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ عَبْدِي، تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّي، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَغَفَرْتُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ: ﴿فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى**

الظَّالِمِينَ﴾".[1]

(١) **صحيح**: البخاري (٤٦٨٥)، مسلم (٢٧٦٨)، والكنف: الستر.

[ر/٣٠١- ح/١٣٩- ش(١/٣٩٠)- ز(١/٣٣١)- ي/٢٥٢]

بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ مِنْ كِتَابِ رَبِّنَا الْمُنَزَّلِ عَلَى نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى ﷺ وَمِنْ سُنَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي بِهِ يَكُونُ خَلْقُهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ الَّذِي يُكَوِّنُهُ بِكَلَامِهِ وَقَوْلِهِ وَالدَّلِيلُ عَلَى نَبْذِ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ جَلَّ رَبُّنَا وَعَزَّ عَنْ ذَلِكَ.(١)

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾(٢)، فَفَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ الَّذِي بِهِ يَخْلُقُ الْخَلْقَ بِوَاوِ الِاسْتِئْنَافِ، وَأَعْلَمَنَا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ أَنَّهُ يَخْلُقُ الْخَلْقَ بِكَلَامِهِ وقَوْلِهِ، فقال: ﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾(٣)،

---

(١) يريد الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يرد على من يقول: إن كلام الله مخلوق، فقال: لو كان الكلام مخلوق، فكيف خلقه؟ سيقولون: خلقه بـ ﴿كُنْ﴾، فقال الإمام: ﴿كُنْ﴾ هذه كلام، أفيكون مخلوق خلق مخلوق، فصار هذا مسلسل للأزل، وهذا مستحيل.

(٢) الأعراف/ ٥٤

(٣) النحل/ ٤٠

فَأَعْلَمَنَا جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُ يُكَوِّنُ كُلَّ مُكَوَّنٍ مِنْ خَلْقِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿كُنْ﴾ هُوَ كَلَامُهُ الَّذِي بِهِ يُكَوِّنُ الْخَلْقَ، وَكَلَامُهُ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي بِهِ يُكَوِّنُ الْخَلْقَ غَيْرُ الْخَلْقِ الَّذِي يَكُونُ مُكَوَّنًا بِكَلَامِهِ، فَافْهَمْ، وَلَا تَغْلَطْ وَلَا تُغَالِطْ.

وَمَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ خِطَابَهُ، عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمَّا أَعْلَمَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ يُكَوِّنُ الشَّيْءَ بِقَوْلِهِ: ﴿كُنْ﴾، أَنَّ الْقَوْلَ الَّذِي هُوَ كُنْ غَيْرُ الْمُكَوَّنِ بـ ﴿كُنِ﴾ الْمَقُولِ لَهُ ﴿كُنْ﴾، وَعَقَلَ عَنِ اللَّهِ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿كُنْ﴾ لَوْ كَانَ خَلْقًا عَلَى مَا زَعَمَتِ الْجَهْمِيَّةُ الْمُفْتَرِيَةُ عَلَى اللَّهِ؛ كَانَ اللَّهُ إِنَّمَا يَخْلُقُ الْخَلْقَ، وَيُكَوِّنُهُ بِخَلْقٍ، لَوْ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿كُنْ﴾ خَلْقًا.

فَيُقَالُ لَهُمْ: يَا جَهَلَةُ؛ فَالْقَوْلُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الْخَلْقُ عَلَى زَعْمِكُمْ لَوْ كَانَ خَلْقًا ثُمَّ يُكَوِّنُهُ عَلَى أَصْلِكُمْ، أَلَيْسَ قَوَّدَ مَقَالَتِكُمُ الَّذِي تَزْعُمُونَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿كُنْ﴾ إِنَّمَا يَخْلُقُهُ بِقَوْلٍ قَبْلَهُ؟ وَهُوَ عِنْدَكُمْ خَلْقٌ، وَذَلِكَ الْقَوْلُ يَخْلُقُهُ بِقَوْلٍ قَبْلَهُ، وَهُوَ خَلْقٌ، حَتَّى يَصِيرَ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ وَلَا عَدَدَ، وَلَا أَوَّلَ، وَفِي هَذَا إِبْطَالُ تَكْوِينِ الْخَلْقِ، وَإِنْشَاءِ الْبَرِيَّةِ، وَإِحْدَاثِ مَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَ أَنْ يُحْدِثَ اللَّهُ الشَّيْءَ، وَيُنْشِئَهُ وَيَخْلُقُهُ، وَهَذَا قَوْلٌ لَا يَتَوَهَّمُهُ ذُو لُبٍّ لَوْ تَفَكَّرَ فِيهِ، وَوُفِّقَ

لِإِدْرَاكِ الصَّوَابِ وَالرَّشَادِ.

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿**وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ**﴾[1]، فَهَلْ يَتَوَهَّمُ مُسْلِمٌ يَا ذَوِي الْحِجَا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ الشَّمْسَ، وَالْقَمَرَ، وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِخَلْقِهِ ؟

أَلَيْسَ مَفْهُومًا عِنْدَ مَنْ يَعْقِلُ عَنِ اللَّهِ خِطَابَهُ، أَنَّ الْأَمْرَ الَّذِي سُخِّرَ بِهِ الْمُسَخَّرَ غَيْرُ الْمُسَخَّرِ بِالْأَمْرِ؟ وَأَنَّ الْقَوْلَ غَيْرَ الْمَقُولِ لَهُ؟ فَتَفَهَّمُوا يَا ذَوِي الْحِجَا عَنِ اللَّهِ خِطَابَهُ، وَعَنِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ﷺ بَيَانَهُ، لَا تَصُدُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، فَتَضِلُّوا كَمَا ضَلَّتِ الْجَهْمِيَّةُ عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ.

فَاسْمَعُوا الْآنَ الدَّلِيلَ الْوَاضِحَ الْبَيِّنَ، غَيْرَ الْمُشْكِلِ مِنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَقْلِ الْعَدْلِ مَوْصُولًا إِلَيْهِ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَ خَلْقِ اللَّهِ وَبَيْنَ كَلَامِ اللَّهِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ خَرَجَ إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ وَجُوَيْرِيَةُ جَالِسَةٌ فِي الْمَسْجِدِ فَرَجَعَ حِينَ تَعَالَى النَّهَارُ فَقَالَ: "**لَمْ تَزَالِي جَالِسَةً بَعْدِي ؟**" قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: "**قَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِهِنَّ لَوَزَنَتْهُنَّ:**

---

(١) الأعراف/٥٤

سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ".(١)

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَالنَّبِيُّ المُصْطَفَى ﷺ الَّذِي وَلَّاهُ بَيَانَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ وَحْيِهِ، قَدْ أَوْضَحَ لِأُمَّتِهِ وَأَبَانَ لَهُمْ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ غَيْرُ خَلْقِهِ، فَقَالَ: "**سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**"، فَفَرَّقَ بَيْنَ خَلْقِ اللَّهِ، وَبَيْنَ كَلِمَاتِهِ، وَلَوْ كَانَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ لَمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمَا، أَلَا تَسْمَعُهُ حِينَ ذَكَرَ الْعَرْشَ الَّذِي هُوَ مَخْلُوقٌ، نَطَقَ ﷺ بِلَفْظَةٍ لَا تَقَعُ عَلَى الْعَدَدِ، فَقَالَ: "**زِنَةَ عَرْشِهِ**" وَالْوَزْنُ غَيْرُ الْعَدَدِ.

وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا قَدْ أَعْلَمَ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ أَنَّ كَلِمَاتِهِ لَا يُعَادِلُهَا، وَلَا يُحْصِيهَا مُحْصٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَدَلَّ ذَوِي الْأَلْبَابِ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى كَثْرَةِ كَلِمَاتِهِ، وَأَنَّ الْإِحْصَاءَ مِنَ الْخَلْقِ لَا يَأْتِي عَلَيْهَا، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ**

---

(١) **صحيح**: سبق تخريجه.

مَدَدًا﴾[1]، وَهَذِهِ الْآيَةُ مِنَ الْجِنْسِ الَّذِي نَقُولُ: مُجْمَلَةٌ غَيْرُ مُفَسَّرَةٍ، مَعْنَاهَا: قُلْ يَا مُحَمَّدُ، لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي فَكُتِبَتْ بِهِ كَلِمَاتُ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي، وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا، وَالْآيَةُ الْمُفَسِّرَةُ لِهَذِهِ الْآيَةِ: **﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**[2]، فَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ الْأَقْلَامَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، دَلَّ ذَوِي الْعُقُولِ بِذِكْرِ الْأَقْلَامِ أَنَّهُ أَرَادَ: لَوْ كَانَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامًا يُكْتَبُ بِهَا كَلِمَاتُ اللَّهِ، وَكَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا فَنَفِدَ مَاءُ الْبَحْرِ لَوْ كَانَ مِدَادًا لَمْ تَنْفَدْ كَلِمَاتُ رَبِّنَا، وَفِي قَوْلِهِ: **﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾** أَيْضًا ذِكْرٌ مُجْمَلٌ، فَسَّرَهُ بِالْآيَةِ الْأُخْرَى، لَمْ يُرِدْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ لَوْ كُتِبَتْ بِكَثْرَةِ هَذِهِ الْأَقْلَامِ بِمَاءِ الْبَحْرِ كَلِمَاتُ اللَّهِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ لَوْ كَانَ مَاءُ الْبَحْرُ مِدَادًا ، كَمَا فَسَّرَهُ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى.

وَفِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: **﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾** الْآيَةَ، قَدْ أَوْقَعَ اسْمَ

---

(١) الكهف/١٠٩

(٢) لقمان/٢٧

الْبَحْرِ عَلَى الْبِحَارِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى الْبِحَارِ كُلِّهَا، وَاسْمُ الْبَحْرِ قَدْ يَقَعُ عَلَى الْبِحَارِ كُلِّهَا؛ لِقَوْلِهِ: ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ**﴾[(١)] الْآيَةَ، وَكَقَوْلِهِ: ﴿**وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ**﴾[(٢)]، وَالْعِلْمُ مُحِيطٌ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِي هَاتَيْنِ بَحْرٌ وَاحِدٌ مِنَ الْبِحَارِ، لِأَنَّ اللَّهَ يُسَيِّرُ مَنْ أَرَادَ مِنْ عِبَادِهِ فِي الْبِحَارِ، وَكَذَلِكَ الْفُلْكُ تَجْرِي فِي الْبِحَارِ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا أَنَّهَا كَذَا فِي بَحْرٍ وَاحِدٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿**وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ**﴾ يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْجِنْسِ الَّذِي يُقَالُ: إِنَّ السَّكْتَ لَيْسَ خِلَافَ النُّطْقِ، لَمْ يَدُلَّ اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَنْ لَوْ زِيدَ مِنَ الْمِدَادِ عَلَى مَاءِ سَبْعَةِ أَبْحُرٍ لَنَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ، جَلَّ اللَّهُ عَنْ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُهُ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ مَا تَأَوَّلْتُ هَذِهِ الْآيَةُ: أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا قَدْ أَعْلَمَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْأُخْرَى، أَنْ لَوْ جِيءَ بِمِثْلِ الْبَحْرِ مِدَادًا لَمْ تَنْفَدْ كَلِمَاتُ اللَّهِ،

---

(١) يونس/٢٢

(٢) الحج/٦٥

مَعْنَاهُ: لَوْ جِيءَ بِمِثْلِ الْبَحْرِ مِدَادًا، فَكُتِبَ بِهِ أَيْضًا كَلِمَاتُ اللَّهِ لَمْ تَنْفَدْ، وَاسْمُ الْبَحْرِ كَمَا عَلِمْتَ يَقَعُ عَلَى الْبِحَارِ كُلِّهَا، وَلَوْ كَانَ مَعْنَى قَوْلِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا**﴾ بَحْرًا وَاحِدًا، لَكَانَ مَعْنَاهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: أَنَّهُ لَوْ كُتِبَ بِهِ بِبَحْرٍ وَاحِدٍ، فَكَانَ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَجِيءَ بِمِثْلِهِ أَيْ بِبَحْرٍ ثَانٍ، لَمْ تَنْفَدْ كَلِمَاتُ اللَّهِ، فَلَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ أَنَّ الْمُرَادَ: لَوْ كَانَ أَكْثَرَ مِنْ بَحْرَيْنِ فَكَتَبَ بِذَلِكَ أَجْمَعَ كَلِمَاتِ اللَّهِ، نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْلَمَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: أَنَّ السَّبْعَةَ الْأَبْحُرَ لَوْ كُتِبَ بِهِنَّ جَمِيعًا كَلِمَاتُ اللَّهِ لَمْ تَنْفَدْ كَلِمَاتُ اللَّهِ.

فَاسْمَعِ الْآنَ الْأَخْبَارَ الثَّابِتَةَ الصَّحِيحَةَ، بِنَقْلِ الْعَدْلِ عَنِ الْعَدْلِ، مَوْصُولًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، الدَّالَّةَ عَلَى أَنَّ كَلِمَاتِ رَبِّنَا لَيْسَتْ بِمَخْلُوقَةٍ، عَلَى مَا زَعَمَتِ الْمُعَطِّلَةُ الْجَهْمِيَّةُ عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ.

عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**لَوْ نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلًا فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ لَا**

يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْهُ".[1]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"أَمَا أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرَّكَ"**.[2]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَفَلَيْسَ الْعِلْمُ مُحِيطًا يَا ذَوِي الْحِجَا؟ أَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَأْمُرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالتَّعَوُّذِ بِخَلْقِ اللَّهِ مِنْ شَرِّ خَلْقِهِ؟ هَلْ سَمِعْتُمْ عَالِمًا يُجِيزُ أَنْ يَقُولَ الدَّاعِي: أَعُوذُ بِالْكَعْبَةِ مِنْ شَرِّ خَلْقِ اللَّهِ؟ أَوْ يُجِيزُ أَنْ يَقُولَ: أَعُوذُ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، أَوْ أَعُوذُ بِعَرَفَاتٍ وَمِنًى مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ اللَّهُ؟ هَذَا لَا يَقُولُهُ وَلَا يُجِيزُ الْقَوْلَ بِهِ مُسْلِمٌ يَعْرِفُ دِينَ اللَّهِ، مُحَالٌ أَنْ يَسْتَعِيذَ مُسْلِمٌ بِخَلْقِ اللَّهِ مِنْ شَرِّ خَلْقِهِ.

---

(١) **صحيح**: مسلم (٢٧٠٨).

(٢) **صحيح**: انظر السابق.

[ر/٣٠٩- ح/١٤٤- ش(١/ ٤٠٤)- ز(١/ ٣٤١)- ي/٢٥٨]

بَابٌ مِنَ الْأَدِلَّةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّه الْخَالِقِ وَقَوْلَهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ لَا كَمَا زَعَمَتِ الْكَفَرَةُ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ الْمُعَطِّلَةِ.

عَنْ نِيَارِ بْنِ مُكْرَمٍ الْأَسْلَمِيِّ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿**الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ**﴾[1] إِلَى آخِرِ الْآيَتَيْنِ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجعَل يَقْرَأُ: "**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾**"، فَقَالَ رُؤَسَاءُ مُشْرِكِي مَكَّةَ: يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ[2]، هَذَا مِمَّا أَتَى بِهِ صَاحِبُكَ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ وَقَوْلُهُ، فَقَالُوا: فَهَذَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ إِنْ ظَهَرَتِ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ فِي بِضْعِ سِنِينَ فَتَعَالَ نُنَاحِبْكَ -يُرِيدُونَ: نُرَاهِنْكَ- وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ فِي الرِّهَانِ مَا نَزَلَ،

---

(١) الروم/ ١: ٣

(٢) هو أبو بكر الصديق.

قَالَ: فَرَاهَنُوا أَبَا بَكْرٍ، وَوَضَعُوا رَهَائِنَهُمْ عَلَى يَدَيْ فُلَانٍ، قَالَ: ثُمَّ بَكِرُوا، فَقَالُوا: يَا أَبَا بَكْرٍ: الْبِضْعُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى التِّسْعِ، فَاقْطَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ شَيْئًا نَنْتَهِي إِلَيْهِ. (١)

(١) **حسن**: الترمذي (٣١٩٤) وحسنه الألباني.

[ر/٣١٠- ح/١٤٥- ش(٤٠٦/١)- ز(٣٤٣/١)- ي/٢٥٩]

بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْظُرُ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَرُّهُمْ وَفَاجِرُهُمْ وَإِنْ رَغِمَتْ أُنُوفُ الْجَهْمِيَّةِ الْمُعَطِّلَةِ الْمُنْكِرَةِ لِصِفَاتِ خَالِقِنَا جَلَّ ذِكْرُهُ. (١)

---

(١) صفة النزول صفة فعلية ثابتة لله تعالى، وأهل السنة والجماعة يثبتون لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ نزولًا حقيقًا يليق به، على وفق إثباتهم لسائر الصفات كالاستواء، والكلام وغيرهما.

قال الصابوني رَحِمَهُٱللَّهُ: ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين، ولا تمثيل، ولا تكييف؛ بل يثبتون ما أثبته رسول الله ﷺ، وينتهون فيه إليه، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره. (عقيدة السلف أصحاب الحديث/١٣٦/بشرحي).

وقال أبو بكر الآجري رَحِمَهُٱللَّهُ في النزول: الإيمان بهذا واجب، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول: كيف ينزل؟ ولا يرد هذا إلا المعتزلة، وأما أهل الحق فيقولون: الإيمان به واجب بلا كيف، لأن الأخبار قد صحت عن رسول الله : **"أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ"**، والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام، وعلم الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، =

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: "**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾**[(١)]". [(٢)]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟

=

فكما قبل العلماء عنهم ذلك كذلك قبلوا منهم هذه السنن، وقالوا: من ردها فهو ضال خبيث، يحذرونه ويحذرون منه. اهـ (الشريعة/٢٤٧).

وقد تواترت السنة النبوية في الدلالة على نزول الرب عز وجل، فقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث النزول عن تسعة وعشرين صحابي، منها صحيح وحسن وضعيف. (مختصر الصواعق المرسلة/٤٢٥:٤٢٦)، وللدارقطني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب [النزول] على غرار كتابه [الرؤية].

(١) طه/٤٠

(٢) **متفق عليه**: البخاري (٥٥٤)، مسلم (٦٣٣).

قَالَ: "**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ مِنْ غَيْرِ سَحَابٍ؟**"، قَالَ: قُلْنَا: لَا، قَالَ: "**فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابٍ ؟**" قَالَ: قُلْنَا: لَا، قَالَ: "**فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ كَمَا لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا**".(١)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُكَيْمٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ، بَدَأَنَا بِالْيَمِينِ قَبْلَ الْحَدِيثِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنْ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَخْلُو اللَّهُ بِهِ، كَمَا يَخْلُو أَحَدُكُمْ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، أَوْ قَالَ: لَيْلَتَهُ، يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا غَرَّكَ؟ ابْنَ آدَمَ مَا غَرَّكَ؟ ابْنَ آدَمَ مَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ ابْنَ آدَمَ: مَاذَا أَجَبْتَ الْمُرْسَلِينَ.(٢)

(١) **متفق عليه**: البخاري (٨٠٦)، مسلم (١٨٢).

(٢) **صحيح إلى ابن مسعود**.

[ر/٣٢٠- ح/١٤٨- ش(١/ ٤٢٠)- ز(١/ ٣٥٤)- ي/٢٦٦]

بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ أَنَّ جَمِيعَ أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بَرَّهُمْ وَفَاجِرَهُمْ مُؤْمِنَهُمْ وَمُنَافِقَهُمْ وَبَعْضُ أَهْلِ الْكِتَابِ يَرَوْنَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

يَرَاهُ بَعْضُهُمْ رُؤْيَةَ امْتِحَانٍ، لَا رُؤْيَةَ سُرُورٍ وَفَرَحٍ، وَتَلَذُّذٍ بِالنَّظَرِ فِي وَجْهِ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَهَذِهِ الرُّؤْيَةُ: قَبْلَ أَنْ يُوضَعَ الْجِسْرُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، وَيَخُصُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَهْلَ وِلَايَتِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ، نَظَرَ فَرَحٍ وَسُرُورٍ وَتَلَذُّذٍ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: "**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**"، قَالَ: قُلْنَا: لَا، فَقَالَ: "**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟**"، قَالَ: قُلْنَا: لَا، قَالَ: "**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ كَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**"، قَالَ: يُقَالُ: "**مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ، فَيَتْبَعُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، وَيَتْبَعُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، وَيَتْبَعُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ**

الْأَوْثَانَ، وَالْأَصْنَامَ الْأَصْنَامَ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، وَيَبْقَى الْمُؤْمِنُونَ وَمُنَافِقُوهُمْ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، وَبَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يُقَلِّلُهُمْ بِيَدِهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَلَا تَتَّبِعُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ اللَّهَ، وَلَمْ نَرَ اللَّهَ، قَالَ: فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا، وَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَسْجُدُ رِيَاءً وَسُمْعَةً إِلَّا وَقَعَ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ" ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ. (١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَطْلُعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: أَلَا يَتْبَعُ كُلُّ أُنَاسٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيُمَثَّلُ لِصَاحِبِ الصَّلِيبِ صَلِيبُهُ، وَلِصَاحِبِ التَّصْوِيرِ تَصْوِيرُهُ، وَلِصَاحِبِ النَّارِ نَارُهُ، فَيَتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ وَيَبْقَى الْمُسْلِمُونَ فَيَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: أَلَا تَتَّبِعُونَ النَّاسَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، اللَّهُ رَبُّنَا وَهَذَا مَكَانُنَا حَتَّى نَرَى رَبَّنَا، وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ وَيُثَبِّتُهُمْ، ثُمَّ يَتَوَارَى، ثُمَّ يَطْلُعُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَتَّبِعُونَ النَّاسَ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ،**

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (٧٤٣٩)، مسلم (١٨٣).

اللَّهُ رَبُّنَا هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى نَرَى رَبَّنَا، وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ وَيُثَبِّتُهُمْ"، قَالُوا: وَهَلْ نَرَاهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "**وَهَلْ تَتَمَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟**"، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "**فَإِنَّكُمْ لَا تُمَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِ تِلْكَ السَّاعَةَ، ثُمَّ يَتَوَارَى، ثُمَّ يَطْلُعُ عَلَيْهِمْ فَيُعَرِّفُهُمْ بِنَفْسِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّبِعُونِ، فَيَقُومُ الْمُسْلِمُونَ، وَيَضَعُ الصِّرَاطَ، فَهُمْ عَلَيْهِ مِثْلُ جِيَادِ الْخَيْلِ، وَالرِّكَابِ، وَقَوْلُهُمْ عَلَيْهِ سَلِّمْ سَلِّمْ**". وَذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ. (١)

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**﴾(٢) إِنَّمَا أَرَادَ الْكُفَّارَ الَّذِينَ كَانُوا يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ بِضَمَائِرِهِمْ، وَيُنْكِرُونَ ذَلِكَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، دُونَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُكَذِّبُونَ بِضَمَائِرِهِمْ، وَيُقِرُّونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ بِيَوْمِ الدِّينِ، رِيَاءً وَسُمْعَةً.

أَلَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ**

---

(١) **صحيح**: انظر السابق، وكل ما ورد في الحديثين السابقين من صفات، نؤمن بمعناه ونفوض كيفيته، ونقول: كلٌ من عند ربنا، وليس كمثله شيء.

(٢) المطففين/١٥

عَظِيمٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ**﴾[(١)] أَيْ قَوْلُهُ: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**﴾[(٢)] أَيِ الْمُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ.

أَلَا تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ أَعْلَمَ أَنَّ مُنَافِقِي هَذِهِ الْأُمَّةِ يَرَوْنَ اللَّهَ حِينَ يَأْتِيهُمْ فِي صُورَتِهِ[(٣)]، الَّتِي يَعْرِفُونَ هَذَا فِي خَبَرِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَفِي خَبَرِ أَبِي سَعِيدٍ، "**فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ، فَيَخِرُّونَ سُجَّدًا أَجْمَعُونَ**"، وَفِيهِ مَا دَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُنَافِقِينَ يَرَوْنَهُ لِلِاخْتِبَارِ وَالِامْتِحَانِ، فَيُرِيدُونَ السُّجُودَ فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، وَفِي خَبَرِ أَبِي سَعِيدٍ: "**فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ صَنَمًا، وَلَا وَثَنًا، وَلَا صُورَةً إِلَّا ذَهَبُوا حَتَّى يَتَسَاقَطُوا فِي النَّارِ**"، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَحْتَجِبُ عَلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ

---

(١) المطففين/ ٥: ١٠

(٢) المطففين/ ١٥

(٣) قلت: وهذا تصريح من الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بثبوت صفة الصورة لله عز وجل ولكن المشكل عند الإمام هو حديث: "**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**"، و " **خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ**".

وَمُنَافِقٍ وَبَقَايَا أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ ذَكَرَ فِي الْخَبَرِ أَيْضًا: "**أَنَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يَتَبَدَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَنَا فِي صُورَةٍ غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي رَأَيْنَاهُ فِيهَا**".

وَفِي هَذَا الْخَبَرِ مَا بَانَ وَثَبَتَ وَصَحَّ أَنَّ جَمِيعَ الْكُفَّارِ قَدْ تَسَاقَطُوا فِي النَّارِ وَجَمِيعَ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا إِنَّمَا يَتَرَاءَى لِهَذِهِ الْأُمَّةِ بَرِّهَا وَفَاجِرِهَا وَمُنَافِقِهَا بَعْدَمَا تَسَاقَطَ أُولَئِكَ فِي النَّارِ.

فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا كَانَ مُحْتَجِبًا عَنْ جَمِيعِهِمْ لَمْ يَرَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ**﴾[1]، فَأَعْلَمَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ مَنْ حُجِبَ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ هُمُ الْمُكَذِّبُونَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿**هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ**﴾[2].

وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَإِنَّمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ بِذَلِكَ بِقُلُوبِهِمْ، وَيُقِرُّونَ بِهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ

---

(١) المطففين/ ١٥

(٢) المطففين/ ١٧

رِياءً وَسُمْعَةً، فَقَدْ يَتَرَاءَى لَهُمْ رُؤْيَةَ امْتِحَانٍ وَاخْتِبَارٍ، وَلْيَكُنْ حَجْبُهُ إِيَّاهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ رُؤْيَتِهِ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ وَنَدَامَةً؛ إِذْ لَمْ يُصَدِّقُوا بِهِ بِقُلُوبِهِمْ وَضَمَائِرِهِمْ، وَبِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ بِيَوْمِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: "**فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ: أَلَمْ أُكْرِمْكَ؟**" إِلَى قَوْلِهِ: "**فَالْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي**"، فَاللِّقَاءُ الَّذِي فِي هَذَا الْخَبَرِ غَيْرُ التَّرَائِي؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَتَرَائَى لِمَنْ قَالَ لَهُ هَذَا الْقَوْلَ، وَهَذَا الْكَلَامُ الَّذِي يُكَلِّمُ بِهِ الرَّبُّ جَلَّ ذِكْرُهُ عَبْدَهُ الْكَافِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَلَامٌ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ، مِنْ غَيْرِ نَظَرِ الْكَافِرِ إِلَى خَالِقِهِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُكَلِّمُ بِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنْ كَانَ كَلَامُ اللهِ إِيَّاهُ كَلَامَ تَوْبِيخٍ وَحَسْرَةٍ وَنَدَامَةٍ لِلْعَبْدِ، لَا كَلَامَ بِشْرٍ وَسُرُورٍ وَفَرَحٍ وَنَضْرَةٍ وَبَهْجَةٍ.

أَلَا تَسْمَعُهُ يَقُولُ فِي الْخَبَرِ بَعْدَمَا يَتْبَعُ أَوْلِيَاءُ الشَّيَاطِينِ وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ، قَالَ: "**ثُمَّ نَبْقَى أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَيَأْتِينَا رَبُّنَا، فَيَقُولُ: عَلَى مَا هَؤُلَاءِ قِيَامٌ؟ فَيَقُولُونَ: نَحْنُ عِبَادُ اللهِ الْمُؤْمِنُونَ، وعَبَدْنَاهُ وَهُوَ رَبُّنَا، وَهُوَ آتِنَا وَيُثَبِّتُنَا، وَهَذَا مُقَامُنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ وَيَضَعُ الْجِسْرَ**".

أَفَلَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِهِ: "**فَيَأْتِينَا رَبُّنَا**" إِنَّمَا ذَكَرَهُ بَعْدَ تَسَاقُطِ الْكُفَّارِ وَالْيَهُودِ

وَالنَّصَارَى فِي جَهَنَّمَ؟ فَهَذَا الْخَبَرُ دَالٌ أَنَّ قَوْلَهَ: "**فَيَلْقَى الْعَبْدَ وَهُوَ لِقَاءُ غَيْرِ الرُّؤْيَةِ**".

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾**(١)، وَقَالَ: **﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾**(٢)، وَقَالَ: **﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾**(٣)، و **﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾**(٤).

وَالْعِلْمُ مُحِيطٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يُرِدْ بِقَوْلِهِ: "**مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ**"(٥) لَمْ يُرِدْ مَنْ يَرَى اللَّهَ وَهُوَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَاللِّقَاءُ غَيْرُ الرُّؤْيَةِ وَالنَّظَرِ، وَلَا شَكَّ وَلَا ارْتِيَابَ أَنَّ قَوْلَهَ:

---

(١) يونس/٧

(٢) يس/١١

(٣) الكهف/١١٠

(٤) يونس/١٥

(٥) **صحيح**: البخاري (١٢٩)، مسلم (٩٣).

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾[1] لَيْسَ مَعْنَاهُ: وَرُؤْيَةَ الْآخِرَةِ.

(١) الأعراف/١٤٧

[ر/٣٢٩- ح/١٥٤- ش(١/٤٣٧)- ز(١/٣٦٧)- ي/٢٧٣]

بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ إِنَّ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُخْلِيًّا بِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَذِكْرُ تَشْبِيهِ النَّبِيِّ ﷺ بِرُؤْيَةِ الْقَمَرِ خَالِقَهُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِمَا يُدْرِكُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا عِيَانًا وَنَظَرًا وَرُؤْيَةً.[1]

عَنْ أَبِي رَزِينٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَكُلُّنَا نَرَى اللَّهَ مُخْلِيًّا بِهِ؟ قَالَ: "**نَعَمْ**"، قَالَ: وَمَا آيَةُ ذَلِكَ فِي خَلْقِ اللَّهِ؟ قَالَ: "**أَلَيْسَ كُلُّكُمْ يَرَى الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ وَإِنَّمَا هُوَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، فَاللَّهُ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ**".[2]

---

(١) التشبيه هنا في سهولة الرؤية، لا أن الله تعالى مثل القمر.

(٢) **حسن**: السنة لابن أبي عاصم (٤٥٩) وحسنه الألباني.

[ر/٣٣٢- ح/١٥٦- ش(١/٤٤٣)- ز(١/٣٧١)- ي/٢٧٦]

بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ أَنَّ رُؤْيَةَ اللَّهِ الَّتِي يَخْتَصُّ بِهَا أَوْلِيَاؤُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هِيَ الَّتِي ذَكَرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

وَيُفَضَّلُ بِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ أَوْلِيَاؤُهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحْجَبُ جَمِيعُ أَعْدَائِهِ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهِ مِنْ مُشْرِكٍ، وَمُتَهَوِّدٍ، وَمُتَنَصِّرٍ، وَمُتَمَجِّسٍ، وَمُنَافِقٍ، كَمَا أَعْلَمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**﴾(١)، وَهَذَا نَظَرُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ إِلَى خَالِقِهِمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَعْدَ دُخُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلِ النَّارِ النَّارَ، فَيَزِيدُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ كَرَامَةً وَإِحْسَانًا إِلَى إِحْسَانِهِ، تَفَضُّلًا مِنْهُ وَجُودًا بِإِذْنِهِ إِيَّاهُمُ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، وَيُحْجَبُ عَنْ ذَلِكَ جَمِيعُ أَعْدَائِهِ.

عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾(٢)، قَالَ: "**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، نَادَى مُنَادٍ، يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ: إِنَّ**

(١) المطففين/١٥

(٢) يونس/٢٦

لَكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ مَوْعِدًا، قَالُوا: أَلَمْ تُبَيِّضْ وجُوهَنَا، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ وَتُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ".[1]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَاسْمَعُوا الْآنَ خَبَرًا ثَابِتًا صَحِيحًا مِنْ جِهَةِ النَّقْلِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ خَالِقَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَهُ قَبْلَ الْمَمَاتِ، وَلَوْ كَانَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾[2] عَلَى مَا تَتَوَهَّمُهُ الْجَهْمِيَّةُ الْمُعَطِّلَةُ الَّذِينَ يَجْهَلُونَ لُغَةَ الْعَرَبِ، فَلَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ النَّظَرِ وَبَيْنَ الْإِدْرَاكِ، لَكَانَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾ أَيْ: أَبْصَارُ أَهْلِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْمَمَاتِ.[3]

---

(١) **صحيح**: مسلم (١٨١).

(٢) الأنعام/١٠٣

(٣) قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (الرد على الجهمية / المسألة الثانية عشر): وأما قوله: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ (القيامة/٢٢:٢٣) وقال في آية أخرى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَار**﴾ (الأنعام/١٠٣)، فقالوا -أي الجهمية-: كيف يكون هذا؟ يخبر أنهم ينظرون إلى ربهم، وقال في آية =

=

أخرى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَار﴾؟ فشكوا في القرآن، فزعموا أنه ينقض بعضه بعضا.

[الجواب] :

أما قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ يعنى الحسن والبياض ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ يعني تعاين ربها في الجنة، وأما قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يعني الدنيا دون الآخرة، وذلك أن اليهود قالوا لموسى: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ (النساء/١٥٣) فماتوا وعوقبوا لقولهم: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾، وقد سألت مشركو العرب النبي ﷺ، فقالوا: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً﴾ (الإسراء/٩٢)، فلما سألوا النبي ﷺ هذه المسألة، قال الله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ (البقرة/١٠٨) حين قالوا: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ الآية، فأنزل الله سبحانه يخبر أنه: ﴿لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أي أنه لا يراه أحد في الدنيا دون الآخرة، فقال: ﴿لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يعني في الدنيا، فأما في الآخرة، فإنهم يرونه، فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة.اهـ

وقال ابن أبي العز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، يدل على كمال عظمته وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ

=

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، وَكَانَ أَكْثَرُ خُطْبَتِهِ ذِكْرَ الدَّجَّالِ فَأَخَذَ يُحَدِّثُنَا عَنْهُ، حَتَّى فَرَغَ مِنْ خُطْبَتِهِ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ، وَقَالَ فِي الْخَبَرِ: فَيَقُولُ: يَعْنِي الدَّجَّالَ: **"أَنَا نَبِيٌّ، وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي، قَالَ: ثُمَّ يُثْنِي، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، وَهُوَ أَعْوَرُ، وَرَبُّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَلَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا** ".(١)

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِي قَوْلِهِ: **"لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا"** دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ.

=

قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ (الشعراء/٦١) **﴿قَالَ كَلَّا﴾** (الشعراء/٦٢)، فلم ينف موسى الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك، كما يعلم ولا يحاط به علما، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية، كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية، بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه.اهـ [شرح الطحاوية/١٩٢:١٩٣].

(١) **صحيح**: السنة لابن أبي عاصم (٤٢٩) وصححه الألباني.

[ر/٣٥٠- ح/١٦٦- ش(٤٧٧/١)- ز(٣٩١/١)- ي/٢٨٩]

بابُ ذِكْرِ الْأَخْبَارِ الْمَأْثُورَةِ فِي إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ خَالِقَهُ الْعَزِيزَ الْعَلِيمَ الْمُحْتَجِبَ عَنْ أَبْصَارِ بَرِيَّتِهِ قَبْلَ الْيَوْمِ الَّذِي تُجْزَى فِيهِ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ.(١)

---

(١) قال الشيخ الدكتور سليمان بن محمد الدُّبيخي في كتابه [أحاديث العقيدة التي يُوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين/٣٠١:٣٢٥] :

ما جاء في رؤية النبي ﷺ لربه عز وجل:

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض.

المطلب الثاني: مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض.

المطلب الثالث: الترجيح.

المطلب الأول: ذكر الأحاديث التي قد يوهم ظاهرها التعارض.

أولًا: ذكر النصوص الدالة على عدم الرؤية.

عن مسروق قال: كنت متكئا عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، فقالت: يا أبا عائشة ثلاث من =

=

تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ**﴾ (التكوير/٢٣)، ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾ (النجم/١٣)؟ فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: "**إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيل، لَمْ أَرَه عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ المَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنْ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقُهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ**"، فقالت: أولم تسمع أن الله يقول: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ (الأنعام/١٠٣)، أولم تسمع أن الله يقول: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ (الشورى/٥١)، قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾ (المائدة/٦٧)، قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول: ﴿**قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ (النمل/٦٥).

وفي رواية قال مسروق: قلت لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فأين قوله: ﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**﴾؟ قالت: ذاك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل، وإنما أتاه في

=

=

هذه المرة صورته التي هي صورته فسدّ الأفق.

وعن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ ، قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: "**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**"، وفي طريق آخر: "**رَأَيْتُ نُورًا**".

وعن أبي إسحاق الشيباني، قال: سألت زر بن حبيش عن قول الله تعالى: ﴿**فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**﴾؟ قال: حدثنا ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أنه رأى جبريل له ستمائة جناح.

وفي رواية لمسلم، قال: ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾، قال: رأى جبريل عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ له ستمائة جناح.

وفي رواية لمسلم أيضًا، أنه قال في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**﴾: رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح.

وفي رواية للبخاري أنه قال في الآية السابقة: رأى رفرفًا أخضر سدَّ أفق السماء.

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، أنه قال في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾: رأى جبريل.

فهذه النصوص جاءت عن أربعة من الصحابة، وهم : عائشة، وأبو ذر، وابن مسعود، وأبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، كلها تفيد عدم رؤية النبي ﷺ لربه تعالى، وأن

=

=

المرئي في آيات سورة النجم إنما هو جبريل.

ثانيًا: ذكر النصوص الدالة على الرؤية.

لم يرد في الصحيحين ما يدل على الرؤية إلا ما أُثر عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال في قوله تعالى: ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾، و ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾ قال: رآه بفؤاده مرتين، وفي رواية قال: رآه بقلبه.

بيان وجه التعارض:

بالنظر إلى النصوص السابقة نجد أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قد نفت رؤية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه ليلة المعراج، ورفعت تفسير الآيتين إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن المراد بهما جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ووافقها على التفسير ابن مسعود، وأبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثم استدلت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على نفي الرؤية بآية الأنعام، وآية الشورى.

وكذلك نجد في حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**"، و"**رَأَيْتُ نُوراً**" ما يفيد نفي الرؤية.

وفي المقابل نجد أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قد أثبت الرؤية الفؤادية، وبها فسر الآيات في سورة النجم، وبناءً على هذا، فأي القولين أولى بالقبول: قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ومن وافقها، أم قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومن تبعه؟

=

=

المطلب الثاني: مذاهب العلماء تجاه هذا التعارض.

سلك أهل العلم في نصوص رؤية النبيﷺ لربه ثلاثة مذاهب وهي:

١- مذهب الجمع.

٢- ومذهب الترجيح.

٣- والمذهب الثالث: التوقف.

أولًا: مذهب الجمع:

وإليه ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن حجر عليهما رحمة الله، وذلك بحمل ما جاء عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا على إنكار رؤية العين، وحمل ما جاء عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا على إثبات رؤية الفؤاد، خاصة وأنه صرّح بذلك في بعض الروايات كما تقدم، وأما ما ورد عنه من الروايات المطلقة -كما سيأتي- فمحمول على الروايات المقيدة بالفؤاد.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ: والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد...ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه.اهـ

وقال ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ: الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر وإثباته على رؤية القلب.اهـ

=

=

ثانيًا: مذهب الترجيح:

وقد سلكه فريقان من الناس:

الفريق الأول: وهم الذين أثبتوا الرؤية للنبي ﷺ كعبد الله بن عباس، وأنس بن مالك وأبي ذر، وأبي هريرة، وحُكي عن ابن مسعود، وعروة بن الزبير، والحسن البصري، وكان يحلف على أن محمدًا ﷺ رأى ربه، وكعب الأحبار، وعكرمة، وعبد الله بن الحارث بن نوفل، والزهري، والتيمي، ومعمر بن راشد، وسائر أصحاب ابن عباس، وابن حنبل، والطبري، وابن خزيمة، والأشعري، وأبي يعلى الفراء، والهروي، والنووي، وغيرهم.

وقبل ذكر أدلة هذا الفريق، يحسن التنبيه على أن هؤلاء كلهم جاءت ألفاظهم في إثبات الرؤية مطلقة أو مقيدة، بل بعضهم كأبي ذر، وعبد الله بن الحارث بن نوفل وإبراهيم التيمي، صرحوا بنفي الرؤية البصرية وإثبات الرؤية القلبية، ولم يصرح بالرؤية البصرية من هؤلاء إلا المتأخرون منهم كالطبري، وابن خزيمة، أبي الحسن الأشعري، وأبي يعلى الفراء، والهروي، والنووي.

وأما قول البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس والحسن، وعكرمة، قالوا: رأى محمد ربه.اهـ

=

=

فليس عليه مستند سوى ما ذكره عنهم؛ أنهم قالوا: رأى محمد ربه، وهذا ليس صريحًا في إثبات الرؤية البصرية، ولذلك نقل ابن كثير كلام البغوي هذا، وقال: (فيه نظر).

ومثله ما نقله القرطبي، والنووي إلى ابن عباس، وأبي ذر، وأبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ؛ من أنهم يقولون بالرؤية البصرية، فإن هذا ليس عليه مستند صحيح، لأن الروايات عنهم -كما سيأتي- جاءت إما مطلقة، وإما مقيدة بالفؤاد، ولم يأت شيء منها مقيد بالبصر.

أدلة هذا الفريق:

استدل أصحاب هذا القول بعدة أدله عن ابن عباس، وأنس، وأبي هريرة، أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، وإليك سياق هذه الأدلة:

أولًا: ما ورد عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا:

جاءت عدة روايات صحيحة عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا في رؤية النبي ﷺ لربه في بعضها أطلق الرؤية، وفي البعض الآخر قيدها بالفؤاد أو القلب، وهي كالتالي:

عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، قال: أتعجبون أن تكون الخُلة لإبراهيم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، والكلام لموسى عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ والرؤية لمحمد ﷺ.

=

=

وهذا الأثر قد صدّر به ابن خزيمة -وهو من أشد المنتصرين لإثبات الرؤية البصرية- حديثه عن هذه المسألة.

وفي رواية ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: إن الله اصطفى إبراهيم بالخُلة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمدًا بالرؤية.

وفي رواية أخرى عنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: رأى محمد ربه.

وفي رواية أخري عنه أيضًا، أنه قال في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾: قد رأى ربه تبارك وتعالى.

وفي رواية عند مسلم، أنه قال في قوله تعالى: ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾، و ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾، قال: رآه بفؤاده مرتين، وفي رواية قال: رآه بقلبه.

ورُوى عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: "**رَأَيْتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى**" فحمله بعضهم كابن الجوزي على ظاهره.

واستدل بعضهم كالهروي وغيره على إثبات الرؤية البصرية، بتفسير ابن عباس لقوله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ**﴾ (الإسراء/٦٠)، قال: هي رؤيا عين، أُريها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ليلة أُسري به.

ثانياً : ما ورد عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنه قال : إن محمدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد رأى ربه تبارك وتعالى.

=

ثالثًا : ما ورد عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقد سُئل: هل رأى محمد ربه؟ قال: نعم قد رآه.

رابعًا : ما ورد عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنه قال: رآه بقلبه ولم تره عيناه.

وفي طريق آخر عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، قال: رآه بقلبه، يعني النبي ﷺ.

قال أصحاب هذا القول موجهين استدلالهم بالأدلة السابقة: إن هؤلاء الصحابة لا يمكن أن يقولوا برأيهم وظنهم في مثل هذه المسائل الغيبية التي لا تدرك إلا بنص من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، وعلى هذا فلابد أنهم سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ، وقالوا أيضًا: إن ابن عباس ومن معه أثبتوا شيئًا نفاه غيرهم، والمثبت مقدم على النافي، لأن النفي لا يوجب علمًا بخلاف الإثبات، فإنه هو الذي يوجب العلم.

الفريق الثاني: وهم الذين نفوا الرؤية للنبي ﷺ ليلة المعراج، وعلى رأس هؤلاء أم المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، وهو المشهور عن ابن مسعود، وحُكي عن أبي هريرة وأبي ذر، وإليه ذهب الدارمي، وجماعة من المحدثين والفقهاء، والمتكلمين.

أدلة هذا الفريق: استدل أصحاب هذا القول بما يلي:

ما جاء في الصحيحين عن مسروق قال: كنت متكئا عند عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقالت:

=

يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت ما هن؟ قالت من زعم أن محمدا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ (التكوير/٢٣) ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (النجم/١٣)؟ فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: "**إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيل، لَمْ أَره عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطاً مِنَ السَّمَاءِ سَادّاً عَظْمُ خَلْقُهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ**"، فقالت: أولم تسمع أن الله يقول: ﴿لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام/١٠٣)، أولم تسمع أن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى/٥١).

فقالوا: هذا الحديث نص صريح مرفوع إلى النبي ﷺ في أن المراد بالمرئي بالآيتين؛ إنما هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وليس الله تعالى، وقد جاء هذا أيضًا عن ابن مسعود، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

قال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ: فاتفقت رواية عبد الله بن مسعود، وعائشة، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ على أن هذه الآيات أُنزلت في رؤية النبي ﷺ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي بعضها أُسند الخبر إلى النبي ﷺ، وهو أعلم بمعنى ما أُنزل إليه.اهـ

=

=

وأخرج ابن مردويه بإسناد مسلم -كما يقول الحافظ ابن حجر- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: يا رسول الله هل رأيت ربك؟ فقال: "**لَا، إِنَّمَا رَأَيْتُ جِبْرِيلَ**".

وما جاء في صحيح مسلم، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: "**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**".

وفي طريق آخر، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه ﷺ، قال: "**رَأَيْتُ نُورًا**".

فقالوا: هذا حديث صريح في نفي الرؤية، بل هو أبلغ من النفي الصريح لمجيئه على صورة الاستفهام الإنكاري لأن معناه: كيف أراه وقد منعني من رؤيته النور؟ وهذا النور هو الحجاب الوارد في حديث أبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: "**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ مِنْ بَصَرِهِ مِنْ خَلْقِهِ**".

ثالثًا: مذهب التوقف:

حُكى عن سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ، وإليه ذهب القرطبي، والذهبي، وعزاه القرطبي لطائفة من المشايخ، معللين توقفهم في هذه المسألة؛ بأنه ليس فيها دليل قاطع نفيًا ولا إثباتًا، وغاية المُستدل على نفي ذلك أو إثباته؛ التمسك بظواهر متعارضة، وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا نعنف من أثبت الرؤية لنبينا في الدنيا، ولا من نفاها، بل نقول: الله ورسوله أعلم.اهـ

=

=

المطلب الثالث: الترجيح.

الذي يظهر رجحانه -والله تعالى أعلم- مذهب الجمع وذلك بإثبات الرؤية الفؤادية، ونفي الرؤية البصرية، فتُحمل الروايات المطلقة في الرؤية على الرويات المقيدة عنه بالفؤاد، ويُحمل إنكار عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا على نفي الرؤية البصرية، وبهذا تجتمع الأدلة، ويزول ما قد يُوهم بينها من التعارض.

سبب الترجيح:

أما عن سبب نفي الرؤية البصرية:

١- فلأنه ﷺ عندما سأله أبو ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هل رأيت ربك؟ قال: **"نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ"** وهذا صريح في نفي الرؤية البصرية؛ لأنها هي المسئول عنها.

وأما دعوى ابن خزيمة الانقطاع بين عبد الله بن شقيق وأبي ذر فغير مسلمةً، لأن عبد الله بن شقيق قد صرح بالتحديث عن أبي ذر، كما عند مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأما ما ذهب إليه ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أنا أبا ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يحتمل أنه سأل رسول الله ﷺ قبل الإسراء فأجابه بالنفي، ولو سأله بعد الإسراء لأجابه بالإثبات، فقد قال عنه ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا ضعيف جدًا، فإن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قد سألت عن ذلك بعد الإسراء، ولم يثبت لها رؤية.اهـ

=

=

٢- أن التصريح بالرؤية البصرية لم يثبت عن أحد من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، بل قد نقل الدارمي إجماع الصحابة على أنه ﷺ لم ير ربه ﷻ ليلة المعراج، وأما استثناء بعضهم لابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: ليس ذلك بخلاف في الحقيقة، فإن ابن عباس لم يقل: رآه بعيني رأسه. اهـ

وقال ابن كثير: ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب، فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.اهـ

وقال شيخ الإسلام: وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك؛ بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل؛ كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: " **نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**"، وقد قال تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ (الإسراء/١)، ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أولى، وكذلك قوله: ﴿**أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى**﴾ (النجم/١٢)، ﴿**لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**﴾ (النجم/١٨)، ولو كان رآه بعينه لكان ذكر ذلك أولى....وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة ذكر ذلك، ولو كان قد وقع ذلك لذكره كما ذكر ما دونه.اهـ

وقال القاضي عياض رَحِمَهُٱللَّهُ: وأما وجوبه لنبينا ﷺ والقول بأنه رآه بعينه، فليس

=

=

فيه قاطع أيضًا ولا نص. اهـ

وقال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولم يأتنا نص جلي بأن النبي ﷺ رأى ربه بعينه.اهـ

٣- ومستند القائلين بالرؤية البصرية تفسير ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لآيات سورة النجم، كقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾، حيث جعل المرئي فيها هو الله تعالى وهذا غير صحيح، لأن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا رفعت تفسير هذه الآية إلى النبي ﷺ بأن المرئي هو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ووافقها على ذلك أبو هريرة، وابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في بقية الآيات - كما تقدمت الرواية عنهم- وأن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فإنه يُخبر عن اعتقاده، ولم يرفعه إلى النبي ﷺ، ولا شك أن المرفوع مقدم على الموقوف.

وأما استدلال عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا على نفي الرؤية بالآيتين، وهما: قوله تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾، وقوله: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ...**﴾ فغير مُسلَّم.

أما الآية الأولى فلأن المعنى فيها: لا تحيط به الأبصار، فالإدراك فيها بمعنى الإحاطة وهي قدر زائد على الرؤية، وبالتالي فإن نفي الإدراك لا يلزم منه نفي الرؤية، فإن الشيء قد يُرى ولا يدرك، كما يقول الرجل: رأيت السماء وهو صادق، مع أنه لم يحط بصره بكل السماء ولم يدركها، ويقول: رأيت البحر، ولم يدرك بصره كل البحر، ويقول: رأيت الشمس وهو عاجز عن الإحاطة بها على ما هي عليه، والعرب تقول:

=

=

رأيت الشيء وما أدركته.

وعلى هذا فإن الله تعالى يُرى لكن لا يُدرك ولا يُحاط به لعظمته، ونظير جواز وصفه بأنه يُرى ولا يدرك؛ جواز وصفه بأنه يعلم ولا يُحاط بعلمه، كما قال تعالى: ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ**﴾ (البقرة/٢٥٥)، فلم يكن في نفيه عن خلقه أن يحيطوا بشيء من علمه إلا بما شاء؛ نفي عن أن يعلموه، فهو تعالى يُعلم ولا يحاط به علمًا، ويُرى ولا يُحاط به لكمال عظمته عز وجل.

وهذا التفسير للآية ذكره الطبري عن ابن عباس، وقتادة، وعطية العوفي، ونسبه البغوي لسعيد بن المسيب، وعطاء، ومقاتل، وهو قول جمع من أهل العلم، كالطبري، والآجري، والبغوي، والقرطبي، والنووي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن أبي العز، وابن حجر، ومحمد الأمين الشنقيطي، وغيرهم.

وهو قول أهل اللغة أيضًا، قال الزجاج في معنى الآية: أي لا يُبلغ كُنه حقيقته كما تقول أدركت كذا وكذا، وقال أيضًا: معنى هذه الآية: إدراك الشيء وإحاطته بحقيقته.اهـ

وبهذا يتضح أن الآية ليست نصًا صريحًا في نفي الرؤية، وإنما هو استنباط من عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خالفها فيه ابن عباس وغيره كما تقدم.

=

=

وأما الآية الثانية: فلأنه لا يلزم من إثبات الرؤية؛ وجود الكلام حال الرؤية، فيجوز وجود الرؤية من غير كلام، وغاية ما تفيده الآية هي نفي كلام الله عز وجل لأحدٍ من خلقه على غير هذه الأحوال الثلاثة.

وأما عن سبب إثبات الرؤية الفؤادية:

١- فلأنها ثبتت عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وأبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال بها جمع من المتقدمين والمتأخرين من أهل العلم.

وكل أصحاب الفريق الأول من مذهب الترجيح -إلا من صرح منهم بإثبات الرؤية البصرية- محمول كلامهم في إثبات الرؤية على الرؤية الفؤادية، لأن الروايات عنهم إما مطلقة وإما مقيدة برؤية الفؤاد، وقد بينا عدم صحة إثبات الرؤية البصرية فوجب حمل المطلق من الروايات عنهم على المقيد منها بالفؤاد، ومما يحسن التنبيه على هنا: أنه لو كان المعوّل عليه في إثبات الرؤية الفؤادية قول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فقط لما توجه القول به، لأن قوله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مبني على تفسير الآيات في سورة النجم، وقد ثبت -بما سبق بيانه- أن المراد به جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

٢- ومما يؤيد حمل الروايات المطلقة على الروايات المقيدة بالفؤاد في ما ورد عن ابن عباس: أن نفس الآيات التي ورد عن ابن عباس في تفسيرها إطلاق الرؤية هي

=

=

بعينها الآيات عن ابن عباس في تفسيرها تقييد الرؤية بالفؤاد، مما يدل على أنه لم يرد بالإطلاق إثبات الرؤية البصرية، وإنما أراد الرؤية الفؤادية، والله أعلم.

٣-ومما يؤيد ذلك أيضًا ما رُوى عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه قال: لم يره رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعينه، وإنما رآه بقلبه، فإن صح هذا فهو قاطع فيما نُسب لابن عباس.

٤- أنني لم أجد حسب اطلاعي وبحثي -المتواضع- مَن صرَّح بنفي الرؤية الفؤادية بل إن بعض الذين يثبتون الرؤية البصرية قد صرحوا بإثبات الرؤية الفؤادية.

مناقشة أدلة المثبتين للرؤية البصرية:

١- قول ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أتعجبون أن تكون الخُلة لإبراهيم، والكلام لموسى والرؤية لمحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فإن هذا محمول على ما ورد عنه من الروايات المقيدة بالرؤية الفؤادية، ومثل هذا يُقال فيما ورد عن أنس وأبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، لأن إطلاقهما للرؤية ليس فيه أنهما أرادا الرؤية البصرية.

٢- تفسير ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا للآيات في سورة النجم، وهي قوله تعالى: ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾، و ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾ بأن المرئي فيها هو الله تعالى، فإنه معارض بتفسير ابن مسعود للآية الأولى، وكذا أبي هريرة، وعائشة للآية الثانية

=

=

وقد رفعت عائشة هذا التفسير إلى النبي ﷺ بأن المرئي هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم لو سلمنا جدلًا أن الصواب مع ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في أن المراد بالمرئي هو الله تعالى، فإنه ليس فيه إثبات الرؤية البصرية لأن الرواية عن ابن عباس في هذه الآيات؛ إما مطلقة وإما مقيدة بالفؤاد، وليس فيما ثبت عنه من الروايات التصريح بالرؤية البصرية.

٣- ما رواه ابن عباس بسند صحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "**رَأَيْتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى**"، فإنه مختصر من حديث المنام، كما بين ذلك ابن كثير وغيره. اهـ

قلت (أبو سفيان) : ونص حديث الصورة ما رواه الدارمي في السنن (٢١٤٩) عن عبد الرحمن بن عائش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الأَعْلَى؟ فَقُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ يَا رَبُّ، قَالَ: فَوَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفِي، فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيِي، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَتَلَا: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾**". اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا الحديث لم يكن ليلة المعراج، فإن هذا الحديث كان بالمدينة، وفي الحديث: أن النبي ﷺ نام عن صلاة الصبح، ثم خرج إليهم، وقال: رأيت كذا وكذا، وهو في رواية من لم يصل خلفه إلا بالمدينة كأم الطفيل وغيرها، والمعراج إنما كان من مكة باتفاق أهل العلم، وبنص القرآن والسنة

=

وَذِكْرِ اخْتِصَاصِ اللَّهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالرُّؤْيَةِ كَمَا خَصَّ نَبِيَّهُ إِبْرَاهِيمَ بِالْخُلَّةِ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا، وَكَمَا خَصَّ نَبِيَّهُ مُوسَى بِالْكَلَامِ خُصُوصِيَّةٌ خَصَّهُ اللهُ بِهَا مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الرُّسُلِ، وَخَصَّ اللَّهُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُ بِفَضِيلَةٍ وبدرجَةٍ سَنِيَّةٍ، كَرَمًا مِنْهُ وَجُودًا كَمَا أَخْبَرَنَا عَزَّ وَجَلَّ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهَ وَرَفَعَ**

=

المتواترة، كما قال الله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى**﴾ (الإسراء/١)، فعلم أن هذا الحديث كان رؤيا منام بالمدينة كما جاء مفسرا في كثير من طرقه: أنه كان رؤيا منام، مع أن رؤيا الأنبياء وحي لم يكن رؤيا يقظة ليلة المعراج.اهـ

الخلاصة: أنه ﷺ لم ير ربه ببصره، وإنما رآه بفؤاده، ولم يثبت عن أحدٍ من الصحابة القول بالرؤية البصرية، هذا في ليلة المعراج، وأما الذين قالوا إنه رآه ببصره فليس لهم مستند على ذلك إلا ما فهموه من الروايات المطلقة في الرؤية عن بعض الصحابة كابن عباس وغيره، وأنه ﷺ رأى ربه غز وجل رؤيا منامية في المدينة، كما جاء في حديث ابن عباس، ومعاذ، وغيرهما، والله أعلم.

بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾[1].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَتَعْجَبُونَ أَنْ تَكُونَ الْخُلَّةُ لِإِبْرَاهِيمَ وَالْكَلَامُ لِمُوسَى، وَالرُّؤْيَةُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[2]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: رَأَى مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ.[3]

عَنِ الْمُبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ يَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَقَدِ اخْتُلِفَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: **﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾**[4] فَرَوَى بَعْضُهُمْ عَنْهُ أَنَّهُ رَآهُ بِفُؤَادِهِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: **﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾** قَالَ: رَآهُ بِفُؤَادِهِ.

---

(١) البقرة/٢٥٣

(٢) **صحيح**: السنة لابن أبي عاصم (٤٤٢) وصححه الألباني.

(٣) **صحيح**: السنة لابن أبي عاصم (٤٣٥) وصححه الألباني.

(٤) النجم/١٣

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[1] قَالَ: رَآهُ بِقَلْبِهِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾[2] قَالَ: عَبْدُهُ: مُحَمَّدٌ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: قَالَ الْحَسَنُ: عَبْدُهُ جِبْرِيلُ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: رَآهُ مَرَّتَيْنِ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: احْتَجَّ بَعْضُ أَصْحَابِنَا بِهَذَا الْخَبَرِ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وَأَبَا ذَرٍّ كَانَا يَتَأَوَّلَانِ هَذِهِ الْآيَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَبَّهُ بِفُؤَادِهِ، لِقَوْلِهِ بَعْدَ ذِكْرِ مَا بَيَّنَّا: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾، وَتُؤُوِّلَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَنَا مِنْ خَالِقِهِ عَزَّ وَجَلَّ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَا أَوْحَى، وَأَنَّ فُؤَادَ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يُكَذِّبْ مَا رَأَى، يَعْنُونَ رُؤْيَتَهُ خَالِقَهُ جَلَّ وَعَلَا.

---

(١) النجم/ ١١

(٢) النجم/ ١٠

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَلَيْسَ هَذَا التَّأْوِيلُ الَّذِي تَأَوَّلُوهُ لِهَذِهِ الْآيَةِ بِالْبَيِّنِ، وَفِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَخْبَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى، وَلَمْ يُعْلِم اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ رَأَى رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا، وَآيَاتُ رَبِّنَا لَيْسَ هُوَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا، فَتَفَهَّمُوا لَا تُغَالِطُوا فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ.

وَاحْتَجَّ آخَرُونَ مِنْ أَصْحَابِنَا عَلَى الرُّؤْيَةِ

بِمَا حَدَّثَنَا عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ: ثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ**﴾[1]، قَالَ: هِي رُؤْيَا عَيْنٍ أُرِيهَا النَّبِيُّ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ. [2]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ**﴾ قَالَ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أُرِيهَا النَّبِيُّ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ، قَالَ: ﴿**وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ**﴾ قَالَ: هِيَ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ. [3]

---

(١) الإسراء/٦٠

(٢) **صحيح**: البخاري (٣٨٨٨).

(٣) **صحيح**: انظر السابق.

قَالَ أَبُو بَكر: وَلَيْسَ الْخَبَرُ بِالْبَيِّنِ أَيْضًا أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَرَادَ بِقَوْلِهِ رُؤْيَا عَيْنٍ: رُؤْيَةُ النَّبِيِّ ﷺ رَبَّهُ بِعَيْنِهِ.

لَسْتُ أَسْتَحِلُّ أَنْ أَحْتَجَّ بِالتَّمْوِيهِ، وَلَا أَسْتَجِيزُ أَنْ أُمَوِّهَ عَلَى مُقْتَبِسِي الْعِلْمِ، فَأَمَّا خَبَرُ قَتَادَةَ، وَالْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَخَبَرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَبَيِّنٌ وَاضِحٌ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يُثْبِتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَأَى رَبَّهُ.

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾(١) قَالَ: رَأَى رَبَّهُ.

عنْ كَعْبٍ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ رُؤْيَتَهُ وَكَلَامَهُ بَيْنَ مُوسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا، فَرَآهُ مُحَمَّدٌ مَرَّتَيْنِ، وَكَلَّمَ مُوسَى مَرَّتَيْنِ.(٢)

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَالدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَكَرْتُ: أَنَّ آيَاتِ رَبِّنَا الْكُبْرَى غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُتَأَوَّلَ أَنَّ آيَاتِ رَبِّنَا هِيَ رَبُّنَا.

---

(١) النجم/١٣

(٢) **صحيح إلى كعب:** ابن أبي شيبة (٦/٣٣٣/ح٣١٨٣٨).

أَخْبَارُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ:

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: أَتَيْتُ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ وَعَلَيَّ دُرَّتَانِ، أَوْ فِي أُذُنِي دُرَّتَانِ، فَأُلْقِيَتْ عَلَيَّ مِنْهُ مَحَبَّةٌ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ لِي: سَلْهُ سَلْهُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**﴾[1]، قَالَ: ثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "**نَظَرْتُ إِلَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ**".[2]

عَنْ زِرٍّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى**﴾[3] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عَلَيْهِ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ، يَتَنَاثَرُ مِنْهَا التَّهَاوِيلُ الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ**".[4]

عَنِ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿**لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**﴾ فَقَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: رَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ قَدْ سَدَّ أُفُقَ

---

(١) النجم/٩

(٢) **متفق عليه**: البخاري (٤٨٥٦)، مسلم (١٧٤).

(٣) النجم/١٣: ١٤

(٤) **صحيح**: سبق تخريجه.

السَّمَاءِ.[1]

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾[2] قَالَ: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلَ فِي حُلَّةِ رَفْرَفٍ مَلأَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.[3]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَأَخْبَارُ ابْنُ مَسْعُودٍ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿**لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**﴾ تَأْوِيلُهُ: أَيْ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾[4] فَغَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى مَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ، لَا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ: ﴿**لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**﴾.

---

(١) **صحيح**: الترمذي (٣٢٨٣) وصححه الالباني.

(٢) النجم/١١

(٣) **صحيح**: سبق تخريجه.

(٤) النجم/١٣

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ خَبَرٌ قَدِ اخْتَلَفَ عُلَمَاؤُنَا فِي تَأْوِيلِهِ؛ لِأَنَّهُ رُوِيَ بِلَفْظٍ يَحْتَمِلُ النَّفْيَ وَالْإِثْبَاتَ جَمِيعًا، عَلَى سَعَةِ لِسَانِ الْعَرَبِ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ الْعُقَيْلِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ: لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَسَأَلْتُهُ، قَالَ: عَمَّا كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟ قَالَ: إِذَنْ لَسَأَلْتُهُ: هَلْ رَأَى رَبَّهُ؟ فَقَالَ: قَدْ سَأَلْتُهُ أَنَا، قُلْتُ: فَمَا قَالَ؟ قَالَ: "**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**".(١)

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِي الْقَلْبِ مِنْ صِحَّةِ سَنَدِ هَذَا الْخَبَرِ شَيْءٌ، لَمْ أَرَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِنَا مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْآثَارِ فَطِنَ لِعِلَّةٍ فِي إِسْنَادِ هَذَا الْخَبَرِ، فَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ شَقِيقٍ، كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُثْبِتُ أَبَا ذَرٍّ، وَلَا يَعْرِفُهُ بِعَيْنِهِ وَاسْمِهِ وَنَسَبِهِ، لِأَنَّ أَبَا مُوسَى مُحَمَّدَ بْنَ الْمُثَنَّى ثَنَا قَالَ: ثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى غَرَائِرَ سُودٍ يَقُولُ: لِيَبْشَرْ أَصْحَابُ الْكُنُوزِ بِكَيٍّ فِي الْجِبَاهِ وَالْجُنُوبِ، فَقَالُوا: هَذَا أَبُو ذَرٍّ، صَاحِبُ رَسُولِ ﷺ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَقِيقٍ يَذْكُرُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا

---

(١) **صحيح**: مسلم (١٧٨).

يَقُولُ هَذِهِ الْمَقَالَةَ، وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى غَرَائِرَ سُودٍ، خُبِّرَ أَنَّهُ أَبُو ذَرٍّ، كَأَنَّهُ لَا يُثْبِتُهُ وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُ أَبُو ذَرٍّ.

وَقَوْلُهُ: "**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**"، يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: نَفْيٌ، أَيْ: كَيْفَ أَرَاهُ، وَهُوَ نُورٌ.

وَالْمَعْنَى الثَّانِي: أَيْ كَيْفَ رَأَيْتَهُ، وَأَيْنَ رَأَيْتَهُ، فَهُوَ نُورٌ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ إِدْرَاكَ مَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، كَمَا قَالَ عِكْرِمَةُ: إِنَّ اللَّهَ إِذَا تَجَلَّى بِنُورِهِ لَا يُدْرِكُهُ شَيْءٌ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ هَذَا التَّأْوِيلِ الثَّانِي:

أَنَّ إِمَامَ أَهْلِ زَمَانِهِ فِي الْعِلْمِ وَالْأَخْبَارِ مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ بُنْدَارٌ، ثنا بِهَذَا الْخَبَرِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ: لَوْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟ فَقَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: قَدْ سَأَلْتُهُ، فَقَالَ: "**رَأَيْتُ نُورٌ**".

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَكِيمٍ قَالَ: ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى وَقَالَ: "**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**".

حَدَّثَنَا بُنْدَارٌ أَيْضًا قَالَ: ثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: ثَنَا يَزِيدُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ التُّسْتَرِيُّ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ، لَوْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ لَسَأَلْتُهُ قَالَ: وَعَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ تَسْأَلُهُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَسْأَلُهُ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: قَدْ سَأَلْتُهُ، فَقَالَ: "**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**".

كَذَا قَالَ لَنَا بُنْدَارٌ: "**أَنَّى أَرَاهُ**"، لَا كَمَا قَالَ أَبُو مُوسَى، فَإِنَّ أَبَا مُوسَى قَالَ: "**إِنِّي أَرَاهُ**".[1]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَوْلُهُ: "**أَنَّى**"، يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ:

أَحَدُهُمَا : النَّفْيُ. **وَالْآخَرُ** : الْإِثْبَاتُ.

قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ**﴾[2] فَمَعْنَى ﴿**أَنَّى**﴾: أَيْ شِئْتُمْ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى خَبَرِ أَبِي ذَرٍّ: "**أَنَّى أَرَاهُ**" فَمَعْنَى "**أَنَّى**" فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: أَيْ كَيْفَ شِئْتُمْ، وَأَيْنَ شِئْتُمْ، فَيَجُوزُ أَنْ

---

(١) "**أَنَّى**" بالفتح فيها معنى النفي، أي كيف لي أن أراه، أما (إِنِّي) بالكسر ففيها ثبوت الرؤية وأنها متحققة بالعين.

(٢) البقرة/٢٢٣

يَكُونَ مَعْنَى خَبَرِ أَبِي ذَرٍّ: "**أَنَّى أَرَاهُ**" أَيْ: أَيْنَ أَرَاهُ، أَوْ كَيْفَ أَرَاهُ، فَهُوَ نُورٌ، كَمَا رَوَاهُ مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، خَبَرُ أَبِي ذَرٍّ: "**رَأَيْتُ نُورًا**"، فَعَلَى هَذَا اللَّفْظِ يَكُونُ مَعْنَى قَوْلِهِ: "**أَنَّى أَرَاهُ**" أَيْ: أَيْنَ أَرَاهُ؟ أَوْ كَيْفَ أَرَاهُ، فَإِنَّمَا أَرَى نُورًا.

وَالْعَرَبُ قَدْ تَقُولُ: أَنَّى عَلَى مَعْنَى النَّفْيِ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالُوا: ﴿**أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا**﴾(١) يُرِيدُونَ: كَيْفَ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ.

فَلَوْ كَانَ مَعْنَى قَوْلِ أَبِي ذَرٍّ مِنْ رِوَايَةِ يَزِيدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التُّسْتَرِيِّ: "**أَنَّى أَرَاهُ**" أَوْ "**إِنِّي أَرَاهُ**" عَلَى مَعْنَى نَفْيِ الرُّؤْيَةِ؛ فَمَعْنَى الْخَبَرِ: أَنَّهُ نَفْيُ رُؤْيَةِ الرَّبِّ لِأَنَّ أَبَا ذَرٍّ قَدْ ثَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ خَبَّرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَأَى رَبَّهُ بِقَلْبِهِ.

عَنْ يَزِيدَ بْنِ شَرِيكٍ التَيْمِي، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾(٢) قَالَ: رَآهُ بِقَلْبِهِ، يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ.(١)

---

(١) البقرة/٢٤٧

(٢) النجم/١٣

عَنْ يَزِيدَ بْنِ شَرِيكٍ(٢)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: رَآهُ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَرَهُ بِعَيْنِهِ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَلَوْ كَانَ أَبُو ذَرٍّ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يُنْكِرُ رُؤْيَةَ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا بِقَلْبِهِ وَعَيْنِهِ جَمِيعًا فِي قَوْلِهِ: "**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**" لَمَّا تَأَوَّلَ الْآيَةَ الَّتِي تَلَاهَا قَوْلُهُ: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾ خِلَافَ مَا سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ، إِذِ الْعِلْمُ مُحِيطٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يَقُولُ خِلَافَ الْكِتَابِ، وَلَا يَكُونُ الْكِتَابُ خِلَافَ خَبَرِ النَّبِي ﷺ الثَّابِتِ عَنْهُ، وَإِنَّمَا يَكُونُ خَبَرُ النَّبِيِّ ﷺ أَبَدًا مُوَافِقًا لِكِتَابِ اللَّهِ لَا مُخَالِفًا لِشَيْءٍ مِنْهُ، وَلَكِنْ قَدْ يَكُونُ لَفْظُ الْكِتَابِ لَفْظًا عَامًّا مُرَادُهُ خَاصٌّ، وَقَدْ يَكُونُ خَبَرُ النَّبِيِّ ﷺ لَفْظُهُ لَفْظٌ عَامٌّ مُرَادُهُ خَاصٌّ فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ بِسُنَّتِهِ أَنَّ بَعْضَ مَا كَانَ لَفْظ عَام مُرَادُهُ خَاص مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

قَدْ بُيِّنَا جَمِيعًا مِنْ هَذَا الْجِنْسِ فِي كُتُبِنَا الْمُصَنَّفَةِ مَا فِي بَعْضِهَا الْغُنْيَةُ

=

(١) **صحيح**.

(٢) ذكر الشيخ أبو محمد يحيي بن محمد سوس الأزهري في نسخته (ي): أن طبعات الشهوان، والهراس، والحديث، ذكروا (الرشك) وهو خطأ، والرشك متأخر الطبقة وكذا عقب الريَّاشي في نسخته (ر).

وَالْكِفَايَةُ عَنْ تكْرَارِهِ فِي هَذَا المَوْضِعِ، وَلَوْلَا أَنَّ تَأْوِيلَ هَذِهِ الآيَةِ قَدْ صَحَّ عِنْدَنَا، وَثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ عَلَى غَيْرِ مَا تَأَوَّلَهُ أَبُو ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَجَازَ أَنْ يَكُونَ خَبَرَا أَبِي ذَرٍّ اللَّذَيْنِ ذَكَرْنَاهُمَا مِنَ الجِنْسِ الَّذِي نَقُولُ: جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ سَأَلَهُ أَبُو ذَرٍّ، فِي بَعْضِ الأَوْقَاتِ هَلْ رَأَى رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَلَمْ يَكُنْ قَدْ رَآهُ بَعْدُ، فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ لَمْ يَرَهُ، ثُمَّ رَأَى رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا بَعْدَ ذَلِكَ فَتَلَا عَلَيْهِ الآيَةَ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ رَآهُ بِقَلْبِهِ، وَلَكِنْ قَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ إِنَّمَا رَأَى جِبْرِيلَ عَلَى صُورَتِهِ، فَثَبَتَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾ إِنَّمَا هُوَ رُؤْيَةُ النَّبِيِّ ﷺ جِبْرِيلَ، لَا رُؤْيَةُ النَّبِيِّ ﷺ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ رَأَى رَبَّهُ، عَلَى مَا أَخْبَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَمَنْ قَالَ مِمَّنْ حَكَيْنَا قَوْلَهُ: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ رَأَى رَبَّهُ، لَا لِتَأْوِيلِ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾، وَخَبَرُ أَبِي عِمْرَانَ الجَوْنِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ شَبِيهُ المَعْنَى بِخَبَرِ أَبِي ذَرٍّ: "**رَأَيْتُ نُورًا**".

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**بَيْنَمَا أَنَا مُضْطَجِعٌ فِي المَسْجِدِ، رَأَيْتُ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ أَقْبَلُوا إِلَيَّ، فَقَالَ الأَوَّلُ: هُوَ هُوَ، فَقَالَ الأَوْسَطُ: نَعَمْ، فَقَالَ الآخَرُ: خُذُوا سَيِّدَ القَوْمِ: فَرَجَعُوا إِلَيَّ، فَاحْتَمَلُونِي، حَتَّى أَلْقَوْنِي**

عَلَى ظَهْرِي، عِنْدَ زَمْزَمَ، فَشَقُّوا بَطْنِي، فغَسَلُوهُ، فَسَمِعْتُ بَعْضَهُمْ يُوصِي بَعْضًا يَقُولُ: أَنْقُوهَا، فَأَنْقَوْا حَشْوَةَ بَطْنِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطِشْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَوْعَى فِي قَلْبِي، ثُمَّ صَعِدُوا بِي إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قَالَ: وَمَنْ مَعكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَفَتَحَ فَإِذَا آدَمُ، إِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ عَنْ شِمَالِهِ بَكَى، قَالَ: قُلْتُ يَا جِبْرِيلُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ إِذَا نَظَرَ إِلَى الْجَنَّةِ عَنْ يَمِينِهِ فَرَأَى مَنْ فِيهَا مِنْ وَلَدِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ إِلَى النَّارِ عَنْ يَسَارِهِ فَنَظَرَ إِلَى وَلَدِهِ فِيهَا بَكَى ، قَالَ أَنَسٌ: إِنْ شِئْتَ سَمَّيْتُ لَكَ كُلَّهُمْ، وَلَكِنْ يَطُولُ عَلَيَّ الْحَدِيثُ، "فَعَرَجَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قَالَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ قَالَ: نَعَمْ، فَفُتِحَ، فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: فَعَرَجَ بِي حَتَّى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَفتَحَ، فَأَدْخَلْتُ الْجَنَّةَ فَأُعْطِيتُ الْكَوْثَرَ، وَهُوَ نَهَرٌ فِي الْجَنَّةِ، شَاطِئُهُ يَاقُوتٌ مُجَوَّفٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ ثُمَّ عرَجَ بِي حَتَّى جَاءَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، فَدَنَا إِلَى رَبِّهِ فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ وَعَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ: كَمْ فَرَضَ

عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكَ وَعَنْ أُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَوَضَعَ عَنَى عَشْرَ صَلَوَاتٍ، ثُمَّ مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: كَمْ فَرَضَ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ عَلَيَّ أَرْبَعِينَ صَلاَةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكَ، وَعَنْ أُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرً ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَشْرٍ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى عَشْرٍ، قَالَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أُمِرُوا بِأَيْسَرَ مِنْ هَذَا فَلَمْ يُطِيقُوهُ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَوَضَعَ خَمْسًا، ثُمَّ قَالَ: لَا يُبَدَّلُ قَوْلِي وَلَا يُنْسَخُ كِتَابِي، هُوَ فِي التَّخْفِيفِ خَمْسُ صَلَوَاتٍ وَفِي التَّضْعِيفِ فِي الْأَجْرِ خَمْسُونَ صَلاَةً، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: كَمْ فَرَضَ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسَ صَلَوَاتٍ قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكَ وَعَنْ أُمَّتِكَ، قَالَ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى أَنِّي لَأَسْتَحِي مِنْهُ". [١]

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (٧٥١٥)، مسلم (١٦٢).

[ر/٣٩٤- ح/١٨٥- ش(٢/٥٤٨)- ز/(١/٤٣٨)- ي/٣٢١]

بَابُ ذِكْرِ أَخْبَارٍ رُوِيَتْ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي إِنْكَارِ رُؤْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا قَبْلَ نُزُولِ الْمَنِيَّةِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إِذْ أَهْلُ قِبْلَتِنَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعَاتِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى مَنْ شَاهَدْنَا مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ عَصْرِنَا، لَمْ يَخْتَلِفُوا وَلَمْ يَشُكُّوا وَلَمْ يَرْتَابُوا أَنَّ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ خَالِقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا.

وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ: هَلْ رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِقَهُ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ نُزُولِ الْمَنِيَّةِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ لَا أَنَّهُمْ قَدِ اخْتَلَفُوا فِي رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ خَالِقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَفَهَّمُوا الْمَسْأَلَتَيْنِ، لَا تُغَالِطُوا فَتَصُدُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ.

عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ: ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: وَمَا هُنَّ ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ: أَنْظِرِينِي وَلَا تَعْجَلِينَ،

أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾[١]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾[٢] فَقَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ هَذَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: "**جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**"، قَالَتْ: أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٣] قَالَتْ: أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[٤] قَرَأَت إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾، قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ﴾[٥] قَرَأْتُ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، قَالَتْ: وَمَنْ

---

(١) التكوير/٢٣

(٢) النجم/١٣

(٣) الأنعام/١٠٣

(٤) الشورى/٥١

(٥) المائدة/٦٧

زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ النَّاسَ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿**لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾[(١)،(٢)].

عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَوْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ لَكَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى أُمَّتِهِ: ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ**﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿**فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا**﴾[(٣)،(٤)].

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَذِهِ لَفْظَةٌ، أَحْسِبُ عَائِشَةَ تَكَلَّمَتْ بِهَا فِي وَقْتِ غَضَبٍ، كَانَتْ لَفْظَةٌ أَحْسَنَ مِنْهَا يَكُونُ فِيهَا دَرَكًا لِبُغْيَتِهَا، كَانَ أَجْمَلَ بِهَا، لَيْسَ يَحْسُنُ فِي اللَّفْظِ: أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: أَوْ قَائِلَةٌ، فَقَدْ أَعْظَمَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْفِرْيَةَ، وَأَبُو ذَرٍّ،

---

(١) النمل/٦٥

(٢) **متفق عليه**: البخاري (٤٨٥٥)، مسلم (١٧٧).

(٣) الأحزاب/٣٧

(٤) **صحيح** : مسلم (١٧٧).

وَأَنَس بْنُ مَالِكٍ، وَجَمَاعَاتٌ مِنَ النَّاسِ الْفِرْيَةَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَلَكِنْ قَدْ يَتَكَلَّمُ الْمَرْءُ عِنْدَ الْغَضَبِ بِاللَّفْظَةِ الَّتِي يَكُونُ غَيْرُهَا أَحْسَنَ وَأَجْمَلَ مِنْهَا.

أَكْثَرُ مَا فِي هَذَا أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا وَأَبَا ذَرٍّ، وَابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا، وَأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قَدِ اخْتَلَفُوا: هَلْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ؟

فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا لَمْ يَرَ النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ.

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ، وَابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا: قَدْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ.

وَقَدْ أَعْلَمْتُ فِي مَوَاضِعَ فِي كُتُبِنَا: أَنَّ النَّفْيَ لَا يُوجِبُ عِلْمًا، وَالْإِثْبَاتُ هُوَ الَّذِي يُوجِبُ الْعِلْمَ، وَلَمْ تَحْكِ عَائِشَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ خَبَّرَهَا: أَنَّهُ لَمْ يَرَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّمَا تَلَتْ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾، وَقَوْلَهُ: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا**﴾، وَمَنْ تَدَبَّرَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ وَوُفِّقَ لِإِدْرَاكِ الصَّوَابِ، عَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الْآيَتَيْنِ مَا يَسْتَحِقُّ مَنْ قَالَ إِنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ، الرَّمْيَ بِالْفِرْيَةِ عَلَى اللَّهِ، كَيْفَ بِأَنْ يَقُولَ: قَدْ أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ عَلَى اللَّهِ؟

لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾ قَدْ يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ عَلَى مَذْهَبِ مَنْ يُثْبِتُ رُؤْيَةَ النَّبِيِّ ﷺ خَالِقَهُ عَزَّ وَجَلَّ:

قَدْ يَحْتَمِلُ بِأَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾ عَلَى مَا قَالَ تُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ لِمَوْلَاهُ عِكْرِمَةَ: ذَاكَ نُورُهُ الَّذِي هُوَ نَوَّرَهُ، إِذَا تَجَلَّى بِنُورِهِ لَا يُدْرِكُهُ شَيْءٌ.

وَالْمَعْنَى الثَّانِي: أَيْ ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾ أَبْصَارُ النَّاسِ؛ لِأَنَّ الْأَعَمَّ وَالْأَظْهَرَ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ أَنَّ الْإِبْصَارَ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى أَبْصَارِ جَمَاعَةٍ، لَا أَحْسِبُ عَرَبِيًّا يُخْبِرُ مِنْ طَرِيقِ اللُّغَةِ أَنْ يُقَالَ لِبَصَرِ امْرِئٍ وَاحِدٍ: أَبْصَارٌ، وَإِنَّمَا يُقَالُ لِبَصَرِ امْرِئٍ وَاحِدٍ: بَصَرٌ، وَلَا سَمِعْنَا عَرَبِيًّا يَقُولُ: لِعَيْنِ امْرِئٍ وَاحِدٍ بَصَرَيْنِ فَكَيْفَ أَبْصَارٌ ؟

وَلَوْ قُلْنَا: إِنَّ الْأَبْصَارَ تَرَى رَبَّنَا فِي الدُّنْيَا، لَكِنَّا قَدْ قُلْنَا الْبَاطِلَ وَالْبُهْتَانَ فَأَمَّا مَنْ قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَأَى رَبَّهُ دُونَ سَائِرِ الْخَلْقِ، فَلَمْ يَقُلْ: إِنَّ سَائِرَ الْأَبْصَارَ قَدْ رَأَتْ رَبَّهَا فِي الدُّنْيَا، فَكَيْفَ يَكُونُ يَا ذَوِي الْحِجَا مَنْ يُثْبِتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَأَى رَبَّهُ، دُونَ سَائِرِ الْخَلْقِ مُثْبِتًا أَنَّ الْأَبْصَارَ قَدْ رَأَتْ رَبَّهَا؟

فَتَفَهَّمُوا يَا ذَوِي الْحِجَا هَذِهِ النُّكْتَةَ، تَعْلَمُوا أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَأَبَا ذَرٍّ، وَأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، وَمَنْ وَافَقَهُمْ لَمْ يُعْظِمُوا الْفِرْيَةَ عَلَى اللَّهِ، وَلَا

خَالَفُوا حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

فَأَمَّا ذِكْرُهَا: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾[1]، فَلَمْ يَقُلْ أَبُو ذَرٍّ، وَابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَلَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَلَا أَحَدٌ مِمَّنْ يُثْبِتُ رُؤْيَةَ النَّبِيِّ ﷺ خَالِقَهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ اللَّهَ كَلَّمَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ يَرَى رَبَّهُ فِيهِ، فَيَلْزَمُ أَنْ يُقَالَ: قَدْ خَالَفَتْهُمْ هَذِهِ الْآيَةُ.

وَمَنْ قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَأَى رَبَّهُ، لَمْ يُخَالِفْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ وَإِنَّمَا يَكُونُ مُخَالِفًا لِهَذِهِ الْآيَةِ مَنْ يَقُولُ: رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ فَكَلَّمَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَابْنُ عُمَرَ مَعَ جَلَالَتِهِ، وَعِلْمِهِ، وَوَرَعِهِ، وَفِقْهِهِ، وَمَوْضِعِهِ مِنَ الْإِسْلَامِ، وَالْعِلْمِ؛ يَلْتَمِسُ عِلْمَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مِنْ تُرْجُمَانِ الْقُرْآنِ ابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ، يُرْسِلُ إِلَيْهِ لِيَسْأَلَهُ، هَلْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ؟ عِلْمًا مِنْهُ بِمَعْرِفَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ يُقْتَبَسُ هَذَا مِنْهُ، فَقَدْ ثَبَتَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِثْبَاتُهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَأَى رَبَّهُ،

---

(١) الشورى/٥١

وَبِيَقِينٍ يَعْلَمُ كُلُّ عَالِمٍ أَنَّ هَذَا مِنَ الْجِنْسِ الَّذِي لَا يُدْرَكُ بِالْعُقُولِ، وَالْآرَاءِ وَالْجَنَانِ وَالظُّنُونِ، وَلَا يُدْرَكُ مِثْلُ هَذَا الْعِلْمِ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ النُّبُوَّةِ، إِمَّا بِكِتَابٍ أَوْ بِقَوْلِ نَبِيٍّ مُصْطَفًى، وَلَا أَظُنُّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَتَوَهَّمُ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ بِرَأْيٍ وَظَنٍّ، لَا، وَلَا أَبُو ذَرٍّ، لَا، وَلَا أَنَسُ ابْنُ مَالِكٍ.

نَقُولُ كَمَا قَالَ مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ لَمَّا ذَكَرَ اخْتِلَافَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: مَا عَائِشَةُ عِنْدَنَا أَعْلَمَ مِنَ ابْنِ عَبَّاسٍ.

نَقُولُ: عَائِشَةُ الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ، حَبِيبَةُ حَبِيبِ اللَّهِ، عَالِمَةٌ فَقِيهَةٌ كَذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ، قَدْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ لَهُ أَنْ يُرْزَقَ الْحِكْمَةَ، وَالْعِلْمَ، أَوْ هَذَا الْمَعْنِي مِنَ الدُّعَاءِ، وَهُوَ الْمُسَمَّى تُرْجُمَانَ الْقُرْآنِ، وَمَنْ كَانَ الْفَارُوقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْأَلُهُ عَنْ بَعْضِ مَعَانِي الْقُرْآنِ، فَيَقْبَلُ مِنْهُ، وَإِنْ خَالَفَهُ غَيْرُهُ مِمَّنْ هُوَ أَكْبَرُ سِنًّا مِنْهُ، وَأَقْدَمُ صُحْبَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَإِذَا اخْتَلَفَا فَمُحَالٌ أَنْ يُقَالَ: قَدْ أَعْظَمَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْفِرْيَةَ عَلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ أَثْبَتَ شَيْئًا نَفَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَالْعُلَمَاءُ لَا يُطْلِقُونَ هَذِهِ اللَّفْظَةَ وَإِنْ غَلَطَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي مَعْنَى آيَةٍ مِنْ

كِتَابِ اللَّهِ، أَوْ خَالَفَ سُنَّةً أَوْ سُنَنًا مِنْ سُنَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ تَبْلُغِ الْمَرْءَ تِلْكَ السُّنَنُ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ عَلَى اللَّهِ مَنْ يُثْبِتُ شَيْئًا لَمْ يَنْفِهِ كِتَابٌ وَلَا سُنَّةٌ ، فَتَفَهَّمُوا هَذَا لَا تُغَالِطُوا.

[ر/٤٠٧-ح/١٩١-ش(٢/٥٦٣)-ز/(١/٤٥٣)-ي/٣٣٠]

بَابُ ذِكْرِ إِثْبَاتِ ضَحِكِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ بِلَا صِفَةٍ تَصِفُ ضَحِكَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ.

لَا، وَلَا يُشَبَّهُ ضَحِكُهُ بِضَحِكِ الْمَخْلُوقِينَ، وَضَحِكُهُمْ كَذَلِكَ، بَلْ نُؤْمِنُ بِأَنَّهُ يَضْحَكُ كَمَا أَعْلَمَ النَّبِيُّ ﷺ، وَنَسْكُتُ عَنْ صِفَةِ ضَحِكِهِ جَلَّ وَعَلَا، إِذِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اسْتَأْثَرَ بِصِفَةِ ضَحِكِهِ، فَلَمْ يُطْلِعْنَا عَلَى ذَلِكَ ، فَنَحْنُ قَائِلُونَ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، مُصَدِّقُونَ بِذَلِكَ بِقُلُوبِنَا مُنْصِتُونَ عَمَّا لَمْ يُبَيِّنْ لَنَا ، مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ.(١)

---

(١) صفة الضحك صفة فعلية ثابتة بالسنة الصحيحة، ولم يخالف فيها إلا المعطلة الجهمية ومن شابهها من سائر الفرق.

قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (الشريعة:١/٧٢٨): باب الإيمان بأن الله عز وجل يضحك: اعلموا وفقنا الله وإياكم للرشاد من القول والعمل: أن أهل الحق يصفون الله عز وجل بما وصف به نفسه عز وجل، وبما وصفه به رسوله ﷺ، وبما وصفه به الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع، ولا يقال فيه: كيف؟ بل التسليم له، والإيمان به أن الله عز وجل يضحك، كذا روي عن النبي =

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**إِنَّ آخِرَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لِرَجُلٍ يَمْشِي عَلَى الصِّرَاطِ، فَيَنْكَبُّ مَرَّةً، وَيَمْشِي مَرَّةً**" فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ.

وَقَالَا فِي آخِرِ الْخَبَرِ: "**فَيَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَا يَصرِنِي مِنْكَ، أَيْ عَبْدِي، أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ مِنَ الْجَنَّةِ مِثْلَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ فَيَقُولُ: أَتَهْزَأُ بِي، وَأَنْتَ رَبُّ الْعِزَّةِ**".

=

ﷺ، وعن صحابته، ولا ينكر هذا إلا من لا يحمد حاله عند أهل الحق، وسنذكر منه ما حضرنا ذكره، والله الموفق للصواب، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكذلك في الأحاديث المستفيضة الصحيحة المتلقاة بالقبول، كقوله ﷺ ...وذكر عدة أحاديث في الصفات، كالقول، والغضب والكلام، والمشيئة، والمجيء، والفرح، ثم قال: وقوله: "**يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ ...**". (درء التعارض:٢/١٢٦).

وقال أبو يعلي الفراء رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكر جملة من أحاديث صفة الضحك: واعلم أنه غير ممتنع حملُ هذه الأحاديث على ظاهرها من غير تأويل، وقد نص أحمد على ذلك في رواية الجماعة. (إبطال التأويلات:١/٢١٧).

قَالَ: ضَحِكَ عَبْدُ اللَّهِ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي لِمَ ضَحِكْتُ؟ قَالُوا: لِمَ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: لِضَحِكِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**أَلَا تَسْأَلُونِي لِمَ ضَحِكْتُ ؟**" قَالُوا: لِمَ ضَحِكْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: "**لِضَحِكِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حِينَ قَالَ: أَتَهْزَأُ بِي وَأَنْتَ رَبُّ الْعِزَّةِ**".(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَضْحَكُ إِلَى رَجُلَيْنِ قَتَلَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، كِلَاهُمَا دَاخِلُ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُسْتَشْهَدُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى قَاتِلِهِ، فَيُسْلِمُ، فَيُقَاتِلُ فِي اللَّهِ فَيُسْتَشْهَدُ**".(٢)

عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: أَرْدَفَنِي عَلِيٌّ رِضْوَانُ اللَّهُ عَلَيْهِ خَلْفَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى ظَهْرِ الْكُوفَةِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَاغْفِرْ لِي، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَضَحِكَ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُنِي

---

(١) **صحيح**: مسلم (١٨٧).

(٢) **متفق عليه**: البخاري (٢٨٢٦)، مسلم (١٨٩٠).

مِمَّ ضَحِكْتُ؟ قَالَ: قُلْتُ مِمَّ ضَحِكْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ، ثُمَّ خَرَجَ بِي إِلَى حَرَّةِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: "**لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاغْفِرْ لِي**"، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَضَحِكَ، فَقَالَ: "**أَلَا تَسْأَلُنِي مِمَّ ضَحِكْتُ؟**" قَالَ: قُلْتُ مِمَّ ضَحِكْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "**ضَحِكْتُ مِنْ ضَحِكِ رَبِّي، وَتَعَجُّبِهِ مِنْ عَبْدِهِ أَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرُهُ**".(١)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى صَاحِبِ الْبَحْرِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، حِينَ يَرْكَبُهُ وَيَتَخَلَّى مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، وَحِينَ يَمِيدُ، وَحِينَ يَرَى إِلَى إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا.(٢)

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَدْ كُنْتُ أُعْلِمْتُ قَبْلَ هَذَا الْبَابِ: أَنَّ الْعُلَمَاءَ لَمْ يَخْتَلِفُوا أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ خَالِقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَلَّ رَبُّنَا وَعَزَّ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ يَرَى خَالِقَهُ جَلَّ وَعَزَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا هَلْ رَأَى النَّبِيُّ

---

(١) **صحيح**: الترمذي (٣٤٤٦) وصححه الألباني.

(٢) **صحيح موقوف**.

ﷺ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ نُزُولِ الْمَنِيَّةِ بِالنَّبِيِّ ﷺ؟

وَأَعْطَانِي بَعْضُ أَصْحَابِي كِتَابًا مُنْذُ أَيَّامٍ مَنْسُوبًا إِلَى بَعْضِ الْجَهْمِيَّةِ رَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ هُبَيْرَةَ بْنِ يَرِيمَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يُرَى جَهْرَةً فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ مُوسَى سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَرَاهُ جَهْرَةً فَقَدْ أَشْرَكَ.

وَاحْتَجَّ الْجَهْمِيُّ بِهَذَا الْخَبَرِ، ادَّعَى: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُرَى، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يَرَى رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا الْمُؤْمِنُونَ، وَهَذَا الْخَبَرُ كَذِبٌ مَوْضُوعٌ، بَاطِلٌ، وَضَعَهُ بَعْضُ الْجَهْمِيَّةِ.

وَعِنْدَنَا بِحَمْدِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ خَبَر بِإِسْنَادَيْنِ مُتَّصِلَيْنِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، خِلَافَ هَذَا الْخَبَرِ الْمَوْضُوعِ.

فِي خَبَرِ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: "**يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَمْ تَرْضَوْا مِنْ رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَصَوَّرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ أَنْ يُوَلِّيَ كُلَّ إِنْسَانٍ مَا كَانَ يَعْبُدُ فِي الدُّنْيَا، وَيَتَوَلَّى؟ أَلَيْسَ ذَلِكَ عَدْلٌ مِنْ رَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَلْيَنْطَلِقْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ إِلَى مَا كَانَ يَتَوَلَّى فِي الدُّنْيَا، قَالَ: يُمَثَّلُ لَهُمْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الدُّنْيَا،**

قَالَ: يُمَثَّلُ لِمَنْ كَانَ يَعْبُدُ عِيسَى شَيْطَانُ عِيسَى، وَيُمَثَّلُ لِمَنْ كَانَ يَعْبُدُ عُزَيْرًا شَيْطَانُ عُزَيْرٍ، حَتَّى يُمَثَّلَ لَهُمُ الشَّجَرَةُ وَالْعَوْدُ، وَالْحَجَرُ وَيَبْقَى أَهْلُ الْإِسْلَامِ جُثُومًا، فَيَقُولُ لَهُمْ: مَا لَكُمْ لَا تَنْطَلِقُونَ كَمَا انْطَلَقَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: إِنَّ لَنَا رَبًّا مَا رَأَيْنَاهُ بَعْدُ، قَالَ فَيَقُولُ: بِمَ تَعْرِفُونَ رَبَّكُمْ إِنْ رَأَيْتُمُوهُ؟ قَالُوا: بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ عَلَامَةٌ، إِنْ رَأَيْنَاهُ عَرَفْنَاهُ، قَالَ وَمَا هِيَ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، قَالَ: فَيَخِرُّ كُلُّ مَنْ كَانَ لِظَهْرِهِ طَبَّقَ سَاجِدًا، وَيَبْقَى قَوْمٌ ظُهُورُهُمْ كَصَيَاصِي الْبَقَرِ". الْحَدِيثَ بِطُولِهِ.

وَفِي الْخَبَرِ: أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ مِرَارًا فَلَمَّا بَلَغَ هَذَا الْمَكَانَ مِنَ الْحَدِيثِ مَا ذَكَرَ مَوْضِعًا مِنَ الْحَدِيثِ إِلَّا ضَحِكَ.

وَفِي خَبَرِ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، عَنْ أَبِي الزَّعْرَاءِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فِي الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ قَالَ: "**ثُمَّ يَتَمَثَّلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْخَلْقِ ، فَيَقُولُ: مَنْ تَعْبُدُونَ؟**" وَذَكَرَ بَعْضَ الْحَدِيثِ، وَقَالَ: "**حَتَّى يَبْقَى الْمُسْلِمُونَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعْبُدُ اللَّهَ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ رَبَّكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: سُبْحَانَهُ إِذَا اعْتَرَفَ لَنَا عَرَفْنَاهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَلَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ وَلَا مُؤْمِنَةٌ إِلَّا خَرَّ لِلَّهِ سَاجِدًا**".

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَهَذَا الْخَبَرُ، وَخَبَرُ مَسْرُوقٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، يُصَرِّحَانِ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يُقِرَّ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَرَوْنَ خَالِقَهُمْ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذَا كَشَفَ عَنْ سَاقٍ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَخِرُّونَ لِلَّهِ سُجَّدًا، إِذَا رَأَوْهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَكَيْفَ يَكْفُرُ مَنْ يَقُولُ بِمَا هُوَ عِنْدَهُ حَقٌّ وَصُدْقٌ وَعَدْلٌ، وَلَوْ ثَبَتَ هَذَا الْخَبَرُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ لَكَانَ لِلْخَبَرِ عِنْدَنَا مَعْنًى صَحِيحًا لَا كَمَا تَوَهَّمَهُ الْجَهْمِيُّ، عَلَيْهِ لَعَائِنُ اللَّهِ.

نَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يُرَى جَهْرَةً فِي الدُّنْيَا؛ فَقَدْ كَذَبَ، وَافْتَرَى؛ لِأَنَّ مَا يُرَى جَهْرَةً يَرَاهُ كُلُّ بَصِيرٍ، لَا حِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَإِنَّمَا سَأَلَ قَوْمُ مُوسَى مُوسَى، أَنْ يُرِيَهُمُ اللَّهَ جَهْرَةً، فَأَمَّا مُوسَى فَإِنَّمَا سَأَلَ عَلَى لَفْظِ الْكِتَابِ: ﴿**قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي**﴾[1] وَلَمْ يَقُلْ: أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ جَهْرَةً؛ لِأَنَّ الرُّؤْيَةَ جَهْرَةً هِيَ الرُّؤْيَةُ الَّتِي يَرَاهُ كُلُّ مَنْ كَانَ بَصَرُهُ مِثْلَ بَصَرِ النَّاظِرِ إِلَى الشَّيْءِ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَحْتَجِبُ عَنْ أَبْصَارِ أَهْلِ الدُّنْيَا، فِي الدُّنْيَا، لَا يَرَى أَحَدٌ رَبَّهُ فِي الدُّنْيَا جَهْرَةً.

---

(١) الأعراف/١٤٣

وَقَدْ أَعْلَمْنَا قَبْلُ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾[1]، وَأَنَّهُ جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ مَخْصُوصًا بِرُؤْيَةِ خَالِقِهِ، وَهُوَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، لَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَبَّهُ وَهُوَ فِي الدُّنْيَا.

وَقَدْ أَعْلَمْتُ قَبْلُ أَنَّ الْعُلَمَاءَ لَمْ يَخْتَلِفُوا أَنَّ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ خَالِقَهُمْ فِي الْآخِرَةِ لَا فِي الدُّنْيَا، وَمَنْ أَنْكَرَ رُؤْيَةَ الْمُؤْمِنِينَ خَالِقَهُمْ يَوْمَ الْمَعَادِ؛ فَلَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ هُمْ أَسْوَأُ حَالًا فِي الدُّنْيَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى، وَالْمَجُوسِ، كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: نَحْنُ نَحْكِي كَلَامَ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى، وَلَا نَقْدِرُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْجَهْمِيَّةِ.

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**إِنَّكُمْ تُعَايِنُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا**".[2]

---

(١) الأنعام/١٠٣

(٢) **صحيح**: البخاري (٧٤٣٥).

[ر/٤٢٥- ح/١٩٨- ش(٢/٥٨٨)- ز/(٢/٤٧٣)- ي/٣٤٤]

بَابُ ذِكْرِ أَبْوَابِ شَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

الَّتِي قَدْ خُصَّ بِهَا دُونَ الْأَنْبِيَاءِ سِوَاهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لِأُمَّتِهِ، وَشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَشَفَاعَةِ بَعْضِ أُمَّتِهِ لِبَعْضِ أُمَّتِهِ، مِمَّنْ قَدْ أَوْبَقَتْهُمْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبُهُمْ فَأُدْخِلُوا النَّارَ، لِيَخْرُجُوا مِنْهَا، بَعْدَ مَا قَدْ عُذِّبُوا فِيهَا، بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ وَخَطَايَاهُمُ الَّتِي لَا يَغْفِرُهَا لَهُمْ، وَلَمْ يَتَجَاوَزْ لَهُمْ عَنْهَا، بِفَضْلِهِ وَجُودِهِ، بِاللَّهِ نَتَعَوَّذُ مِنَ النَّارِ. (١)

---

(١) ذكر الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أبواب الشفاعة بعد ذكره أبواب الصفات، وإنما أراد الإمام أن يرد على المبتدعة، كالجهمية في باب الصفات، والمعتزلة في الشفاعة، والخوارج والمرجئة في الإيمان والكفر.

وقد ذكر الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يقرب من ستة عشر بابًا في الشفاعة، يأتي بالحديث الواحد ويستخرج منه فوائد شتى، وهو رَحِمَهُ ٱللَّهُ فارس هذا الميدان، ولكنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يستوعب كل مسائل الشفاعة، ولذا سألخص مسائل الشفاعة، حتى تتم الفائدة، =

=

فأقول مستعينًا بالله:

١- الشفاعة في اللغة:

اسم مصدر شَفَعَ يَشْفَعُ شَفَاعَةً، و الشين والفاء والعين أصلٌ صحيح يدل على مقارنة الشيئين...ومن ذلك ناقة شَفُوُعٌ، وهي التي تجمع بين محلبين في حلبة واحدة. (مقاييس اللغة لابن فارس:٣/٢٠١).

٢- الشفاعة في الشرع:

- هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم. (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير:٢/٤٨٥)، أو هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة. (شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين/٤٠٦).

دليل الشفاعة من الكتاب والسنة:

قال الله تعالى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**﴾ (البقرة/٢٥٥).

وقال رسول الله ﷺ: "**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**".

وقال ﷺ: "**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا ، وَلْيَقْضِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ**".

=

=

٣- أقسام الشفاعة:

تنقسم الشفاعة إلى قسمن:

القسم الأول: الشفاعة في الدنيا.

وهي جائزة في الخير، وغير جائزة في الشر، وقد سبق ذكر حديث: "**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَلْيَقْضِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ**" ومعلومٌ أن الأجر لا يترتب إلا على الحسن الجائز من الأفعال.

القسم الثاني: الشفاعة في الآخرة، وهي المعنية هنا في الكتاب.

وتنقسم الشفاعة في الآخرة إلى قسمين:

القسم الأول: شفاعة ثابتة، وهي التي توفرت فيها شروط الشفاعة.

القسم الثاني: شفاعة منفية، وهي التي لم تتوفر فيها شروط الشفاعة.

٤- شروط الشفاعة :

الشرط الأول: إذنُ اللهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ للشافع أن يشفع، قال تعالى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**﴾ (البقرة/٢٥٥).

الشرط الثاني: رضى الله عن المشفوع له، قال تعالى: ﴿**وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى**﴾

=

=

(الأنبياء/٢٨).

الشرط الثالث: إسلام الشافع: قال تعالى: ﴿**وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ (الزخرف/٨٦).

٥- أركان الشفاعة:

الركن الأول: الشافع، وهو من يقوم بالشفاعة.

الركن الثاني: مشفوع له، وهو من يُطلب له جلب النفع أو دفع الضر.

الركن الثالث: مشفوع فيه، وهو الشيء المطلوب، والمنتفع به.

الركن الرابع: مشفوع إليه، وهو من يقوم بقبول الشفاعة، أو ردها.

الركن الخامس: الشفاعة، وهي فعل الشافع إلى المشفوع إليه.

٦- أنواع الشفاعة:

النوع الأول: شفاعة النبي محمد ﷺ.

النوع الثاني: شفاعة غير النبي محمد ﷺ.

النوع الأول: شفاعة النبي ﷺ، وهي عدة شفاعات:

١- الشفاعة العظمي، وهذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ دون غيره من الخلق، وهي

=

=

المقام المحمود، وينتفع بهذه الشفاعة كل الخلق حتى الأنبياء صلوات الله عليهم، قال تعالى: ﴿**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً**﴾ (الإسراء/٧٩).

٢- الشفاعة في استفتاح باب الجنة، قال رسول الله ﷺ: "**أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ** ". (مسلم/١٩٦).

٣- الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، وهي شفاعة خاصة بالنبي ﷺ لعمه أبي طالب، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه سمع رسول الله ﷺ، وذكر عنده عمه أبو طالب، فقال: "**عَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ**". (البخاري/٦٥٦٤).

٤- الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة، قال رسول الله ﷺ: "**اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ**". (مسلم/٩٢٠).

٥- الشفاعة في دخول الجنة بلا حساب، قال رسول الله ﷺ: "**يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هِيَ سَبْعُونَ أَلْفًا، تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ** ، فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة عليه، قال: ادع الله لي يا رسول الله أن يجعلني منهم، فقال: "**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ**". (البخاري/٥٨١١).

٦- الشفاعة في أهل الكبائر، قال رسول الله ﷺ: "**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ**

=

=

أُمَّتِي". (أبو داود/٤٧٣٩) وصححه الألباني.

النوع الثاني: شفاعة غير النبي ﷺ:

١- شفاعة الأنبياء والرسل، قال رسول الله ﷺ: "**فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ**". (مسلم/١٨٣).

٢- شفاعة الملائكة، قال تعالى: ﴿**وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى**﴾ (النجم:٢٦)

٣- شفاعة المؤمنين، قال رسول الله ﷺ: "**حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ**". (مسلم/١٨٣).

٤- شفاعة الشهداء، قال رسول الله ﷺ: "**لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ**". (الترمذي/١٦٦٣).

٥- شفاعة أولاد المؤمنين الذين لم يبلغوا الحنث، قال رسول الله ﷺ: "**مَا مِنَ**

=

=

النَّاسِ مِنْ مُسْلِمٍ يُتَوَفَّى لَهُ ثَلاثٌ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ". (البخاري/١٢٤٨).

٦- شفاعة القرآن، قال رسول الله ﷺ: "**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ**". (مسلم/٨٠٤).

٧- شفاعة الصيام، قال رسول الله ﷺ: "**الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**". (صحيح الجامع/٣٨٨٢).

المخالفون في الشفاعة :

١- المعتزلة والخوارج، لأنهم يرون أن من دخل النار لا يخرج منها أبدًا.

٢- القبوريون، غالوا في الشفاعة حتى أثبتوها لكل أحد يظنونه من الأولياء.

[ر/٤٢٦- ح/١٩٩- ش(٢/٥٨٩)- ز/(٢/٤٧٤)- ي/٣٤٥]

بَابُ ذِكْرِ الشَّفَاعَةِ الَّتِي خَصَّ اللَّهُ بِهَا النَّبِيَّ ﷺ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَدُونَ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَهِيَ الشَّفَاعَةُ الْأُولَى الَّتِي يَشْفَعُ بِهَا لِأُمَّتِهِ، لِيُخَلِّصَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْمَوْقِفِ الَّذِي قَدْ جُمِعُوا فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْأُولَى، وَقَدْ دَنَتِ الشَّمْسُ مِنْهُمْ، فَآذَتْهُمْ وَأَصَابَهُمْ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَلَا يَحْتَمِلُونَ.

وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ هِيَ سِوَى الشَّفَاعَةِ الَّتِي يَشْفَعُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدُ لِإِخْرَاجِ مَنْ قَدْ أُدْخِلَ النَّارَ مِنْ أُمَّتِهِ بِمَا قَدِ ارْتَكَبُوا مِنَ الذُّنُوبِ، وَالْخَطَايَا فِي الدُّنْيَا الَّتِي لَمْ يَشَأْ اللَّهَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهَا وَيَغْفِرَهَا لَهُمْ ، تَفَضُّلًا وَكَرَمًا وَجُودًا، وَمَا ذُكِرَ مِنْ خُصُوصِيَّةِ اللَّهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ الشَّفَاعَةِ دَاخِلٌ فِي هَذَا الْبَابِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِلَحْمٍ، فَدُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَ يُعْجِبُهُ، فَنَهَشَ مِنْهُ نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: **"أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهَلْ تَدْرُونَ لِمَ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ،**

فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيُنْفِذُهُمُ الْبَصَرَ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْكَرْبِ وَالْغَمِّ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَبُوكُمْ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ، فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ:يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ، وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ

كَذِبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا، لَمْ أُؤْمَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونِي، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ رَبِّ: أُمَّتِي، أُمَّتِي، أُمَّتِي، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلِ

الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ" قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ : إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى".[1]

(١) **متفق عليه**: البخاري (٣٣٤٠)، مسلم (١٩٤).

[ر/٤٢٩- ح/٢٠١- ش(٢/٥٩٦)- ز/(٢/٤٨٠)- ي/٣٤٨]

بَابُ ذِكْرِ الدَّلِيلِ أَنَّ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ الَّتِي وَصَفْنَا أَنَّهَا أَوَّلُ الشَّفَاعَاتِ هِيَ الَّتِي يَشْفَعُ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ لِيَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنَ الْخَلْقِ فَعِنْدَهَا يَأْمُرُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ فَهُوَ أَوَّلُ النَّاسِ دُخُولًا الْجَنَّةَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ"**، وَقَالَ: **"إِنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو، حَتَّى يَبْلُغَ الْعَرَقُ نِصْفَ الْأُذُنِ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، ثُمَّ بِمُوسَى فَيَقُولُ: كَذَلِكَ، ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَشْفَعُ لِيَقْضِيَ بَيْنَ الْخَلْقِ، فَيَمْشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ الْجَنَّةِ، فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ اللَّهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَحْمَدُهُ أَهْلُ الْجَمْعِ كُلُّهُمْ"**.(١)

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (١٤٧٤)، مسلم (١٠٤٠).

[ر/٤٣٢-ح/٢٠٢-ش(٢/ ٦٠٠)- ز/(٢/ ٤٨٤)- ي/ ٣٥٠]

بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ أَنَّ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ الَّتِي ذَكَرْتُ أَنَّهَا أَوَّلُ الشَّفَاعَاتِ إِنَّمَا هِيَ قَبْلَ مُرُورِ النَّاسِ عَلَى الصِّرَاطِ حِينَ تُزْلَفُ الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حِينَ تُزْلَفُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ؟ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءِ وَرَاءِ اعْمِدُوا إِلَى ابْنِي مُوسَى، الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ اذْهَبُوا إِلَى كَلِمَةِ اللَّهِ وَرُوحِهِ عِيسَى، قَالَ: فَيَقُولُ عِيسَى: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ مَعَهُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَيَقِفَانِ عَلَى الصِّرَاطِ، يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَمَرِّ الْبَرْقِ**"، قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي: أَيُّ شَيْءٍ مَرُّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: "**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ، ثُمَّ يَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، كَمَرِّ الرِّيحِ، وَمَرِّ الطُّيُورِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ، يَقُولُ رَبِّ سَلِّمْ، سَلِّمْ**" قَالَ: "**حَتَّى تَعْجِزَ**

أَعْمَالُ النَّاسِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمُرَّ إِلَّا زَحْفًا، قَالَ: وَفِي حَافتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ تَأْخُذُ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ"، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعِينَ خَرِيفًا. (١)

(١) **صحيح**: مسلم (١٩٥).

[ر/٤٣٤-ح/٢٠٣-ش(٦٠٢/٢)-ز/(٤٨٦/٢)-ي/٣٥٢]

بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ أَنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَفَاعَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ وَاحِدَةٌ بَعْدَ أُخْرَى.

أَوَّلُهَا: مَا ذُكِرَ فِي خَبَرِ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَخَبَرِ ابْنِ عُمَرَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَهِيَ شَفَاعَتُهُ لِأُمَّتِهِ لِيُخْلَصُوا مِنْ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ، وَلْيُعَجِّلَ اللَّهُ حِسَابَهُمْ وَيَقْضِي بَيْنَهُمْ.

ثُمَّ مَا بَعْدَهَا مِنَ الشَّفَاعَاتِ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ، إِنَّمَا هِيَ لِإِخْرَاجِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَتِهِ فِرْقَةً بَعْدَ أُخْرَى، وَعَوْدًا بَعْدَ بَدْءٍ.

وَنَذْكُرُ خَبَرًا مُخْتَصَرًا، حُذِفَ مِنْهُ أَوَّلُ الْمَتْنِ، كَمَا حُذِفَ فِي خَبَرِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَابْنِ عُمَرَ آخِرَ الْمَتْنِ، وَاخْتُصِرَ الْحَدِيثُ اخْتِصَارًا.

فَأَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ رُبَّمَا اخْتَصَرُوا أَخْبَارَ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا حَدَّثُوا بِهَا، وَرُبَّمَا اقْتَصُّوا الْحَدِيثَ بِتَمَامِهِ، وَرُبَّمَا كَانَ اخْتِصَارٌ بَعْضِ الْأَخْبَارِ، أَوْ بَعْضِ السَّامِعِينَ يَحْفَظُ بَعْضَ الْخَبَرِ وَلَا يَحْفَظُ جَمِيعَ الْخَبَرِ، وَرُبَّمَا نَسِيَ بَعْدَ الْحِفْظِ بَعْضَ الْمَتْنِ، فَإِذَا جُمِعَتِ الْأَخْبَارُ كُلُّهَا، عُلِمَ حِينَئِذٍ جَمِيعُ الْمَتْنِ وَاسْتُدِلَّ

بِبَعْضِ الْمَتْنِ عَلَى بَعْضٍ، كَذِكْرِنَا أَخْبَارَ النَّبِيِّ ﷺ فِي كُتُبِنَا، نَذْكُرُ الْمُخْتَصَرَ مِنْهَا، وَالْمُتَقَصّي مِنْهَا، وَالْمُجْمَلُ وَالْمُفَسَّرُ، فَمَنْ لَمْ يَفْهَمْ هَذَا الْبَابَ لَمْ يَحِلَّ لَهُ تَعَاطِي عِلْمِ الْأَخْبَارِ وَلَا ادِّعَاؤُهَا.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**يُجْمَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوهَمُونَ لِذَلِكَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: أَلَا نَأْتِي مَنْ يَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، قَالَ: فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: لَسْتَ هُنَاكَ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا، أَوَّلَ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى الْعَالَمِينَ فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: انْطَلِقْ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَبْدًا اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلًا، قَالَ: فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: انْطَلِقْ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ قَالَ: فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا، قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ: انْطَلِقْ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ، وَعَبْدَهُ وَرَسُولَهُ فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: انْطَلِقْ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَا يَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ، عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ**

مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: فَيَأْتُونِي، فَأَقُومُ، فَآخُذُ بِحَلْقَةِ الْبَابِ، فَأَسْتَأْذِنُ، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، قَالَ: فَيَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، قَالَ: فَيُخْرِجُ لِي حَدًّا مِنَ النَّارِ، ثُمَّ أَقَعُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ لِي: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ تُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، قَالَ: فَيُخْرِجُ لِي حَدٌّ مِنَ النَّارِ، حَتَّى أَقُولَ: يَا رَبِّ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ".[1]

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً، قَدْ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**".[2]

عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**فَيَأْتِي الْمُؤْمِنُونَ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: أَسْجَدَ اللَّهُ لَكَ الْمَلَائِكَةَ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى اللَّهِ فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، فَائْتُوا نُوحًا، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُ: لَسْتَ هُنَاكَ، فِيمَا يَزَالُونَ حَتَّى يُؤْمَرُوا إِلَى خَلِيلِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتَ**

(١) **متفق عليه**: البخاري (٦٥٦٥)، مسلم (١٩٣).

(٢) **متفق عليه**: البخاري (٦٣٠٥)، مسلم (٢٠٠).

هُنَاكَ، فَائْتُوا عِيسَى، فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكَ، فَائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ، فَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ"، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "فَيَأْتُونِي فَآتِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي دَارِهِ، فَأَسْتَأْذِنُ، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّيَ، فَإِذَا نَظَرْتُ رَبِّي خَرَرْتُ لَهُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي، مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، فَيُقَالُ أَوْ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، قُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ يُعَلِّمُنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأَخْرجُ فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّيَ خَرَرْتُ لَهُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، فَيَقُولُ أَوْ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ يُعَلِّمُنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأَخْرجُ فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي الثَّالِثَةَ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّيَ خَرَرْتُ لَهُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ أَوْ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، قُلْ يُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ يُعَلِّمُنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُخْرِجُهُمْ فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، حَتَّى أَقُولَ لِرَبِّي: مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ".(١)

---

(١) **صحيح**: البخاري (٧٤٤٠).

عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَهْتَمُّونَ بِذَلِكَ، أَوْ يُلْهَمُونَ بِهِ فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ فَأَرَاحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ، حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ ذَنْبَهُ الَّذِي أَصَابَهُ، فَيَسْتَحِي مِنْ رَبِّهِ مِنْ ذَلِكَ، وَيَقُولُ: وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ سُؤَالَاتَهُ رَبَّهُ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ، فَيَسْتَحِي رَبَّهُ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى، عَبْدًا كَلَّمَهُ اللَّهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ قَتْلَهُ لِلنَّفْسِ بِغَيْرِ نَفْسٍ، فَيَسْتَحِي رَبَّهُ مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَكَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحَهُ، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي، فَأَنْطَلِقُ**".

قَالَ الْحَسَنُ: "**فَأَمْشِي بَيْنَ سِمَاطَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**".

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ: "**فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ قُلْ**

يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ فَأُشَفَّعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الثَّانِيَةَ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، قُلْ يُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أُشَفَّعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فِي الثَّالِثَةِ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، قُلْ يُسْمَعْ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أُشَفَّعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ آتِيهِ الرَّابِعَةَ أَوْ أَعُودُ الرَّابِعَةَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مَا بَقِيَ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ".(١)

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَوْلُهُ فِي هَذَا الْخَبَرِ، أَعْنِي: خَبَرَ شُعْبَةَ فِي أَوَّلِ ذِكْرِ الشَّفَاعَةِ: "**فَيُخْرِجُ لِي حَدًّا مِنَ النَّارِ**" دَالٌّ عَلَى أَنَّ الشَّفَاعَةَ لَيْسَتِ الشَّفَاعَةَ الْأُولَى، الَّتِي فِي خَبَرِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِيَخْلُصُوا مِنْ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الَّذِي ذُكِرَ فِي خَبَرِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ سَأَلَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَ الْخَلْقِ.

---

(١) **صحيح**: البخاري (٤٤٧٦).

وَفِي خَبَرِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ سَأَلَ أَنْ يُعَجَّلَ حِسَابُهُمُ ابْتِدَاءً، وَهُوَ الْقَضَاءُ بَيْنَهُمْ، فَمَنْ ذَكَرَ أَنَّهُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مِمَّنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ، الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ فِي خَبَرِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَهُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ، وَأَعْلَمُ فِي خَبَرِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ يُشَفَّعُ كَذَلِكَ، وَلَا يَزَالُ يُشَفَّعُ، كَمَا ذُكِرَ فِي الْخَبَرِ.

و "**لَا يَزَالُ**" عِنْدَ الْعَرَبِ لَا يَكُونُ إِلَّا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَثَالِثَةً بَعْدَ ثَانِيَةٍ.

وَفِي خَبَرِ الْحَسَنِ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: "**مَا زِلْتُ أُشَفَّعُ**"، خَرَّجْتُهُ بَعْدُ فِي بَابٍ آخَرَ.

وَقَوْلُهُ فِي خَبَرِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ: "**فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ**" فِي الِابْتِدَاءِ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ مَنْ ذَكَرَهُمْ فِي خَبَرِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِينَ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِمَّنْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ مَنْ ذَكَرَهُمْ فِي رِوَايَةِ شُعْبَةَ مِمَّنْ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَإِنْ كَانَ أَرَادَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ فِي خَبَرِ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَخَبَرُ سَعِيدٍ مُنَاقِضٌ لِأَوَّلِ الْحَدِيثِ وَآخِرِهِ كَخَبَرِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَإِنْ كَانَ أَرَادَ مَنْ ذَكَرَهُمْ فِي خَبَرِ شُعْبَةَ مِمَّنْ يُخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَخَبَرُ سَعِيدٍ أَيْضًا مُخْتَصَرٌ كَرِوَايَةِ شُعْبَةَ.

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**إِذَا اجْتَمَعَ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**" فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ إِلَى قَوْلِهِ: "**فَآتِيهِ الرَّابِعَةَ فَأَقُولُ: يَا رَبُّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ**"، قَالَ قَتَادَةُ: أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ.

قَالَ قَتَادَةُ: وَثنا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "**فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً**"، قَالَ قَتَادَةُ: وَأَهْلُ الْعِلْمِ يَرَوْنَ أَنَّ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾(١)، قَالَ: الشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَهَذَا الْخَبَرُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَشْفَعُ مَرَّاتٍ، وَلِهَذَا الْفَصْلِ بَابٌ طَوِيلٌ سَيَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، إِنِ اللَّهُ وَفَّقَ لِذَلِكَ وَشَاءَهُ.

عَنْ ثَابِت عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "**يَطُولُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَلَى النَّاسِ فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ، فَيَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّهِ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ: أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ**

---

(١) الإسراء/٧٩

وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا، فَإِنَّهُ رَأْسُ النَّبِيِّينَ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، لِيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى، الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ، قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، أَرَأَيْتُمْ لَوْ كَانَ مَتَاعًا فِي وِعَاءٍ قَدْ خُتِمَ عَلَيْهِ، كَانَ يَقْدِرُ عَلَى مَا فِي الْوِعَاءِ حَتَّى يُفَضَّ الْخَتْمُ، قَالَ: قَالَ مُحَمَّدٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ: قَدْ حَضَرَ الْيَوْمَ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ"، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى، قَالَ: فَآتِي بَابَ الْجَنَّةِ، فَأَقْرَعُ الْبَابَ: فَيُقَالُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيُفْتَحُ لِي، فَآتِي رَبِّي وَهُوَ عَلَى سَرِيرِهِ أَوْ عَلَى كُرْسِيِّهِ، فَأَخِرُّ سَاجِدًا، فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ، لَمْ يَحْمَدْهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ قَبْلِي، وَلَا يَحْمَدُهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ بَعْدِي، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ

رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبُّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فيُقَالُ: أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، قَالَ: فَأُخْرِجُهُمْ ثُمَّ أَعُودُ فَأَسْجُدُ، فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَمْ يَحْمَدْهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ قَبْلِي، وَلَا يَحْمَدُهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ بَعْدِي، فيَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّي، أُمَّتِي أُمَّتِي، فيَقُولُ: أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ بُرَّةٍ، فَأُخْرِجُهُمْ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَمْ يَحْمَدْهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ قَبْلِي وَلَا يَحْمَدُهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ بَعْدِي، فيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فيَقُولُ: أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، فَأُخْرِجُهُمْ".(١)

عَنْ النَّضْرِ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "**إِنِّي لَقَائِمٌ أَنْتَظِرُ أُمَّتِي يَعْبُرُونَ الصِّرَاطَ، إِذْ جَاءَنِي عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَذِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَدْ جَاءَتْكَ يَسْأَلُونَكَ أَنْ يَجْتَمِعُوا إِلَيْكَ، فَتَدْعُوَ اللَّهَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ جَمْعِ الْأُمَمِ إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ لِغَمِّ مَا هُمْ فِيهِ، فَالْخَلْقُ مُلْجَمُونَ فِي الْعَرَقِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ**

(١) **صحيح**: أحمد في المسند (٢١/٢١٢/ح١٣٥٩٠).

فَهُوَ عَلَيْهِ كَالزَّكْمَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَتَغَشَّاهُ الْمَوْتُ، قَالَ: انْتَظِرْ حَتَّى أَرْجِعُ إِلَيْكَ فَذَهَبَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَقَامَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَلَقِيَ مَا لَمْ يَلْقَ مَلَكٌ مُصْطَفًى، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى جِبْرِيلَ أَنِ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ لَهُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَشُفِّعْتُ فِي أُمَّتِي إِلَى أَنْ أُخْرِجَ مِنْ كُلِّ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ إِنْسَانًا وَاحِدًا، قَالَ: فَمَا زِلْتُ أَتَرَدَّدُ عَلَى رَبِّي فَلَا أَقُومُ مَقَامًا إِلَّا شُفِّعْتُ، حَتَّى أَعْطَانِي مِنْ ذَلِكَ أَنْ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ مَنْ شَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ ".(١)

---

(١) **صحيح**: صحيح الترغيب (٣٦٣٩).

[ر/٤٤٧- ح/٢٠٩- ش(٦١٨/٢)- ز/(٥٠٥/٢)- ي/٣٦٢]

بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَفِيهِ دَلَالَةٌ أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَدْ يَشْفَعُ بَعْدَ نَبِيِّنَا غَيْرُهُ، عَلَى مَا سَأُبَيِّنُهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، إِذْ غَيْرُ جَائِزٍ فِي اللُّغَةِ أَنْ يُقَالَ: أَوَّلُ لِمَا لَا ثَانِيَ لَهُ بَعْدُ وَلَا ثَالِثٌ.

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ"**(١).

وَقَالَ: **"مَا صَدَقَ نَبِيٌّ مَا صَدَقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ لَمْ يُصَدِّقْهُ مِنْ أُمَّتِهِ، إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ"**.(٢)

---

(١) **صحيح**: مسلم (١٩٦)

(٢) **صحيح**: صحيح ابن حبان (٦٢٣٤) وصححه الألباني.

[ر/٤٥٠- ح/٢١٠- ش(٦٢٢/٢)- ز/(٥٠٩/٢)- ي/٣٦٤]

بَابُ ذِكْرِ شِدَّةِ شَفَقَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِأُمَّتِهِ.

وَفَضْلِ شَفَقَتِهِ عَلَى أُمَّتِهِ، عَلَى شَفَقَةِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ عَلَى أُمَمِهِمْ، إِذِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْطَى كُلَّ نَبِيٍّ دَعْوَةً وَعَدَ إِجَابَتَهَا، فَجَعَلَ كُلُّ نَبِيٍّ مِنْهُمْ ﷺ مَسْأَلَتَهُ، فَأُعْطِيَ سُؤْلَهُ فِي الدُّنْيَا، وَأَخَّرَ نَبِيُّنَا ﷺ دَعْوَتُهُ لِيَجْعَلَهَا شَفَاعَةً لِأُمَّتِهِ، لِفَضْلِ شَفَقَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَرَأْفَتِهِ بِأُمَّتِهِ، فَجَزَى اللَّهُ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ أَفْضَلَ مَا جَزَى رَسُولًا عَمَّنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَبَعَثَهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدَهُ، لِيَشْفَعَ فِيهِ لِأُمَّتِهِ، فَإِنَّ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ غَيْرُ مُخْلِفٍ وَعْدَهُ وَمُنْجِزٌ نَبِيَّهُ ﷺ مَا أَخَّرَ مِنْ مَسْأَلَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَقْتَ شَفَاعَتِهِ لِأُمَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُو بِهَا، فَتُسْتَجَابُ لَهُ، فَأُرِيدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أُؤَخِّرُ دَعْوَتِي؛ شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي**

الْآخِرَةِ".[(١)]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُو بِهَا، فَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي، شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي الْآخِرَةِ**".[(٢)]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا، فَتُسْتَجَابُ لَهُ، فَيُؤْتَاهَا، وَإِنِّي خَبَّأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي**".[(٣)]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَذِهِ اللَّفْظَةُ الَّتِي فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ: "**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً**" فِيهَا اخْتِصَارُ كَلِمَةٍ أَيْ "**كَانَتْ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ**"، وَقَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ: يَدْعُو بِهَا فَتُسْتَجَابُ لَهُ، مِنَ الْجِنْسِ الَّذِي قَدْ أَعْلَمْتُ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كُتُبِي أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ تَقُولُ: يَفْعَلُ كَذَا، وَيَكُونُ كَذَا، عَلَى مَعْنَى: فَعَلَ كَذَا وَكَانَ كَذَا.

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (٦٣٠٤)، مسلم (١٩٨).

(٢) **صحيح**: انظر السابق.

(٣) **صحيح**: انظر السابق.

وَبِيَقِينٍ يُعْلَمُ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ نَزَلَتْ بِهِمْ مَنَايَاهُمْ قَبْلَ خِطَابِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ بِهَذَا الْخِطَابِ، لَوْ كَانَتْ دَعَوَاتُهُمْ بَاقِيَةً، قَدْ وَعَدَ اللَّهُ اسْتِجَابَتَهَا لَهُمْ، لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِهِ ﷺ: "**فَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي**" مَعْنًى، إِذْ لَوْ كَانَ الْأَنْبِيَاءُ قَدْ تَرَكُوا دَعْوَتَهُمْ قَبْلَ نُزُولِ الْمَنَايَا بِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَدْعُونَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتُسْتَجَابُ لَهُمْ دَعْوَتُهُمْ، لَكَانُوا جَمِيعًا قَدْ أَخَّرُوا دَعْوَاتِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَتُسْتَجَابُ لَهُمْ دَعْوَتُهُمْ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَيَكُونُوا جَمِيعًا فِي الدَّعْوَةِ وَالْإِجَابَةِ كَالنَّبِيِّ ﷺ.

[ر/٤٥٥- ح/٢١٢- ش(٢/ ٦٣٠)- ز/(٢/ ٥١٦)- ي/٣٦٨]

بَابُ ذِكْرِ الدَّلِيلِ عَلَى صِحَّةِ مَا أَوَّلْتُ قَوْلَهُ "يَدْعُو بِهَا" أَنَّ مَعْنَاهَا قَدْ دَعَا بِهَا عَلَى مَا حَكَيْتُهُ عَنِ الْعَرَبِ أَنَّهَا تَقُولُ: يَفْعَلُ فِي مَوْضِعِ: فَعَلَ.

عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً، دَعَا بِهَا، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**".(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَاخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ، لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا**".(٢)

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "**كُلُّ نَبِيٍّ قَدْ سَأَلَ سُؤَالًا، أَوْ قَالَ: لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا قَوْمَهُ، فَاسْتَخْبَأْتُ دَعْوَتِي، شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ**

---

(١) **صحيح**: مسلم (٢٠١).

(٢) **صحيح**: سبق تخريجه.

الْقِيَامَةِ".[1]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يُرِيدُ بِقَوْلِهِ: "**قَوْمَهُ**" إِنْ كَانَتْ حَفِظَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةَ، أَيْ عَلَى قَوْمِهِ أَوْ لِقَوْمِهِ.

حَدَّثَنَا بِهَذَا الْحَدِيثِ، بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ الْعَقَدِيُّ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبٍ، قَالَ: ثَنَا الْمُعْتَمِرُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً، أَوْ قَالَ: سُؤَالًا، قَدْ دَعَا بِهَا، فَاسْتَخْبَأْتُ دَعْوَتِي، شَفَاعَةً لِأُمَّتِي**"، هَذَا لَفْظُ حَدِيثِ بِشْرٍ.

وَقَالَ إِسْحَاقُ: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**كُلُّ نَبِيٍّ سَأَلَ سُؤَالًا وَلِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ، فَاسْتَجَابَ دَعْوَتِي، شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**".

هَكَذَا وَجَدْتُهُ فِي كِتَابِي: "**وَلِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ**"، وَالصَّحِيحُ مَا قَالَ الصَّنْعَانِيُّ، وَبِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ عَلَى مَعْنَى الشَّكِّ فِي السُّؤَالِ، أَوِ الدَّعْوَةِ، وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الشَّكُّ، مِنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ فَإِنَّهُ كَثِيرُ الشُّكُوكِ فِي أَخْبَارِهِ، عَلَى أَنِّي قَدْ أَعْلَمْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِي، أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ تَضَعُ (الْوَاو) فِي مَوْضِعِ (أَوْ)

---

(١) **صحيح**: مسلم (٢٠٠).

كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ**﴾.(١) وَلَا شَكَّ وَلَا امْتِرَاءَ أَنَّ مَعْنَاهُ، أَوْ ثُلَاثَ أَوْ رُبَاعَ.

وَفِي خَبَرِ أَبِي بَحْرٍ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، فِي الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ الَّذِي قَدْ أَمْلَيْتُهُ فِي آخِرِهِ: "**أَنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً، دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ**"، دَلَالَةٌ عَلَى صِحَّةِ مَا تَأَوَّلْتُ قَوْلَهُ: "**قَدْ دَعَا بِهَا قَوْمَهُ**".

وَفِي رِوَايَةِ الصَّنْعَانِيِّ، أَنَّهُ أَرَادَ قَدْ دَعَا بِهَا فِي قَوْمِهِ، أَوْ عَلَى قَوْمِهِ، وَفِيهِ أَيْضًا بَيَانٌ عَلَى صِحَّةِ مَا تَأَوَّلْتُ أَلْفَاظَ مَنْ قَالَ: "**يَدْعُو بِهَا**" أَيْ إِنَّ مَعْنَاهَا: دَعَا بِهَا.

---

(١) النساء/٣

[ر/٤٦٠- ح/٢١٥- ش(٢/٦٣٧)- ز/(٢/٥٢٣)- ي/٣٧٣]

بَابُ ذِكْرِ مَا كَانَ مِنْ تَخْيِيرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بَيْنَ إِدْخَالِ نِصْفِ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ فَاخْتَارَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمَّتِهِ الشَّفَاعَةَ إِذْ هِيَ أَعَمُّ وَأَكْثَرُ وَأَنْفَعُ لِأُمَّتِهِ خَيْرِ الْأُمَمِ مِنْ إِدْخَالِ بَعْضِهِمُ الْجَنَّةَ.

عَنْ عَوْفَ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ يَقُولُ: نَزَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْزِلًا فَاسْتَيْقَظْتُ مِنَ اللَّيْلِ، فَإِذَا لَا أَرَى فِي الْمُعَسْكَرِ شَيْئًا أَطْوَلَ مِنْ مُؤْخِرَةِ رَحْلٍ قَدْ لَصِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ وَبَعِيرِهِ بِالْأَرْضِ، فَقُمْتُ أَتَخَلَّلُ النَّاسَ حَتَّى دَفَعْتُ إِلَى مَضْجَعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِيهِ، فَوَضَعْتُ يَدَيَّ عَلَى الْفِرَاشِ، فَإِذَا هُوَ بَارِدٌ، فَخَرَجْتُ أَتَخَلَّلُ النَّاسَ، وَأَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ذَهَبَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى خَرَجْتُ مِنَ الْعَسْكَرِ، كُلِّهِ، فَنَظَرْتُ سَوَادًا، فَمَضَيْتُ، فَرَمَيْتُ بِحَجَرٍ، فَمَضَيْتُ إِلَى السَّوَادِ، فَإِذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَإِذَا بَيْنَ أَيْدِينَا صَوْتٌ، كَدَوِيِّ الرَّحَى، أَوْ كَصَوْتِ الْقَصْبَاءِ حِينَ تُصِيبُهَا الرِّيحُ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: يَا قَوْمُ اثْبُتُوا حَتَّى تُصْبِحُوا، أَوْ يَأْتِيكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَبِثْنَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ نَادَى: "**أَثَمَّ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَعَوْفُ بْنُ مَالِكٍ**"، فَقُلْنَا: يَعْنِي نَعَمْ، فَأَقْبَلَ إِلَيْنَا

فَخَرَجْنَا نَمْشِي مَعَهُ لَا نَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ، وَلَا يُخْبِرُنَا، حَتَّى قَعَدْنَا عَلَى فِرَاشِهِ، فَقَالَ: "**أَتَدْرُونَ مَا خَيَّرَنِي بِهِ رَبِّيَ اللَّيْلَةَ؟**" قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: "**فَإِنَّهُ خَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ**" فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِهَا قَالَ: "**هِيَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**".(١)

---

(١) **صحيح**: ابن ماجه (٤٣١٧) وصححه الألباني.

[ر/٤٧٠- ح/٢١٩- ش(٢/٦٤٩)- ز/(٢/٥٣٤)- ي/٣٨١]

بَابُ ذِكْرِ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ قَبْلَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ إِنَّمَا دَعَا بَعْضُهُمْ فِيمَا كَانَ اللَّهُ جَعَلَ لَهُمْ مِنَ الدَّعْوَةِ الْمُجَابَةِ.

سَأَلُوهَا رَبَّهُمْ، وَدَعَا بَعْضُهُمْ بِتِلْكَ الدَّعْوَةِ عَلَى قَوْمِهِ، لِيَهْلِكُوا فِي الدُّنْيَا، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَرْأَفَ بِأُمَّتِهِ، مِنْ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ تَسْلِيمًا؛ لِأَنَّهُ اخْتَبَأَ دَعْوَتَهُ شَفَاعَةً لِأُمَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ثَقِيفٍ، فَعَلِقْنَا طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، حَتَّى أَنَخْنَا بِالْبَابِ، وَمَا فِي النَّاسِ رَجُلٌ أَبْغَضَ إِلَيْنَا مِنْ رَجُلٍ نَلِجُ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَدَخَلْنَا، وَسَلَّمْنَا، وَبَايَعْنَا، فَمَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى مَا فِي النَّاسِ رَجُلٌ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ رَجُلٍ خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا سَأَلْتَ رَبَّكَ مُلْكًا كَمُلْكِ سُلَيْمَانَ؟ فَضَحِكَ، وَقَالَ: "**فَلَعَلَّ لِصَاحِبِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلَ مِنْ مُلْكِ سُلَيْمَانَ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ دَعْوَةً، فَمِنْهُمْ مَنِ اتَّخَذَ بِهَا دُنْيَا، فَأُعْطِيَهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ دَعَا بِهَا عَلَى قَوْمِهِ فَأُهْلِكُوا بِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَانِي دَعْوَةً، فَاخْتَبَأْتُهَا عِنْدَ**

رَبِّي، شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ".[1]

(١) **صحيح**: السنة لابن أبي عاصم (٨٢٤) وصححه الألباني.

[ر/٤٧٢-ح/٢٢٠-ش(٢/ ٦٥٠)-ز/(٢/٥٣٧)-ي/٣٨٣]

بَابُ ذِكْرِ لَفْظَةٍ رُوِيَتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي ذِكْرِ الشَّفَاعَةِ.

حَسِبَتِ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْخَوَارِجُ، وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَغَيْرِهِمْ لِجَهْلِهِمْ بِالْعِلْمِ وَقِلَّةِ مَعْرِفَتِهِمْ بِأَخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا تُضَادُّ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ ذِكْرِ الشَّفَاعَةِ أَنَّهَا لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَلَيْسَتْ كَمَا تَوَهَّمَتْ هَؤُلَاءِ الْجُهَّالُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ، وَسَأُبَيِّنُ بِتَوْفِيقِ خَالِقِنَا عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهَا لَيْسَتْ مُتَضَادَّةً.

عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**".[١]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَوْلُهُ ﷺ فِي ذِكْرِ الشَّفَاعَةِ فِي الْأَخْبَارِ الَّتِي قَدَّمْنَاهَا فِي الْبَابِ قَبْلَ هَذَا الْبَابِ: "**هِيَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**"[٢] يُرِيدُ: أَنِّي أَشْفَعُ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فِي الِابْتِدَاءِ لِلنَّبِيِّينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَيُخَلِّصُهُمُ اللَّهُ مِنَ الْمَوْقِفِ الَّذِي قَدْ أَصَابَهُمْ فِيهِ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا قَدْ

---

(١) **صحيح**: أبو داود (٤٧٣٩) وصححه الألباني.

(٢) **صحيح**: ابن ماجه (٤٣١٧) وصححه الألباني.

أَصَابَهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ، لِيَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَيُعَجِّلَ حِسَابَهُمْ، عَلَى مَا قَدْ بُيِّنَ فِي الْأَخْبَارِ الَّتِي قَدْ أَمْلَيْتُهَا بِطُولِهَا.

فَأَمَّا قَوْلُهُ: "**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**" فَإِنَّمَا أَرَادَ شَفَاعَتِي بَعْدَ هَذِهِ الشَّفَاعَةِ، الَّتِي قَدْ عَمَّتْ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ، هِيَ شَفَاعَةٌ لِمَنْ قَدْ أُدْخِلَ النَّارَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِذُنُوبٍ وَخَطَايَا قَدِ ارْتَكَبُوهَا، لَمْ يَغْفِرْهَا اللَّهُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا فَيَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَتِهِ ﷺ.

فَمَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: "**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ**" أَيْ مَنِ ارْتَكَبَ مِنَ الذُّنُوبِ الْكَبَائِرَ، فَأُدْخِلُوا النَّارَ بِالْكَبَائِرِ، إِذِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَ تَكْفِيرَ الذُّنُوبِ الصَّغَائِرِ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ، عَلَى مَا قَدْ بَيَّنْتُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ**﴾(١).

وَقَدْ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَالِقَهُ وَبَارِئَهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُوَلِّيَهُ شَفَاعَةً فِيمَنْ سَفَكَ بَعْضُهُمْ دِمَاءَ بَعْضٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَأُجِيبَ إِلَى مَسْأَلَتِهِ وَطِلْبَتِهِ، وَسَفْكُ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَعْظَمِ الْكَبَائِرِ؛ إِذَا سُفِكَتْ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَلَا كَبِيرَةَ

(١) النساء/٣١

بَعْدَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ وَالْكُفْرِ أَكْبَرُ مِنْ هَذِهِ الْحُوبَةِ.

حَدَّثَنَا بِمَسْأَلَةِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي ذَكَرْتُ، عَلِيُّ بْنَ سَعِيدٍ النَّسَائِيَّ قَالَ: ثنا أَبُو الْيَمَانِ، قَالَ: ثَنَا شُعَيْبٌ -وَهُوَ ابْنُ حَمْزَةَ-، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: ثَنَا أَنَسُ ابْنُ مَالِكٍ، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "**أُرِيتُ مَا تَلْقَى أُمَّتِي بَعْدِي وَسَفْكِ بَعْضِهِمْ دِمَاءَ بَعْضٍ، وَسَبَقَ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ كَمَا سَبَقَ عَلَى الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يُولِيَنِي شَفَاعَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِيهِمْ ، فَفَعَلَ** ".[١]

---

(١) **صحيح**: السنة لابن أبي عاصم (٨٠٠) وصححه الألباني.

[ر/٤٧٨- ح/٢٢٢- ش(٢/٦٥٨)- ز/(٢/٥٤٣)- ي/٣٨٨]

بَابُ ذِكْرِ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّمَا أَرَادَ بِالْكَبَائِرِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَا هُوَ دُونَ الشِّرْكِ مِنَ الذُّنُوبِ.

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ أَخْبَرَ: أَنَّ الشِّرْكَ أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ، فَمَعْنَى قَوْلِهِ: "**لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**" إِنَّمَا أَرَادَ أُمَّتَهُ الَّذِينَ أَجَابُوهُ، فَآمَنُوا بِهِ، وَتَابُوا عَنِ الشِّرْكِ؛ إِذِ اسْمُ الْأُمَّةِ قَدْ يَقَعُ عَلَى مَنْ بُعِثَ إِلَيْهِ أَيْضًا، أَيْ أَنَّهُمْ أُمَّتُهُ الَّذِينَ بُعِثَ إِلَيْهِمْ، وَمَنْ آمَنَ وَتَابَ مِنَ الشِّرْكِ، فَهُمْ أُمَّتُهُ فِي الْإِجَابَةِ بَعْدَمَا كَانُوا أُمَّتَهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِيمَانِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: "**فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا**".(١)

---

(١) **صحيح**: مسلم (١٩٩).

[ر/٤٧٩-ح/٢٢٣-ش(٢/٦٥٩)-ز/(٢/٥٤٤)-ي/٣٨٩]

بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ أَنَّ شَفَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي ذُكِرَتْ أَنَّهَا لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ وَهِيَ عَلَى مَا تَأَوَّلْتُهُ وَأَنَّهَا لِمَنْ قَدْ أُدْخِلَ النَّارَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ النَّارِ وَالَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا أَهْلُ الْخُلُودِ فِيهَا بَلْ لِقَوْمٍ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ ارْتَكَبُوا ذُنُوبًا وَخَطَايَا فَأُدْخِلُوا النَّارَ لِيُصِيبَهُمْ سَفَعًا مِنْهَا.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"إِنَّ أَهْلَ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ النَّارِ، لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنَّهَا تُصِيبُ أَقْوَامًا بِذُنُوبِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ، حَتَّى إِذَا مَا صَارُوا فَحْمًا؛ أُذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ، قَالَ: فَيُخْرَجُونَ ضَبَائِرَ، فَيُلْقَوْنَ عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَهْرِيقُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَاءِ فَيَنْبُتُونَ، كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ"**.(١)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **"لَيُصِيبَنَّ قَوْمًا سَفْعَةٌ، مِنَ النَّارِ**

---

(١) **صحيح**: مسلم (١٨٥).

بِذُنُوبٍ عَمِلُوهَا، ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، يُقَالُ لَهُمُ الْجَهَنَّمِيُّونَ".(١)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**يَخْرُجُ ضُبَارَةٌ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا كَانُوا فَحْمًا: قَالَ: فَيُقَالُ: انْبِذُوهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَرُشُّوا عَلَيْهِمُ الْمَاءَ فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**"، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: كَأَنَّمَا كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ.(٢)

---

(١) **صحيح**: البخاري (٧٤٥٠).

(٢) **صحيح**: السنة لابن أبي عاصم (٨٤٧) وصححه الألباني.

[ر/٤٨٧- ح/٢٢٧- ش(٢/٦٧٢)- ز/(٢/٥٥٧)- ي/٣٩٧]

بَابُ ذِكْرِ إِرْضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ فِي الشَّفَاعَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى حَتَّى يُقِرَّ بِأَنَّهُ قَدْ رَضِيَ بِمَا قَدْ أُعْطِيَ فِي أُمَّتِهِ مِنَ الشَّفَاعَةِ. (١)

(١) روى ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنده عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: "**أَشْفَعُ لِأُمَّتِي، حَتَّى يُنَادِيَنِي رَبِّي، فَيَقُولُ: أَرَضِيتَ يَا مُحَمَّدُ؟ فَأَقُولُ: رَبِّ رَضِيتُ**". وقد ضعفه أصحاب النسخ جميعًا، وقد اشترطت ألا أذكر إلا الصحيح.

[ر/٤٨٩- ح/٢٢٨- ش(٢/٦٧٤)- ز/(٢/٥٥٩)- ي/٣٩٨]

بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ أَنَّ مِنْ قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِخْرَاجَهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ بِالشَّفَاعَةِ يَصِيرُونَ فِيهَا فَحْمًا يُمِيتُهُمُ اللَّهُ فِيهَا إِمَاتَةً وَاحِدَةً ثُمَّ يُؤْذَنُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الشَّفَاعَةِ وَصِفَةُ إِحْيَاءِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ بَعْدَ إِخْرَاجِهِمْ مِنَ النَّارِ وَقَبْلَ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةِ بِلَفْظَةٍ عَامَّةٍ مُرَادُهَا خَاصٌّ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ، وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ أُنَاسٌ، أَوْ كَمَا قَالَ تُصِيبُهُمُ النَّارُ، بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ، أَوْ كَمَا قَالَ خَطَايَاهُمْ، فَيُمِيتُهُمُ اللَّهُ إِمَاتَةً، حَتَّى إِذَا صَارُوا فَحْمًا، أَذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ يُلْقَوْنَ عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**"، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ.[1]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَالَ إِسْمَاعِيلُ: "**الْحِبَّةُ**" مَا يَنْبَذِرُ مِنْ نَبْتِ الرَّجُلِ مِنَ الْحَبِّ،

---

(١) **صحيح**: أحمد في المسند (١٧/٥٩/ح١١٠١٦).

فَيَبْقَى فِي الْأَرْضِ، حَتَّى تُصِيبَهُ السَّمَاءُ مِنْ قَابِلٍ فَيَنْبُتُ.

[ر/٤٩٣- ح/٢٣٠- ش(٢/٦٧٨)- ز/(٢/٥٦٤)- ي/٤٠٢]

بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذُكِرُوا فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ أَنَّهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِنَّمَا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ فِي خَبَرِ ابْنِ عُلَيَّةَ "أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ فَجِيءَ بِهِمْ".

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ، وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ أُنَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ أَوْ قَالَ: بِخَطَايَاهُمْ، فَأَمَاتَتْهُمْ إِمَاتَةً، حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ، فَيُجَاءُ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَاءِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ".**[١]

---

(١) **صحيح**: سبق تخريجه.

[ر/٤٩٥- ح/٢٣١- ش(٢/٦٨٢)- ز/(٢/٥٦٧)- ي/٤٠٤]

بَابُ ذِكْرِ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّمَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ: "فَيَصِيرُونَ فَحْمًا" أَيْ أَبْدَانُهُمْ خَلَا صُوَرِهِمْ وَآثَارِ السُّجُودِ مِنْهُمْ.

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ أَكْلَ أَثَرِ السُّجُودِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ بِاللَّهِ نَتعَوَّذُ بِهِ مِنَ النَّارِ وَعَذَابِهَا.

عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُمَا، أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ، وَقَالَ: "**حَتَّى إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ، وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، وَقَدِ امْتُحِشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ**

بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا".[1]

(١) **متفق عليه**: البخاري (٨٠٦)، مسلم (١٨٢).

[ر/٤٩٨- ح/٢٣٣- ش(٦٨٥/٢)- ز/(٥٧١/٢)- ي/٤٠٦]

بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ أَنَّ مَنْ قَضَى اللَّهُ إِخْرَاجَهُمْ مِنَ النَّارِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ الَّذِينَ لَيْسُوا بِأَهْلِ النَّارِ أَهْلُ الْخُلُودِ فِيهَا يَمُوتُونَ فِيهَا إِمَاتَةً وَاحِدَةً تُمِيتُهُمُ النَّارُ إِمَاتَةً ثُمَّ يُخْرَجُونَ مِنْهَا فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ لَا أَنَّهُمْ يَكُونُونَ أَحْيَاءً يَذُوقُونَ الْعَذَابَ وَيَأْلَمُونَ مِنْ حَرِّ النَّارِ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ النَّارِ، لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَأَمَّا الَّذِينَ يُرِيدُ اللَّهُ إِخْرَاجَهُمْ مِنْهَا، فَتُمِيتُهُمُ النَّارُ إِمَاتَةً، حَتَّى يَكُونُوا فَحْمًا، ثُمَّ يَخْرُجُونَ ضَبَائِرَ فَيُلْقَوْنَ عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، وَيُرَشُّ عَلَيْهِمْ مِنْ مَائِهَا، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ، فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**"، وَقَالَ: "**فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ جَمِيعًا، فَيُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَهَنَّمِيِّينَ، فَيَدْعَوْنَ اللَّهَ، فَيُذْهِبُ ذَلِكَ الِاسْمَ عَنْهُمْ**".(١)

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ زَمَانًا أَنَّ الِاسْمَ لَا يَقَعُ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ

(١) **صحيح**: سبق تخريجه.

اللَّفْظَةِ.

كُنْتُ أَحسِبُ زَمَانًا أَنَّ هَذَا مِنَ الصِّفَاتِ لَا مِنَ الْأَسَامِي.

كُنْتُ أَحسِبُ أَنَّ غَيْرَ جَائِزٍ أَنْ يُقَالَ لِأَهْلِ الْمَحِلَّةِ: إِنَّ هَذَا اسْمٌ لَهُمْ، وَأَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، أَوْ أَهْلَ قَرْيَةِ كَذَا، أَوْ أَصْحَابَ السُّجُونِ، إِيقَاعُ الِاسْمِ عَلَى مِثْلِ هَذَا؛ لِأَنَّهُ مُحَالٌ عِنْدِي فِي قَدْرِ مَا أَفْهَمُ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ أَنْ يُقَالَ: أَهْلُ كَذَا اسْمُهُمْ: أَهْلُ قَرْيَةِ كَذَا، أَوْ أَهْلُ مَدِينَةِ كَذَا، وَأَنَّ اسْمَ أَهْلِ السُّجُونِ هَذِهِ صِفَاتُ أَمْكِنَتِهِمْ، وَالِاسْمُ اسْمُ الْآدَمِيِّينَ كَمُحَمَّدٍ وَأَحْمَدَ، وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَقَدْ أَوْقَعَ فِي هَذَا الْخَبَرِ الِاسْمَ عَلَى الْجَهَنَّمِيِّينَ، يُسَمَّوْنَ: الْجَهَنَّمِيُّونَ نِسْبَةً لِسَانِ الْعَرَبِ.

وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمْتُ أَصْحَابِي مُذْ دَهْرٍ طَوِيلٍ: أَنَّ الْأَسَامِيَ إِنَّمَا وُضِعَتْ بِمَعْنَيَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: لِلتَّعْرِيفِ، لِيُعْرَفَ الْفَرْقُ بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَيُعْلَمَ مَنْ مُحَمَّدٌ، وَمَنْ أَحْمَدُ، وَمَنِ الْحَسَنُ، وَمَنِ الْحُسَيْنُ، فَيُفَرَّقُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ، وَبَيْنَ الْجَمَاعَةِ بِالْأَسَامِي، وَهَذِهِ الْأَسَامِي لَيْسَتْ مِنْ أَسْمَاءِ الْحَقَائِقِ وَقَدْ يُسَمَّى الْمَرْءُ حَسَنًا وَهُوَ قَبِيحٌ، وَيُسَمَّى مَحْمُودٌ وَهُوَ مَذْمُومٌ، وَيُسَمَّى الْمَرْءُ صَالِحًا

وَهُوَ طَالِحٌ.

وَالْمَعْنَى الثَّانِي: هُوَ أَسَامِي الصِّفَاتِ عَلَى الْحَقَائِقِ، إِذَا كَانَ الْمَرْءُ صَالِحًا فَقِيلَ: هَذَا صَالِحٌ، فَإِنَّمَا يُرَادُ صِفَتُهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يُقَالُ لِمَحْمُودِ الْمَذْهَبِ: فُلَانٌ مَحْمُودٌ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، كَذَلِكَ يُقَالُ لِلْعَالِمِ: عَالِمٌ، وَلِلْفَقِيهِ: فَقِيهٌ، وَلِلزَّاهِدِ: زَاهِدٌ، هَذِهِ أَسَامِي عَلَى الْحَقَائِقِ وَعَلَى الصِّفَاتِ.

[ر/٥٠٣- ح/٢٣٦- ش(٢/٦٩٣)- ز/(٢/٥٧٧)- ي/٤١١]

بَابُ ذِكْرِ خَبَرٍ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي إِخْرَاجِ شَاهِدِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنَ النَّارِ.

أَفْرَقُ أَنْ يَسْمَعَ بِهِ بَعْضُ الْجُهَّالِ، فَيَتَوَهَّمُ أَنَّ قَائِلَهُ بِلِسَانِهِ مِنْ غَيْرِ تَصْدِيقِ قَلْبٍ، يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ، جَهْلًا وَقِلَّةَ مَعْرِفَةٍ بِدِينِ اللَّهِ وَأَحْكَامِهِ، وَلِجَهْلِهِ بِأَخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ مُخْتَصَرِهَا وَمُتَقَصَّاهَا.

وَإِنَّا لِتَوَهُّمِ بَعْضِ الْجُهَّالِ: أَنَّ شَاهِدَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشْهَدَ أَنَّ لِلَّهِ رُسُلًا وَكُتُبًا، وَجَنَّةً وَنَارًا، وَبَعْثًا وَحِسَابًا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، أَشَدَّ فَرَقًا؛ إِذْ أَكْثَرُ أَهْلِ زَمَانِنَا لَا يَفْهَمُونَ هَذِهِ الصِّنَاعَةَ، وَلَا يُمَيِّزُونَ بَيْنَ الْخَبَرِ الْمُتَقَصَّي وَغَيْرِهِ وَرُبَّمَا خَفِيَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرُ الْمُتَقَصَّي، فَيَحْتَجُّونَ بِالْخَبَرِ الْمُخْتَصَرِ.

يَتَرَأَّسُونَ قَبْلَ التَّعَلُّمِ، قَدْ حُرِمُوا الصَّبْرَ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ، لَا يَصْبِرُونَ حَتَّى يَسْتَحِقُّوا الرِّئَاسَةَ، فَيَبْلُغُوا مَنَازِلَ الْعُلَمَاءِ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"مَا زِلْتُ أَشْفَعُ إِلَى رَبِّي، وَيُشَفِّعُنِي، حَتَّى قُلْتُ: أَيْ رَبِّي، شَفِّعْنِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ: يَا**

مُحَمَّدُ هَذِهِ لَيْسَتْ لَكَ وَلَا لِأَحَدٍ، وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَرَحْمَتِي، لَا أَدَعُ فِي النَّارِ أَحَدًا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ".[1]

(١) **صحيح**: السنة لابن أبي عاصم (٨٢٨) وصححه الألباني.

[ر/٥٠٧- ح/٢٣٧- ش(٢/٦٩٦)- ز/(٢/٥٨٠)- ي/٤١٣]

بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَشْفَعُ لِلشَّاهِدِ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ الْمُوَحِّدِ لِلَّهِ بِلِسَانِهِ إِذَا كَانَ مُخْلِصًا وَمُصَدِّقًا بِذَلِكَ بِقَلْبِهِ لَا لِمَنْ تَكُونُ شَهَادَتُهُ بِذَلِكَ مُنْفَرِدَةً عَنْ تَصْدِيقِ الْقَلْبِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: مَاذَا رَدَّ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الشَّفَاعَةِ قَالَ: "**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَوَّلُ مَنْ يَسْأَلُنِي عَنْ ذَلِكَ مِنْ أُمَّتِي لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْعِلْمِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَا يُهِمُّنِي مِنَ الْقَضَاءِ فِيهِمْ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ أَهَمُّ عِنْدِي مِنْ تَمَامِ شَفَاعَتِي وَشَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا يُصَدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ، وَلِسَانُهُ قَلْبَهُ**".(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا**

---

(١) **صحيح**: أحمد في المسند (١٦/٤١٧/ح١٠٧١٣).

يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَى مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ نَفْسِهِ".(١)

(١) **صحيح**: البخاري (٩٩).

[ر/٥١٠- ح/٢٣٨- ش(٢/٦٩٩)- ز/(٢/٥٨٤)- ي/٤١٦]

بَابُ ذِكْرِ خَبَرٍ دَالٍّ عَلَى صِحَّةِ مَا تَأَوَّلْتُ إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ شَاهِدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا كَانَ مُصَدِّقًا بِقَلْبِهِ بِمَا شَهِدَ بِهِ لِسَانُهُ إِلَّا أَنَّهُ كَنَّى عَنِ التَّصْدِيقِ بِالْقَلْبِ بِالْخَيْرِ.

فَعَانَدَ بَعْضُ أَهْلِ الْجِهَادِ وَالْعِنَادِ، وَادَّعَى: أَنَّ ذِكْرَ الْخَيْرِ فِي هَذَا الْخَبَرِ لَيْسَ بِإِيمَانٍ، قِلَّةَ عِلْمٍ بِدَيْنِ اللَّهِ، وَجُرْأَةً عَلَى اللَّهِ فِي تَسْمِيَةِ الْمُنَافِقِينَ مُؤْمِنِينَ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"يَقُولُ اللَّهُ: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ دُودَةً، أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً"**.(١)

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (٧٤١٠)، مسلم (١٩٣).

[ر/٥١٢- ح/٢٣٩- ش(٢/٧٠٢)- ز/(٢/٥٨٨)- ي/٤١٩]

بَابُ ذِكْرِ الْأَخْبَارِ الْمُصَرِّحَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ فِي الدُّنْيَا إِيمَانٌ دُونَ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ فِي الدُّنْيَا إِيمَانٌ مِمَّنْ كَانَ يُقِرُّ بِلِسَانِهِ بِالتَّوْحِيدِ خَالِيًا قَلْبُهُ مِنَ الْإِيمَانِ.

مَعَ الْبَيَانِ الْوَاضِحِ أَنَّ النَّاسَ يَتَفَاضَلُونَ فِي إِيمَانِ الْقَلْبِ، ضِدَّ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ مِنْ غَالِيَةِ الْمُرْجِئَةِ أَنَّ الإِيمَانَ لَا يَكُونُ فِي الْقَلْبِ، وَخِلَافَ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ مِنْ غَيْرِ الْمُرْجِئَةِ أَنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يَتَفَاضَلُونَ فِي إِيمَانِ الْجَوَارِحِ، الَّذِي هُوَ كَسْبُ الْأَبْدَانِ، فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ مُتَسَاوُونَ فِي إِيمَانِ الْقَلْبِ الَّذِي هُوَ التَّصْدِيقُ، وَإِيمَانِ اللِّسَانِ الَّذِي هُوَ الْإِقْرَارُ مَعَ الْبَيَانِ أَنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ شَفَاعَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى مَا قَدْ بَيَّنْتُ قَبْلُ، لَا أَنَّ لَهُ شَفَاعَةً وَاحِدَةً فَقَطْ.

عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ: **"يَأْتُونَ النَّبِيَّ ﷺ: فَيَقُولُونَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَنْتَ الَّذِي فَتَحَ اللَّهُ بِكَ، وَخَتَمَ بِكَ، وَغَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ قُمْ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَنَا صَاحِبُكُمْ فَيَخْرُجُ يَحُوشُ النَّارَ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَأْخُذُ بِحَلْقَةٍ فِي الْبَابِ مِنْ ذَهَبٍ، فَيَقْرَعُ الْبَابَ، فَيُقَالُ:**

مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: فَيُفْتَحُ لَهُ، قَالَ: فَيَجِيءُ حَتَّى يَقُومَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فَيَسْتَأْذِنُ فِي السُّجُودِ، فَيُؤْذَنُ لَهُ، قَالَ: فَيَفْتَحُ اللَّهُ لَهُ مِنَ الثَّنَاءِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّمَجِيدِ مَا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلَائِقِ، فَيُنَادَى: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، ادْعُ يُجَبْ، قَالَ: فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي ثُمَّ يَسْتَأْذِنُ فِي السُّجُودِ فَيُؤْذَنُ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُ مِنَ الثَّنَاءِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّمْجِيدِ، مَا لَمْ يُفْتَحْ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلَائِقِ، فَيُنَادَى يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَادْعُ تُجَبْ، قَالَ: يَفْعَلُ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَيَشْفَعُ لِمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ حِنْطَةٍ، أَوْ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ، أَوْ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ".(١)

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ خَرْدَلَةً مَا يَزِنُ بُرَّةً، مَا يَزِنُ ذَرَّةً مِنَ الْإِيمَانِ".(٢)

---

(١) **صحيح**: السنة لابن أبي عاصم (٨١٣) وصححه الألباني، وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ولكنه موقوف على سلمان وهو الفارسي، إلا أنه في حكم المرفوع لأنه أمر غيبي لا يمكن أن يقال بالرأي، ولا هو من الإسرائيليات.

(٢) **صحيح**: سبق تخريجه.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَيْسَ خَبَرُ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ: "**أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً**" خِلَافُ هَذِهِ الْأَخْبَارِ الَّتِي فِيهَا، فِي قَلْبِهِ مِنَ الْإِيمَانِ مَا يَزِنُ كَذَا، إِذِ الْعِلْمُ مُحِيطٌ أَنَّ الْإِيمَانَ مِنَ الْخَيْرِ لَا مِنَ الشَّرِّ.

وَمَنْ زَعَمَ مِنَ الْغَالِيَةِ الْمُرْجِئَةِ أَنَّ ذِكْرَ الْخَيْرِ فِي هَذَا الْخَبَرِ لَيْسَ بِإِيمَانٍ، كَانَ مُكَذِّبًا لِهَذِهِ الْأَخْبَارِ الَّتِي فِيهَا: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْإِيمَانِ كَذَا، فَيُلْزِمُهُمْ أَنْ يَقُولُوا: هَذِهِ الْأَخْبَارُ كُلُّهَا غَيْرُ ثَابِتَةٍ، أَوْ يَقُولُوا: إِنَّ الْإِيمَانَ لَيْسَ بِإِيمَانٍ، أَوْ يَقُولُوا: إِنَّ الْإِيمَانَ لَيْسَ بِخَيْرٍ، وَمَا لَيْسَ بِخَيْرٍ فَهُوَ شَرٌّ، وَلَا يَقُولُ مُسْلِمٌ: إِنَّ الْإِيمَانَ لَيْسَ بِخَيْرٍ، فَافْهَمْهُ لَا تُغَالِطْ.

[ر/٥٢٨- ح/٢٤٨- ش(٢/٧٢٤)- ز/(٢/٦١٠)- ي/٤٣٢]

بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ أَنَّ الْمَقَامَ الَّذِي يَشْفَعُ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمَّتِهِ هُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وَعَدَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾.

وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ عِنْدِي مِنَ الْجِنْسِ الَّذِي قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: ﴿**عَسَى**﴾ مِنَ اللَّهِ وَاجِبٌ، لَا عَلَى الشَّكِّ وَالِارْتِيَابِ مِمَّا يَجُوزُ أَنْ لَا يَكُونَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: فِي قَوْلِهِ: ﴿**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾[1] قَالَ: "**هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي أَشْفَعُ فِيهِ لِأُمَّتِي**".[2]

---

(١) الإسراء/٧٩

(٢) **صحيح**: السنة لابن أبي عاصم (٧٨٤) وصححه الألباني.

[ر/٥٣١- ح/٢٤٩- ش(٢/٧٢٧)- ز/(٢/٦١٤)- ي/٤٣٤]

بَابُ ذِكْرِ الدَّلِيلِ أَنَّ جَمِيعَ الْأَخْبَارِ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرَى لَهَا إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ فِي شَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي إِخْرَاجِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ مِنَ النَّارِ إِنَّمَا هِيَ أَلْفَاظٌ عَامَّةٌ مُرَادُهَا خَاصٌّ.

قَوْلُهُ: "**أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ كَذَا مِنَ الْإِيمَانِ**" أَنَّ مَعْنَاهُ بَعْضُ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ قَدْرُ ذَلِكَ الْوَزْنِ مِنَ الْإِيمَانِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ أَعْلَمَ: أَنَّهُ يَشْفَعُ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَيْضًا غَيْرُهُ، فَيَشْفَعُونَ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ أَنْ يُخْرَجَ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ غَيْرِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ مَنْ كَانَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ قَدْرُ مَا أَعْلَمَ أَنَّهُ يَخْرُجُ بِشَفَاعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَنْ يَشْفَعُ مِنْ أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّمَا يَشْفَعُ بِأَمْرِهِ.

كَخَبَرِ آدَمَ بْنِ عَلِيٍّ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ(١)، وَجَائِزٌ أَنْ تُنْسَبَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ

---

(١) **ضعيف**: قال ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ، قَالَ: ثنا يَحْيَى بْنُ يَمَانٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ آدَمَ بْنِ عَلِيٍّ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: **"يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ لِلرَّجُلِ: يَا فُلَانُ، قُمْ فَاشْفَعْ، فَيَقُومُ الرَّجُلُ، فَيَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ وَلِأَهْلِ**
=

ﷺ لِأَمْرِهِ بِهَا، كَمَا بَيَّنْتُ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كُتُبِي، أَنَّ الْعَرَبَ تُضِيفُ الْفِعْلَ إِلَى الْآمِرِ كَإِضَافَتِهَا إِلَى الْفَاعِلِ، ومَعْرُوفٌ أَيْضًا فِي لُغَةِ الْعَرَبِ الَّذِينَ بَلَغَتْهُمْ خُوطِبْنَا أَنْ يُقَالَ: أَخْرِجِ النَّاسَ مِنْ مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا، أَوْ الْقَوْمَ، أَوْ مَنْ كَانَ مَعَهُ كَذَا ، أَوْ عِنْدَهُ كَذَا، وَإِنَّمَا يُرَادُ بَعْضُهُمْ، لَا جَمِيعَهُمْ.

لَا يُنْكِرُ مَنْ يَعْرِفُ لُغَةَ الْعَرَبِ أَنَّهَا بِلَفْظٍ عَامٍّ يُرِيدُ الْخَاصَّ، قَدْ بَيَّنَّا مِنْ هَذَا النَّحْوِ مِنْ كِتَابِ رَبِّنَا وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا الْمُصْطَفَى ﷺ، فِي كِتَابِ [مَعَانِي الْقُرْآنِ]، وَفِي كُتُبِنَا الْمُصَنَّفَةِ مِنَ الْمُسْنَدِ فِي الْفِقْهِ، مَا فِي بَعْضِهِ الْغُنْيَةُ وَالْكِفَايَةُ لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِهِ.

كَانَ مَعْنَى الْأَخْبَارِ الَّتِي قَدَّمْتُ ذِكْرَهَا فِي شَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدِي خَاصَّةً، مَعْنَاهَا: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْإِيمَانِ كَذَا، أَيْ غَيْرَ مَنْ قَضَيْتُ إِخْرَاجَهُمْ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ، مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالشُّفَعَاءِ غَيْرِهِ، مِمَّنْ كَانَ لَهُمْ أُخُوَّةٌ فِي الدُّنْيَا، يُصَلُّونَ مَعَهُمْ، وَيَصُومُونَ مَعَهُمْ، وَيَحُجُّونَ مَعَهُمْ، وَيَغْزُونَ مَعَهُمْ، قَدْ

=

الْبَيْتِ، وَلِلرَّجُلِ، وَلِلرَّجُلَيْنِ عَلَى قَدْرِ عَمَلِهِ".

قَضَيْتُ أَنِّي أُشَفِّعُهُمْ فِيهِمْ، فَأَخْرِجُوهُمْ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَتِهِمْ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ، وَقَالَ: "**ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ**" قُلْنَا: وَمَا الْجِسْرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِينَا أَنْتَ وَأُمِّنَا؟ قَالَ: "**دَحْضٌ مَزِلَّةٌ لَهُ كَلَالِيبُ، وَخَطَاطِيفُ، وَحَسَكَةٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ، عَقِيفًا يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَلَمْحِ الْبَرْقِ، وَكَالطَّرْفِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجْوَدِ الْخَيْلِ، وَالرَّاكِبِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَحَدُكُمْ بِأَشَدَّ مُنَاشِدٍ فِي الْحَقِّ يَرَاهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِخْوَانِهِمْ إِذَا رَأَوْا أَنْ قَدْ خَلَصُوا مِنَ النَّارِ، يَقُولُونَ: أَيْ رَبَّنَا، إِخْوَانَنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، قَدْ أَخَذَتْهُمُ النَّارُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُمْ: اذْهَبُوا فَمَنْ عَرَفْتُمْ صُورَتَهُ فَأَخْرِجُوهُ، وَتُحَرَّمُ صُورَتُهُمْ، فَيَجِدُ الرَّجُلُ قَدْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى قَدَمَيْهِ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَإِلَى حِقْوَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا بَشَرًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَتَكَلَّمُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ قِيرَاطِ خَيْرٍ، فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا بَشَرًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَتَكَلَّمُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ قِيرَاطٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا بَشَرًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَتَكَلَّمُونَ، فَلَا يَزَالُ يَقُولُ ذَلِكَ لَهُمْ،**

حَتَّى يَقُولُ اذْهَبُوا، فَأَخْرِجُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فَأَخْرِجُوهُ".[1]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَذِهِ اللَّفْظَةُ "**لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ**" مِنَ الْجِنْسِ الَّذِي يَقُولُ الْعَرَبُ: يُنْفَى الِاسْمُ عَنِ الشَّيْءِ لِنَقْصِهِ عَنِ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ، فَمَعْنَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ، لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ، لَا عَلَى مَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ، وَقَدْ بَيَّنْتُ هَذَا الْمَعْنَى فِي مَوَاضِعَ مِنْ كُتُبِي.

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (٧٤٣٩)، مسلم (١٨٣).

[ر/٥٣٦- ح/٢٥٢- ش(٢/٧٣٤)- ز/(٢/٦٢٠)- ي/٤٣٨]

بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ أَنَّ الصِّدِّيقِينَ يَتْلُونَ النَّبِيَّ ﷺ فِي الشَّفَاعَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ سَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ يَتْلُونَ الصِّدِّيقِينَ ثُمَّ الشُّهَدَاءُ يَتْلُونَ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِنْ صَحَّ الْحَدِيثُ.

عَنْ حُذَيْفَةَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ قَالَ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَصَلَّى الْغَدَاةَ، ثُمَّ جَلَسَ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الضُّحَى، ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ جَلَسَ مَكَانَهُ، حَتَّى صَلَّى الْأُولَى، وَالْعَصْرَ، وَالْمَغْرِبَ، كُلُّ ذَلِكَ لَا يَتَكَلَّمُ، حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ النَّاسُ لِأَبِي بَكْرٍ: سَلْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا شَأْنُهُ، صَنَعَ الْيَوْمَ شَيْئًا لَمْ يَصْنَعْهُ قَطُّ، فَقَالَ: نَعَمْ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: "**عُرِضَ عَلَيَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يُجْمَعُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ بِصَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَفَظِعَ النَّاسُ بِذَلِكَ، حَتَّى انْطَلَقُوا إِلَى آدَمَ وَالْعَرَقُ يَكَادُ يُلْجِمُهُمْ، فَقَالُوا: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، وَأَنْتَ اصْطَفَاكَ اللَّهُ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَقَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِثْلَ الَّذِي لَقِيتُمْ، انْطَلِقُوا إِلَى أَبِيكُمْ بَعْدَ أَبِيكُمْ إِلَى نُوحٍ، ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، فَيَنْطَلِقُونَ إِلَى نُوحٍ، فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ،**

فَأَنْتَ اصْطَفَاكَ اللَّهُ، وَاسْتَجَابَ لَكَ فِي دُعَائِكَ، وَلَمْ يَدَعْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا، فَيَقُولُ: لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي، انْطَلِقُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَيْسَ ذَاكُمْ عِنْدِي، وَلَكِنِ انْطَلِقُوا إِلَى مُوسَى فَإِنَّ اللَّهَ كَلَّمَهُ تَكْلِيمًا، فَيَقُولُ مُوسَى: لَيْسَ ذَاكَ عِنْدِي، وَلَكِنِ انْطَلِقُوا إِلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، فَإِنَّهُ كَانَ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُحْيِي الْمَوْتَى، فَيَقُولُ عِيسَى: لَيْسَ ذَاكَ عِنْدِي، وَلَكِنِ انْطَلِقُوا إِلَى سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، انْطَلِقُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلْيَشْفَعْ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ، فَيَأْتِي جِبْرِيلُ رَبَّهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِ جِبْرِيلُ، فَيَخِرُّ سَاجِدًا قَدْرَ جُمُعَةٍ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، قَالَ: فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَرَّ سَاجِدًا قَدْرَ جُمُعَةٍ أُخْرَى، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، قَالَ: فَيَذْهَبُ، لِيَقَعَ سَاجِدًا، قَالَ: فَيَأْخُذُ جِبْرِيلُ بِضَبْعَيْهِ، فَيَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الدُّعَاءِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى بَشَرٍ قَطُّ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، جَعَلْتَنِي سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ، وَأَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَرِدُ عَلَى الْحَوْضِ أَكْثَرُ مِمَّا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ، ثُمَّ يُقَالُ: ادْعُ الصِّدِّيقِينَ لِيَشْفَعُوا، ثُمَّ يُقَالُ: ادْعُ الْأَنْبِيَاءَ

قَالَ: فَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الْعِصَابَةُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الْخَمْسَةُ وَالسِّتَّةُ، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، ثُمَّ يُقَالُ: ادْعُ الشُّهَدَاءَ، فَيَشْفَعُونَ لِمَنْ أَرَادُوا، فَإِذَا فَعَلَتِ الشُّهَدَاءُ ذَلِكَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، ادْخُلُوا جَنَّتِي مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، قَالَ: فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: انْظُرُوا فِي النَّارِ، هَلْ تَلْقَوْنَ مِنْ أَحَدٍ عَمِلَ خَيْرًا قَطُّ؟ قَالَ: فَيَجِدُونَ فِي النَّارِ رَجُلًا، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُسَامِحُ النَّاسَ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَسْمِحُوا لِعَبْدِي كَإِسْمَاحِهِ إِلَى عَبِيدِي، ثُمَّ يُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ رَجُلًا آخَرَ، فَيُقَالُ لَهُ هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَمَرْتُ وَلَدِي إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي بِالنَّارِ، ثُمَّ اطْحَنُونِي حَتَّى إِذَا كُنْتُ مِثْلَ الْكُحْلِ، فَاذْهَبُوا بِي إِلَى الْبَحْرِ، فَاذْرُونِي فِي الرِّيحِ، وَاللَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيَّ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَبَدًا فَقَالَ اللَّهُ: لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ مَخَافَتِكَ، قَالَ: فَيَقُولُ تَعَالَى: انْظُرْ إِلَى مُلْكِ أَعْظَمِ مَلِكٍ، فَإِنَّ لَكَ عَشَرَةُ أَضْعَافِ ذَلِكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟ فَذَاكَ الَّذِي ضَحِكْتُ مِنْهُ".(١)

---

(١) **حسن**: السنة لابن أبي عاصم (٧٥١ ، ٨١٢) وحسنه الألباني.

[ر/٥٤١- ح/٢٥٤- ش(٧٣٩/٢)- ز/(٦٢٦/٢)- ي/٤٤٢]

بَابُ ذِكْرِ كَثْرَةِ مَنْ يَشْفَعُ لَهُ الرَّجُلُ الْوَاحِدُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَعَ الدَّلِيلِ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَكَرْتُ قَبْلَ أَنْ يَشْفَعَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: جَلَسْتُ إِلَى قَوْمٍ أَنَا رَابِعُهُمْ فَقَالَ أَحَدُهُمْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ**" قَالَ: قُلْنَا: سِوَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "**سِوَايَ**".(١)

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَدْ أَعْلَمْتُ أَنَّ اسْمَ الْأُمَّةِ قَدْ يَقَعُ عَلَى مَعْنَيَيْنِ:

أَحَدِهِمَا: مَنْ قَدْ بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِ، وَالآخَرِ: مَنْ أَجَابَ النَّبِيَّ ﷺ إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ، وَهَذَا الرَّجُلُ الَّذِي أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يَعْظُمُ لِلنَّارِ مِنْ أُمَّتِهِ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ أَحَدِ زَوَايَاهَا، يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: مِنْ أُمَّتِهِ، مِمَّنْ قَدْ بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يُجِيبُوا إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ، لَا مِنْ أُمَّتِهِ الَّذِينَ أَجَابُوهُ، فَآمَنُوا بِهِ، وَارْتَكَبُوا بَعْضَ الْمَعَاصِي.

---

(١) **صحيح** : الترمذي (٢٤٣٨) وصححه الألباني.

[ر/٥٤٨- ح/٢٥٧- ش(٢/٧٥١)- ز/(٢/٦٣٥)- ي/٤٤٨]

بَابُ ذِكْرِ مَا يُعْطِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ نِعَمِ الْجَنَّةِ وَمُلْكِهَا تَفَضُّلًا مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ وَسَعَةَ رَحْمَتِهِ آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ فَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ مِمَّنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا وَزَحْفًا لَا مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا بِالشَّفَاعَةِ بَعْدَمَا مَحَشَتْهُمُ النَّارُ وَأَمَاتَتْهُمْ فَصَارُوا فَحْمًا قَبْلَ أَنْ يُخْرِجَهُ اللَّهُ بِتَفَضُّلِهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةِ أَمْثَالِهَا، أَوْ إِنَّ لَكَ عَشْرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي أَوْ تَضْحَكُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟**"

قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ، حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ:

فَكَانَ يُقَالُ: ذَلِكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً. (١)

(١) **متفق عليه**: البخاري (٦٥٧١)، مسلم (١٨٦).

[ر/٥٥٧- ح/٢٦٢- ش(٢/٧٦٢)- ز/(٢/٦٤٧)- ي/٤٥٥]

بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي ذَكَرْنَا صِفَتَهُ وَخَبَّرْنَا أَنَّهُ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنَ النَّارِ مِمَّنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ زَحْفًا لَا مِمَّنْ يَخْرُجُ بِالشَّفَاعَةِ

وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَأَنَّ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ هَذَا الْوَاحِدَ يَبْقَى بَعْدَهُمْ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُدْخِلُهُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْجَنَّةَ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، لَا بِشَفَاعَةِ أَحَدٍ، وَيُعْطِيهِ تَفَضُّلًا مِنْهُ وَكَرَمًا وَجُودًا: مَا ذُكِرَ فِي الْخَبَرِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَعَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مِمَّنْ قَدْ أَحْرَقَتْهُمُ النَّارُ خَلَا آثَارِ السُّجُودِ مِنْهُمْ، قَبْلَ الْقَضَاءِ بَيْنَ جَمِيعِ النَّاسِ.

قَالَ: سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُمَا، أَنَّ النَّاسَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ خَرَّجْتُهُ فِي كِتَابِ الْأَهْوَالِ وَفِي الْخَبَرِ: "**حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ، وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ**

تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ، قَدِ امْتُحِشُوا، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ اصْرِفْ، وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَيَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ".

فَذَكَرَ بَعْضَ الْحَدِيثِ، وَقَالَ: "**ثُمَّ يَأْذَنُ اللَّهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ**".(١)

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ قَالَ: "**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَكَ ذَلِكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ**".

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: لَمْ أَحْفَظْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا قَوْلَهُ: "**لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ**".

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: "**وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ**".

---

(١) **صحيح** : سبق تخريجه.

[ر/٥٥٩- ح/٢٦٣- ش(٢/٧٦٥)- ز/(٢/٦٥٠)- ي/٤٥٧]

بَابُ ذِكْرِ الْبَيَانِ أَنَّ النَّارَ إِنَّمَا تَأْخُذُ مِنْ أَجْسَادِ الْمُوَحِّدِينَ وَتُصِيبُهُمْ عَلَى قَدْرِ ذُنُوبِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ وَحُوبَاتِهِمُ الَّتِي كَانُوا ارْتَكَبُوهَا فِي الدُّنْيَا.

مَعَ الدَّلِيلِ عَلَى ضِدِّ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ مِمَّنْ لَمْ يَتَحَرَّ الْعِلْمَ، وَلَا فَهْمَ أَخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ النَّارَ لَا تُصِيبُ أَهْلَ التَّوْحِيدِ وَلَا تَمَسُّهُمْ، وَإِنَّمَا يُصِيبُهُمْ حَرُّهَا وَأَذَاهَا وَغَمُّهَا وَشِدَّتُهَا.

مَعَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّهُ قَدْ يَدْخُلُ النَّارَ بِارْتِكَابِ الْمَعَاصِي فِي الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَتَفَضَّلِ اللَّهُ وَلَمْ يَتَكَرَّمْ بِغُفْرَانِهَا مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ مِنَ الصِّيَامِ، وَالزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَالْغَزْوِ، وَكَيْفَ يَأْمَنُ يَا ذَوِي الْحِجَا النَّارَ مَنْ يُوَحِّدُ اللَّهَ وَلَا يَعْمَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ شَيْئًا؟

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ الْعُتْوَارِيِّ أَحَدِ بَنِي لَيْثٍ وَكَانَ فِي حَجْرِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**يُوضَعُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، عَلَيْهِ حَسَكُ السَّعْدَانِ، ثُمَّ يَسْتَجِيرُ النَّاسُ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ مَخْدُوجٌ بِهِ، ثُمَّ نَاجٍ وَمُحْتَبَسٌ، وَمَنْكُوسٌ فِيهَا فَإِذَا**

فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، يَفْقِدُ الْمُؤْمِنُونَ رِجَالًا كَانُوا مَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا، يُصَلُّونَ صَلَاتَهُمْ، وَيُزَكُّونَ زَكَاتَهُمْ، وَيَصُومُونَ صِيَامَهُمْ، وَيَحُجُّونَ حَجَّهُمْ، وَيَغْزُونَ غَزْوَهُمْ، فَيَقُولُونَ: أَيْ رَبَّنَا، عِبَادٌ مِنْ عِبَادِكَ كَانُوا مَعَنَا فِي الدُّنْيَا، يُصَلُّونَ صَلَاتَنَا وَيُزَكُّونَ زَكَاتَنَا، وَيَصُومُونَ صِيَامَنَا، وَيَحُجُّونَ حَجَّنَا وَيَغْزُونَ غَزْوَنَا لَا نَرَاهُمْ؟ قَالَ: فَيُقَالُ: اذْهَبُوا إِلَى النَّارِ، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْهُمْ، فَأَخْرِجُوهُ، فَيَجِدُونَهُمْ قَدْ أَخَذَتْهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى قَدَمَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى ثَدْيِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى عُنُقِهِ، وَلَمْ تَغْشَ الْوَجْهَ، فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا، فَيُطْرَحُونَهُمْ فِي مَاءِ الْحَيَا" قِيلَ: وَمَا مَاءُ الْحَيَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: "غُسْلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَنْبُتُونَ فِيهَا كَمَا تَنْبُتُ الزَّرْعَةُ فِي غُثَاءِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَشْفَعُ الْأَنْبِيَاءُ فِيمَنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا، فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا، ثُمَّ يَتَجَلَّى اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ عَلَى مَنْ فِيهَا، فَمَا يُتْرَكُ فِيهَا عَبْدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ، إِلَّا أَخْرَجَهُ مِنْهَا".(١)

(١) **صحيح** : سبق تخريجه.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَدْ رَوَيْنَا أَخْبَارًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، يَحْسِبُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالْعِنَادِ أَنَّهَا خِلَافُ هَذِهِ الْأَخْبَارَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مَعَ كَثْرَتِهَا وَصِحَّةِ سَنَدِهَا وَعَدَالَةِ نَاقِلِيهَا فِي الشَّفَاعَةِ، وَفِي إِخْرَاجِ بَعْضِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا أُدْخِلُوهَا بِذُنُوبِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ، وَلَيْسَتْ بِخِلَافِ تِلْكَ الْأَخْبَارِ عِنْدَنَا، بِحَمْدِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ.

وَأَهْلُ الْجَهْلِ الَّذِينَ ذَكَرْتُهُمْ فِي هَذَا الْفَصْلِ صِنْفَانِ:

صِنْفٌ: مِنْهُمُ الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةِ، أَنْكَرَتْ إِخْرَاجَ أَحَدٍ مِنَ النَّارِ مِمَّنْ يَدْخُلُ النَّارَ، وَأَنْكَرَتْ هَذِهِ الْأَخْبَارَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي الشَّفَاعَةِ.

الصِّنْفُ الثَّانِي: الْغَالِيَةُ مِنَ الْمُرْجِئَةِ الَّتِي تَزْعُمُ أَنَّ النَّارَ حُرِّمَتْ عَلَى مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تَتَأَوَّلُ هَذِهِ الْأَخْبَارَ الَّتِي رُوِيَتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ عَلَى خِلَافِ تَأْوِيلِهَا.

فَأَوَّلُ مَا نَبْدَأُ بِذِكْرِ الْأَخْبَارِ بِأَسَانِيدِهَا وَأَلْفَاظِ مُتُونِهَا، ثُمَّ نُبَيِّنُ مَعَانِيهَا بِعَوْنِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ، وَنَشْرَحُ وَنُوَضِّحُ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِمُخَالِفَةٍ لِلْأَخْبَارِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي الشَّفَاعَةِ، وَفِي إِخْرَاجِ مَنْ قَضَى اللَّهُ إِخْرَاجَهُمْ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ مِنَ النَّارِ.

فَمِنْهَا الْأَخْبَارُ الْمَأْثُورَةُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **"لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ"**.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ"** وَقَالَ مَرَّةً: **"شِرْكٌ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ"**.(١)

وَمِنْهَا أَيْضًا:

عَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"لَنْ يُوَافِيَ عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ، إِلَّا حُرِّمَ عَلَى النَّارِ"**.(٢)

قَالَ الزُّهْرِيُّ: ثُمَّ نَزَلَتْ بَعْدَ ذَلِكَ فَرَائِضُ وَأُمُورٌ، نَرَى أَنَّ الْأَمْرَ انْتَهَى إِلَيْهَا، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَغْتَرَّ فَلَا يَغْتَرَّ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَاسْمَعُوا الدَّلِيلَ الْبَيِّنَ الْوَاضِحَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّمَا أَرَادَ

---

(١) **صحيح** : الترمذي (١٩٩٨) وصححه الألباني.

(٢) **صحيح** : البخاري (٦٤٢٣).

بِقَوْلِهِ فِي هَذَا الْخَبَرِ: "**حُرِّمَ عَلَى النَّارِ**" أَيْ حُرِّمَ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَهُ، لَا أَنَّهُ حُرِّمَ عَلَى النَّارِ أَنْ تُؤْذِيَهُ أَوْ تَمْحَشَهُ أَوْ تَمَسَّهُ؛ لِأَنَّ النَّارَ إِذَا أَكَلَتْ مَا يُلْقَى فِيهَا يَصِيرُ الْمَأْكُولُ نَارًا، ثُمَّ رَمَادًا، وَأَهْلُ التَّوْحِيدِ، وَإِنْ دَخَلُوا النَّارَ بِذُنُوبِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ لَا تَأْكُلُهُمُ النَّارُ أَكْلًا يَصِيرُونَ جَمْرًا، ثُمَّ رَمَادًا، بَلْ يَصِيرُونَ فَحْمًا كَمَا ذَكَرْنَا فِي الْأَخْبَارِ الَّتِي قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا فِي أَبْوَابِ الشَّفَاعَاتِ، وَالشَّيْءُ إِذَا احْتَرَقَ كُلُّهُ فَصَارَ جَمْرًا بَعْدَ احْتِرَاقِ الْجَمِيعِ، يَصِيرُ بَعْدَ الْجَمْرِ رَمَادًا، لَا يَصِيرُ فَحْمًا إِذَا احْتَرَقَ احْتِرَاقًا نَاعِمًا، فَافْهَمُوا هَذَا الْفَصْلَ، لَا تُغَالِطُوا، فَتَصُدُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَكُلُّ مَا يُذْكَرُ مِنَ الْأَخْبَارِ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، فَافْهَمُوهُ.

عَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ أَنْكَرْتُ بَصَرِي، وَإِنَّ السُّيُولَ تَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَسْجِدِ قَوْمِي، وَلَوَدِدْتُ أَنَّكَ جِئْتَ، فَصَلَّيْتَ فِي بَيْتِي مَكَانًا أَتَّخِذُهُ مَسْجِدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**أَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**" قَالَ: فَمَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَاسْتَتْبَعَهُ، فَانْطَلَقَ مَعَهُ، فَاسْتَأْذَنَ، فَدَخَلَ عَلَيَّ، فَقَالَ وَهُوَ قَائِمٌ: "**أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ أُصَلِّيَ؟**" قَالَ: فَأَشَرْتُ لَهُ حَيْثُ أُرِيدُ، قَالَ: ثُمَّ حَبَسْتُهُ عَلَى خَزِيرٍ صَنَعْنَاهُ لَهُ، فَسَمِعَ بِهِ أَهْلُ الْوَادِي يَعْنِي بِهِ أَهْلَ الدَّارِ فَثَابُوا إِلَيْهِ حَتَّى امْتَلَأَ الْبَيْتُ، فَقَالَ رَجُلٌ: أَيْنَ مَالِكُ بْنُ

الدُّخْشُمِ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ ذَلِكَ رَجُلٌ مُنَافِقٌ، لَا يُحِبُّ اللَّهَ وَلَا رَسُولَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"لَا تَقُولُ، وَهُوَ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ"**، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا نَحْنُ، فَنَرَى وَجْهَهُ وَحَدِيثَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَيْضًا: **"لَا تَقُولُ، وَهُوَ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ"**، قَالَ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **"فَلَنْ يُوَافِيَ عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ، إِلَّا حُرِّمَ عَلَى النَّارِ"**.(١)

قَالَ مَعْمَرٌ: فَكَانَ الزُّهْرِيُّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، قَالَ: ثُمَّ نَزَلَتْ فَرَائِضُ وَأُمُورٌ، نَرَى أَنَّ الْأَمْرَ انْتَهَى إِلَيْهَا، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَغْتَرَّ، فَلَا يَغْتَرَّ.

قَالَ مُحَمَّدٌ الزُّهْرِيُّ: وَلَكِنَّا أَدْرَكْنَا الْفُقَهَاءَ وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ مُوجِبَاتُ الْفَرَائِضِ فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَذَكَرَ أَنَّ النَّجَاةَ بِهَا، فَرَائِضَ فِي كِتَابِهِ، نَحْنُ نَخْشَى أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ صَارَ إِلَيْهَا، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَغْتَرَّ، فَلَا يَغْتَرَّ.

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (٤٢٥)، مسلم (٣٣).

عَنْ عُثْمَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**".(١)

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّهُ ذُكِرَ لَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِمُعَاذٍ: "**مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ**"، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ: أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: "**لَا، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَّكِلُوا**".(٢)

عَنِ الصُّنَابِحِيِّ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: مَهْلًا لِمَ تَبْكِي؟ فَوَاللَّهِ لَوْ أَنِّي اسْتُشْهِدْتُ لَأَشْهَدَنَّ لَكَ، وَلَئِنْ شُفِّعْتُ لَأَشْفَعَنَّ لَكَ، وَلَئِنِ اسْتَطَعْتُ لَأَنْفَعَنَّكَ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا مِنْ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكُمْ فِيهِ خَيْرٌ إِلَّا حَدَّثْتُكُمُوهُ، إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا، وَسَوْفَ أُحَدِّثُكُمُوهُ الْيَوْمَ، وَقَدْ أُحِيطَ بِنَفْسِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ،**

---

(١) **صحيح** : مسلم (٢٦).

(٢) **صحيح** : البخاري (١٢٩).

حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ".[1]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَمِّهِ: "**قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**"، قَالَ: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَيْهِ الْجَزَعُ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾[2].[3]

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي**" فَإِمَّا "**بَشَّرَنِي**" وَإِمَّا قَالَ: "**أَخْبَرَنِي**" أَنَّهُ قَالَ: "**مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ**"، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَسَرَقَ؟ قَالَ: "**وَإِنْ زَنَى وَسَرَقَ**".[4]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَةً وَأَنَا أَقُولُ أُخْرَى، قَالَ: "**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَجْعَلُ لِلَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ**"، قَالَ: وَأَنَا أَقُولُ: وَهُوَ لَا يَجْعَلُ لِلَّهِ

---

(١) **حسن**: التعليقات الحسان (٢٠٢) وحسنه الألباني.

(٢) القصص/٥٦

(٣) **صحيح**: مسلم (٢٥).

(٤) **متفق عليه**: البخاري (١٢٣٧)، مسلم (٩٤).

نِدًّا دَخَلَ الْجَنَّةَ.[1]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَدْ كُنْتُ أَمْلَيْتُ أَكْثَرَ هَذَا الْبَابِ فِي [كِتَابِ الْإِيمَانِ]، وَبَيَّنْتُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ مَعْنَى هَذِهِ الْأَخْبَارِ، وَأَنَّ مَعْنَاهَا لَيْسَ كَمَا يَتَوَهَّمُهُ الْمُرْجِئَةُ.

وَبِيَقِينٍ يَعْلَمُ كُلُّ عَالِمٍ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يُرِدْ بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ أَنَّ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَوْ زَادَ مَعَ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِأَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، غَيْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَا آمَنَ بِشَيْءٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلَا بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ، وَلَا بَعْثٍ وَلَا حِسَابٍ؛ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، لَا يُعَذَّبُ بِالنَّارِ.

وَلَئِنْ جَازَ لِلْمُرْجِئَةِ الِاحْتِجَاجُ بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَخْبَارُ ظَاهِرُهَا خِلَافُ أَصْلِهِمْ، وَخِلَافُ كِتَابِ اللَّهِ، وَخِلَافُ سُنَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ جَازَ لِلْجَهْمِيَّةِ الِاحْتِجَاجُ بِأَخْبَارٍ رُوِيَتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا تُؤُوِّلَتْ عَلَى ظَاهِرِهَا، اسْتَحَقَّ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيُّهُ؛ الْجَنَّةَ، وَإِنْ لَمْ يَنْطِقْ

(١) **صحيح**: أحمد في المسند (٦/١٢/ح٣٥٥٢).

بِذَلِكَ لِسَانُهُ.

وَلَا يَزَالُ يُسْمَعُ أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْعِنَادِ يَحْتَجُّونَ بِأَخْبَارٍ مُخْتَصَرَةٍ غَيْرِ مُتَقَصَّاةٍ، وَبِأَخْبَارٍ مُجْمَلَةٍ غَيْرِ مُفَسَّرَةٍ، لَا يَفْهَمُونَ أُصُولَ الْعِلْمِ، يَسْتَدِلُّونَ بِالْمُتَقَصَّى مِنَ الْأَخْبَارِ عَلَى مُخْتَصَرِهَا، وَبِالْمُفَسَّرِ مِنْهَا عَلَى مُجْمَلِهَا.

قَدْ ثَبَتَتِ الْأَخْبَارُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِلَفْظَةٍ لَوْ حُمِلَتْ عَلَى ظَاهِرِهَا، كَمَا حَمَلَتِ الْمُرْجِئَةُ الْأَخْبَارَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَى ظَاهِرِهَا لَكَانَ الْعَالِمُ بِقَلْبِهِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَحِقًّا لِلْجَنَّةِ، وَإِنْ لَمْ يُقِرَّ بِذَلِكَ بِلِسَانِهِ وَلَا أُقِرُّ بِشَيْءٍ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِقْرَارِ بِهِ، وَلَا آمَنَ بِقَلْبِهِ بِشَيْءٍ أَمَرَ اللَّهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَلَا عَمِلَ بِجَوَارِحِهِ شَيْئًا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَلَا انْزَجَرَ عَنْ شَيْءٍ حَرَّمَهُ اللَّهُ مِنْ سَفْكِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَسَبْيِ ذَرَارِيِّهِمْ وَأَخْذِ أَمْوَالِهِمْ، وَاسْتِحْلَالِ حَرَمِهِمْ.

فَاسْمَعِ الْخَبَرَ الَّذِي ذَكَرْتُ، أَنَّهُ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى ظَاهِرِهِ، كَمَا حَمَلَتِ الْمُرْجِئَةُ الْأَخْبَارَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا عَلَى ظَاهِرِهَا:

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا**

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ".(١)

عَنْ أَبِي الدَّيْلَمِ قَالَ: كُنْتُ ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ مِمَّنْ يَخْدُمُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قُلْنَا لَهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ، إِنَّمَا صَحِبْنَاكَ، وَانْقَطَعْنَا إِلَيْكَ، وَاتَّبَعْنَاكَ لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ، فَحَدِّثْنَا بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَنْتَفِعُ بِهِ، قَالَ: نَعَمْ، وَمَا سَاعَةُ الْكَذِبِ هَذِهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يُوقِنُ بِقَلْبِهِ أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ حَقٌّ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ**".(٢)

لَئِنْ جَازَ لِلْجَهْمِيِّ الِاحْتِجَاجُ بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ، أَنَّ الْمَرْءَ يَسْتَحِقُّ الْجَنَّةَ، بِتَصْدِيقِ الْقَلْبِ بِأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ قَائِمَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَيَتْرُكُ الِاسْتِدْلَالَ بِمَا سَنُبَيِّنُهُ بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ مَعْنَى هَذِهِ الْأَخْبَارِ.

عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عُمَارَةَ بْنِ رُوَيْبَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "**مَنْ**

---

(١) **صحيح**: سبق تخريجه.

(٢) **صحيح**: السنة لابن أبي عاصم (٨٨٨) وصححه الألباني.

صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ ".[١]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَدْ أَمْلَيْتُ طُرُقَ هَذَا الْخَبَرِ فِي كِتَابِ الْمُخْتَصَرِ مِنْ كِتَابِ الصَّلَاةِ، مَعَ أَخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ: "**مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ**".[٢]

وَكُلُّ عَالِمٍ يَعْلَمُ دِينَ اللَّهِ وَأَحْكَامَهُ، يَعْلَمُ أَنَّ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ لَا يُوجِبَانِ الْجَنَّةَ مَعَ ارْتِكَابِ جَمِيعِ الْمَعَاصِي أَيْضًا، وَأَنَّ هَذِهِ الْأَعْمَالَ كَذَلِكَ إِنَّمَا رُوِيتْ عَلَى مَا بَيَّنَّا فِي [كِتَابِ الْإِيمَانِ]، إِنَّمَا رَوَيْتُ فِي فَضَائِلِ هَذِهِ الْأَعْمَالَ كَذَلِكَ إِنَّمَا رَوَيْتُ أَخْبَارَ النَّبِيِّ ﷺ: "**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**"[٣] فَضِيلَةً لِهَذَا الْقَوْلِ، لَا أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ كُلُّ الْإِيمَانِ.

وَلَئِنْ جَازَ لِجَاهِلٍ أَنْ يَتَأَوَّلَ أَنَّ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ جَمِيعُ الْإِيمَانِ، إِذِ النَّبِيُّ ﷺ خَبَّرَ أَنَّ قَائِلَهَا يَسْتَوْجِبُ الْجَنَّةَ وَيُعَاذُ مِنَ النَّارِ، لَمْ يُؤْمَنْ أَنْ يَدَّعِيَ جَاهِلٌ مُعَانِدٌ أَيْضًا أَنَّ جَمِيعَ الْإِيمَانِ الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَوَاقَ نَاقَةٍ، فَيَحْتَجَّ

---

(١) **صحيح:** مسلم (٦٣٤).

(٢) **صحيح:** مسلم (٦٥٧) عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) **صحيح:** سبق تخريجه.

بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "**مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَوَاقَ نَاقَةٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ**"(١) كَاحْتِجَاجِ الْمُرْجِئَةِ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**".

وَيَقُولُ مُعَانِدٌ آخَرُ جَاهِلٌ: إِنَّ الْإِيمَانَ بِكَمَالِهِ الْمَشْيُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى تَغْبَرَّ قَدَمَا الْمَاشِي، وَيَحْتَجُّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "**مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُمَا اللَّهُ عَلَى النَّارِ**"(٢) وَبِقَوْلِهِ: "**لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مَنْخَرَيْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَبَدًا**".(٣)

وَيَدَّعِي جَاهِلٌ آخَرُ: أَنَّ الْإِيمَانَ عِتْقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، وَيَحْتَجُّ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "**مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً، أَعْتَقَهُ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنَ النَّارِ**".(٤)

وَيَدَّعِي جَاهِلٌ آخَرُ: أَنَّ جَمِيعَ الْإِيمَانِ الْبُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَحْتَجُّ

---

(١) **حسن**: الترمذي (١٦٥٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني.

(٢) **صحيح**: البخاري (٩٠٧) عن أبي عبس بن جبر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واسمه عبد الرحمن، قال ابن حجر: وليس له في البخاري سوى هذا الحديث.

(٣) **صحيح**: الترمذي (١٦٣٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٤) **صحيح**: مسلم (١٥٠٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: **"لَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى"**.[1]

وَيَدَّعِي جَاهِلٌ آخَرُ: أَنَّ جَمِيعَ الْإِيمَانِ صَوْمُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَحْتَجُّ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **"مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَاعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا"**.[2]

وَيَدَّعِي جَاهِلٌ آخَرُ: أَنَّ جَمِيعَ الْإِيمَانِ قَتْلُ كَافِرٍ، وَيَحْتَجُّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: **"لَا يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ فِي النَّارِ أَبَدًا"**.[3]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَذَا الْجِنْسُ مِنْ فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ، يَطُولُ بِتَقَصِّيهِ الْكِتَابُ وَفِي قَدْرِ مَا ذَكَرْنَا غُنْيَةٌ وَكِفَايَةٌ لِمَا لَهُ قَصَدْنَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّمَا خَبَّرَ بِفَضَائِلِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا، وَمَا هُوَ مِثْلُهَا، لَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرَادَ أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ ذَكَرَهُ أَعْلَمَ أَنَّ عَامِلَهُ يَسْتَوْجِبُ بِفِعْلِهِ الْجَنَّةَ، أَوْ يُعَاذُ مِنَ النَّارِ، أَنَّهُ جَمِيعُ الْإِيمَانِ، وَكَذَلِكَ إِنَّمَا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: **"مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ**

---

(١) **صحيح**: الترمذي (١٦٣٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٢) **متفق عليه**: البخاري (٢٨٤٠)، مسلم (١١٥٣) عن أبي سعيد الخدري.

(٣) **صحيح**: مسلم (١٨٩١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الْجَنَّةَ أَوْ حُرِّمَ عَلَى النَّارِ" فَضِيلَةً لِهَذَا الْقَوْلِ، لَا أَنَّهُ جَمِيعُ الْإِيمَانِ كَمَا ادَّعَى مَنْ لَا يَفْهَمُ الْعِلْمَ وَيُعَانِدُ، فَلَا يَتَعَلَّمُ هَذِهِ الصِّنَاعَةَ مِنْ أَهْلِهَا.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: "**لَا يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ فِي النَّارِ أَبَدًا**" هَذَا لَفْظٌ مُخْتَصَرُهُ، الْخَبَرُ الْمُتَقَصَّي لِهَذِهِ اللَّفْظَةِ الْمُخْتَصَرَةِ مَا:

حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: ثَنَا شُعَيْبُ بْنُ اللَّيْثِ قَالَ: ثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَجْلَانَ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "**لَا يَجْتَمِعَانِ فِي النَّارِ اجْتِمَاعًا يَعْنِي أَحَدُهُمَا مُسْلِمٌ قَتَلَ كَافِرًا، ثُمَّ سَدَّدَ الْمُسْلِمُ وَقَارَبَ**".(١)

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: كَذَاكَ نَقُولُ فِي فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا: أَنَّ مَنْ عَمِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِعْضَ تِلْكَ الْأَعْمَالِ، ثُمَّ سَدَّدَ وَقَارَبَ، وَمَاتَ عَلَى إِيمَانِهِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَلَمْ يَدْخُلِ النَّارَ، مَوْضِعَ الْكُفَّارِ مِنْهَا، وَإِنِ ارْتَكَبَ بَعْضَ الْمَعَاصِي، لِذَلِكَ لَا يَجْتَمِعُ قَاتِلُ الْكَافِرِ إِذَا مَاتَ عَلَى إِيمَانِهِ مَعَ الْكَافِرِ الْمَقْتُولِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ مِنَ النَّارِ، لَا أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ، وَلَا مَوْضِعًا مِنْهَا، وَإِنِ ارْتَكَبَ جَمِيعَ

(١) **صحيح**: مسلم (١٨٩١).

الْكَبَائِرِ، خَلَا الشِّرْكِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِذَا لَمْ يَشَأِ اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ مَا دُونَ الشِّرْكِ، فَقَدْ خَبَّرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ لِلنَّارِ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ: فَقَالَ لِإِبْلِيسَ: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ**﴾[١]، فَأَعْلَمَنَا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَسَّمَ تَابِعِي إِبْلِيسَ مِنَ الْغَاوِينَ سَبْعَةَ أَجْزَاءٍ عَلَى عَدَدِ أَبْوَابِ النَّارِ، فَجَعَلَ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءًا مَعْلُومًا، وَاسْتَثْنَى عِبَادَهُ الْمُخْلَصِينَ مِنْ هَذَا الْقَسَمِ.

فَكُلُّ مُرْتَكِبِ مَعْصِيَةٍ زَجَرَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَدْ أَغْوَاهُ إِبْلِيسَ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ يَشَاءُ غُفْرَانَ كُلِّ مَعْصِيَةٍ يَرْتَكِبُهَا الْمُسْلِمُ دُونَ الشِّرْكِ، وَإِنْ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا، لِذَاكَ أَعْلَمَنَا فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾[٢].

وَأَعْلَمَنَا خَالِقُنَا عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ آدَمَ خَلَقَهُ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَأَمَرَ مَلَائِكَتَهُ بِالسُّجُودِ لَهُ، عَصَاهُ فَغَوَى، وَأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ اجْتَبَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى، وَلَمْ يُحَرِّمْهُ اللَّهُ بِارْتِكَابِ هَذِهِ الْحُوبَةِ، بَعْدَ ارْتِكَابِهِ

---

(١) الحجر/٤٢:٤٤

(٢) النساء/٤٨

إِيَّاهَا، فَمَنْ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ حَوْبَتَهُ الَّتِي ارْتَكَبَهَا، وَأَوْقَعَ عَلَيْهَا اسْمَ غَاوٍ، فَهُوَ دَاخِلٌ فِي الْأَجْزَاءِ، جُزْءًا وَقِسمًا لِأَبْوَابِ النَّارِ السَّبْعَةِ، وَفِي ذِكْرِ آدَمَ ﷺ وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ**﴾[1] مَا يُبَيِّنُ وَيُوَضِّحُ أَنَّ اسْمَ الْغَاوِي قَدْ يَقَعُ عَلَى مُرْتَكِبِ خَطِيئَةٍ، قَدْ زَجَرَ اللَّهُ عَنْ إِتْيَانِهَا، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْخَطِيئَةُ كُفْرًا وَلَا شِرْكًا، وَلَا مَا يُقَارِبُهَا وَيُشْبِهُهَا، وَمُحَالٌ أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ الْمُوَحِّدُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ، الْمُطِيعُ لِخَالِقِهِ فِي أَكْثَرِ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَنَدَبَهُ إِلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ غَيْرِ الْمُفْتَرَضِ عَلَيْهِ، الْمُنْتَهِي عَنْ أَكْثَرِ الْمَعَاصِي، وَإِنِ ارْتَكَبَ بَعْضَ الْمَعَاصِي وَالْحَوْبَاتِ فِي قِسمِ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَدَعَا مَعَهُ آلِهَةً لَهُ، أَوْ جَعَلَ صَاحِبَةً، أَوْ وَلَدًا، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا وَلَمْ يُؤْمِنْ أَيْضًا بِشَيْءٍ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَلَا أَطَاعَ اللَّهَ فِي شَيْءٍ أَمَرَهُ بِهِ مِنَ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ، وَلَا انْزَجَرَ عَنْ مَعْصِيَةٍ نَهَى اللَّهُ عَنْهَا، مُحَالٌ أَنْ يَجْتَمِعَ هَذَانِ فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ النَّارِ.

وَالْعَقْلُ مُرَكَّبٌ عَلَى أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ أَعْظَمَ خَطِيئَةً وَأَكْثَرَ ذُنُوبًا

---

(١) طه/١٢١

ثُمَّ لَمْ يَتَجَاوَزِ اللَّهُ عَنْ ذُنُوبِهِ؛ كَانَ أَشَدَّ عَذَابًا فِي النَّارِ، كَمَا يَعْلَمُ كُلُّ عَاقِلٍ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ أَكْثَرَ طَاعَةً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَقَرُّبًا إِلَيْهِ بِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَاجْتِنَابِ السَّيِّئَاتِ؛ كَانَ أَرْفَعَ دَرَجَةً فِي الْجِنَانِ، وَأَعْظَمَ ثَوَابًا وَأَجْزَلَ نِعْمَةً.

فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَتَوَهَّمَ مُسْلِمٌ، أَنَّ أَهْلَ التَّوْحِيدِ يَجْتَمِعُونَ فِي النَّارِ فِي الدَّرَجَةِ مَعَ مَنْ كَانَ يَفْتَرِي عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَدْعُو لَهُ شَرِيكًا أَوْ شُرَكَاءَ، فَيَدْعُو لَهُ صَاحِبَةً وَوَلَدًا، وَيَكْفُرُ بِهِ وَيُشْرِكُ، وَيَكْفُرُ بِكُلِّ مَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَيُكَذِّبُ جَمِيعَ الرُّسُلِ، وَيَتْرُكُ جَمِيعَ الْفَرَائِضِ، وَيَرْتَكِبُ جَمِيعَ الْمَعَاصِي، فَيَعْبُدُ النِّيرَانَ، وَيَسْجُدُ لِلْأَصْنَامِ وَالصُّلْبَانِ، فَمَنْ لَمْ يَفْهَمْ هَذَا الْبَابَ لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ تَكْذِيبِ الْأَخْبَارِ الثَّابِتَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي إِخْرَاجِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ مِنَ النَّارِ، إِذْ مُحَالٌ أَنْ يُقَالَ: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ لَيْسَ فِيهَا، وَأَمْحَلُ مِنْ هَذَا أَنْ يُقَالَ: يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ لَيْسَ فِيهَا، وَفِي إِبْطَالِ أَخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ دُرُوسُ الدِّينِ وَإِبْطَالُ الْإِسْلَامِ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ جَمِيعِ الْكُفَّارِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ مِنَ النَّارِ، وَلَا سَوَّى بَيْنَ عَذَابِ جَمِيعِهِمْ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ**

النَّارِ﴾[1]، وَقَالَ: ﴿**أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾[2].

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَسَأُبَيِّنُ بِمَشِيئَةِ خَالِقِنَا عَزَّ وَجَلَّ مَعْنَى أَخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ لَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ فَعَلَ كَذَا، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: "**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ**"، وَأُؤَلِّفُ بَيْنَ مَعْنَى هَذِهِ الْأَخْبَارِ تَأْلِيفًا بَيِّنًا مَشْرُوحًا، بَعْدَ ذِكْرِي لِأَخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ إِنْ حُمِلَتْ عَلَى ظَاهِرِهَا كَانَتْ دَافِعَةً لِلْأَخْبَارِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ الَّتِي خَبَّرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ فَاعِلَ بَعْضِهَا يَسْتَوْجِبُ الْجَنَّةَ، وَيُعَاذُ مِنَ النَّارِ.

---

(١) النساء/١٤٥

(٢) غافر/٤٦

[ر/٦٠٩- ح/٢٨٦- ش(٢/٨٣٦)- ز(٢/٧٠٨)- ي/٤٩٨]

بَابُ ذِكْرِ أَخْبَارٍ رُوِيَتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ثَابِتَةٌ مِنْ جِهَةِ النَّقْلِ جَهِلَ مَعْنَاهَا فِرْقَتَانِ : فِرْقَةُ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْخَوَارِجُ.

وَاحْتَجُّوا بِهَا، وَادَّعَوْا أَنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ إِذَا مَاتَ قَبْلَ التَّوْبَةِ مِنْهَا؛ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ، مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ الْجِنَانُ.

وَالْفِرْقَةُ الْأُخْرَى: الْمُرْجِئَةُ، كَفَرَتْ بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ، وَأَنْكَرَتْهَا وَدَفَعَتْهَا جَهْلًا مِنْهُمْ بِمَعَانِيهَا.

وَأَنَا ذَاكِرُهَا بِأَسَانِيدِهَا، وَأَلْفَاظِ مُتُونِهَا، وَمُبَيِّنٌ مَعَانِيهَا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى.

عَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، وَأَبَا بَكْرَةَ قَالَا: سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ يَقُولُ: **"مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ ، فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ"**.(١)

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (٤٣٢٦)، مسلم (٦٣).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**مَنِ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ فَلَنْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَرِيحُهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا**".(١)

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَاسْمَعُوا الْآنَ بَابًا آخَرَ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ أَيْضًا، فِي إِعْلَامِ النَّبِيِّ ﷺ حِرْمَانَ الْجَنَّةِ لِمُرْتَكِبِ بَعْضِ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، مِنَ الَّذِي لَيْسَ بِكُفْرٍ، وَلَا يُزِيلُ الْإِيمَانَ بِأَسْرِهِ، وَلَا عَلَى مَا تَتَوَهَّمُهُ الْخَوَارِجُ، وَالْمُعْتَزِلَةُ.

عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ، فَمَرَّ رَجُلٌ، فَقَالُوا: هَذَا يُبَلِّغُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ**".(٢)

قَالَ سُفْيَانُ: وَالْقَتَّاتُ: الَّذِي يَنُمُّ وَيُبَلِّغُ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَدْ أَمْلَيْتُ هَذَا الْبَابَ أَيْضًا فِي التَّغْلِيظِ فِي النَّمِيمَةِ فِي كِتَابِ الْوَرَعِ، فَاسْمَعُوا الْآنَ جِنْسًا آخَرَ، فِي حِرْمَانِ الْجَنَّةِ مُرْتَكِبَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، مِمَّا لَيْسَ بِكُفْرٍ، يُزِيلُ عَنِ الْمِلَّةِ، لَيْسَ مَعْنَاهُ عَلَى مَا يَتَوَهَّمُهُ الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ.

---

(١) **صحيح**: أحمد في المسند (١١/١٦٢/ح٩٥٨٢).

(٢) **متفق عليه**: البخاري (٦٠٥٦)، مسلم (١٠٥).

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**"، فَقَالَ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا؟ قَالَ: "**وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ**".(١)

---

(١) **صحيح** : مسلم (١٣٧).

[ر/٦١٦- ح/٢٨٨- ش(٢/٨٤٧)- ز(٢/٧١٦)- ي/٥٠٤]

بَابُ ذِكْرِ أَخْبَارٍ ثَابِتَةِ السَّنَدِ صَحِيحَةِ الْقَوَّامِ قَدْ يَحْسِبُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ أَنَّهَا خِلَافُ هَذِهِ الْأَخْبَارِ الَّتِي قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا لِاخْتِلَافِ أَلْفَاظِهَا.

وَلَيْسَتْ عِنْدَنَا مُخَالَفَةٌ سَنُبَيِّنُ مَعْنَاهَا، وَنُؤَلِّفُ بَيْنَ الْمُرَادِ مِنْ كُلٍّ مِنْهَا بَعْدَ ذِكْرِنَا الْأَخْبَارَ بِأَلْفَاظِهَا، إِنْ اللَّهُ وَفَّقَ لِذَلِكَ وَشَاءَهُ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ**" وَقُلْتُ: مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ دَخَلَ النَّارَ. (١)

قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ قَيْسٍ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْمُوجِبَتَيْنِ، فَقَالَ: الْمُوجِبَتَانِ: مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ. (٢)

قَالَ: وَقَالَ جَابِرٌ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ**

---

(١) **صحيح**: سبق تخرجه.

(٢) **صحيح**: مسلم (٩٣) مرفوعًا.

يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ أَبَدًا، وَلَكِنَّهُ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ، وَقَدْ رَضِيَ بِذَلِكَ ".[١]

(١) **صحيح**: مسلم (٢٨١٢).

[ر/٦٢٣-ح/٢٩٢-ش(٢/٨٥٧)-ز(٢/٧٢٦)-ي/٥١٠]

بَابُ ذِكْرِ أَخْبَارٍ رُوِيَتْ أَيْضًا فِي حِرْمَانِ الْجَنَّةِ عَلَى مَنِ ارْتَكَبَ بَعْضَ الْمَعَاصِي الَّتِي لَا تُزِيلُ الْإِيمَانَ بِأَسْرِهِ.

جَهِلَ مَعْنَاهَا الْمُعْتَزِلَةُ، وَالْخَوَارِجُ، فَأَزَالُوا اسْمَ الْمُؤْمِنِ عَنْ مُرْتَكِبِهَا وَمُرْتَكِبِي بَعْضِهَا، أَنَا ذَاكِرُهَا بِأَسَانِيدِهَا، وَمُبَيِّنٌ مَعَانِيهَا، وَمُؤَلِّفٌ بَيْنَ مَعَانِيهَا وَمَعَانِي الْأَخْبَارِ الَّتِي قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا الَّتِي احْتَجَّ بِهَا الْمُرْجِئَةُ، وَتَوَهَّمَتْ أَنَّ مُرْتَكِبَ هَذِهِ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا كَامِلُ الْإِيمَانِ لَا نَقْصَ فِي إِيمَانِهِمْ إِنْ وَفَّقَ اللَّهُ لِذَلِكَ وَشَاءَ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَّانٌ وَلَا عَاقٌّ، وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ**".(١)

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدَةً بِغَيْرِ حَقِّهَا**

---

(١) **صحيح**: النسائي (٥٦٧٢) وصححه الألباني.

حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْ يَشُمَّ رِيحَهَا".[1]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَعْنَى هَذَا الْخَبَرِ إِنْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مَا قَدْ أَعْلَمْتُ أَصْحَابِي مُنْذُ دَهْرٍ طَوِيلٍ، أَنَّ مَعْنَى الْأَخْبَارِ إِنَّمَا هُوَ عَلَى أَحَدِ مَعْنَيَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ: أَيْ بَعْضَ الْجِنَانِ، إِذِ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَعْلَمَ أَنَّهَا جِنَانٌ فِي جَنَّةٍ، وَاسْمُ الْجَنَّةِ وَاقِعٌ عَلَى كُلِّ جَنَّةٍ مِنْهَا، فَمَعْنَى هَذِهِ الْأَخْبَارِ الَّتِي ذَكَرْنَا: مَنْ فَعَلَ كَذَا، لِبَعْضِ الْمَعَاصِي حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، أَوْ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ، مَعْنَاهَا: لَا يَدْخُلُ بَعْضَ الْجِنَانِ الَّتِي هِيَ أَعْلَى وَأَشْرَفُ وَأَنْبَلُ، وَأَكْثَرُ نَعِيمًا وَسُرُورًا وَبَهْجَةً، وَأَوْسَعُ، لَا أَنَّهُ أَرَادَ: لَا يَدْخُلُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْجِنَانِ الَّتِي هِيَ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو قَدْ بَيَّنَ خَبَرَهُ الَّذِي رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: "**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَاقٌّ، وَلَا مَنَّانٌ، وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ**" أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ حَظِيرَةَ الْقُدُسِ مِنَ الْجَنَّةِ عَلَى مَا تَأَوَّلْتُ أَحَدَ الْمَعْنَيَيْنِ.

وَالْمَعْنَى الثَّانِي: مَا قَدْ أَعْلَمْتُ أَصْحَابِي مَا لَا أُحْصِي مِنْ مَرَّةٍ، أَنَّ كُلَّ وَعِيدٍ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ، فَإِنَّمَا هُوَ عَلَى شَرِيطَةٍ، أَيْ: إِلَّا أَنْ

---

(١) **صحيح**: أحمد في المسند (٢٤/ ٢٠/ح٢٠٣٨٣).

يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ، وَيَصْفَحَ، وَيَتَكَرَّمَ، وَيَتَفَضَّلَ، فَلَا يُعَذِّبُ عَلَى ارْتِكَابِ تِلْكَ الْخَطِيئَةِ، إِذِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ خَبَّرَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: أَنَّهُ قَدْ يَشَاءُ أَنْ يَغْفِرَ مَا دُونَ الشِّرْكِ مِنَ الذُّنُوبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾[1].

قَدْ أَمْلَيْتُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فِي كِتَابِ [مَعَانِي الْقُرْآنِ]، وَالْكِتَابِ الْأَوَّلِ، وَاسْتَدْلَلْتُ أَيْضًا بِخَبَرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، لَمْ أَكُنْ ذَكَرْتُهُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّمَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ: "**مَنِ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**" أَيْ: إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ فَلَا يُعَاقِبُهُ.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ، أَنَّ الْأَشْعَثَ وَهَبَ لَهُ غُلَامًا فَغَضِبَ عَلَيْهِ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا وَهَبْتُ لَكَ شَيْئًا، فَلَمَّا أَصْبَحَ رَدَّهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ صَبْرًا لِيَقْتَطِعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ مُجْتَمِعٌ عَلَيْهِ غَضْبَانُ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ**

(١) النساء/٤٨

عَاقِبَةٌ". [١]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَاسْمَعُوا الْخَبَرَ الْمُصَرِّحَ بِصِحَّةِ مَا ذَكَرْتُ أَنَّ الْجَنَّةَ إِنَّمَا هِيَ جِنَانٌ فِي جَنَّةٍ، وَأَنَّ اسْمَ الْجَنَّةِ وَاقِعٌ عَلَى كُلِّ جَنَّةٍ مِنْهَا عَلَى الِانْفِرَادِ، لِتَسْتَدِلُّوا بِذَلِكَ عَلَى صِحَّةِ تَأْوِيلِنَا الْأَخْبَارَ الَّتِي ذَكَرْنَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ فِعْلِ كَذَا وَكَذَا لِبَعْضِ الْمَعَاصِي لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ؛ إِنَّمَا أَرَادَ بَعْضَ الْجِنَانِ الَّتِي هِيَ أَعْلَى وَأَشْرَفُ، وَأَفْضَلُ وَأَنْبَلُ، وَأَكْثَرُ نَعِيمًا، وَأَوْسَعُ، إِذْ مُحَالٌ أَنْ يَقُولَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ، يُرِيدُ لَا يَدْخُلُ شَيْئًا مِنَ الْجِنَانِ، وَيُخْبِرُ أَنَّهُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، فَتَكُونُ إِحْدَى الْكَلِمَتَيْنِ دَافِعَةً لِلْأُخْرَى، وَأَحَدُ الْخَبَرَيْنِ دَافِعًا لِلْآخَرِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْجِنْسَ مِمَّا لَا يَدْخُلُهُ التَّنَاسُخُ، وَلَكِنَّهُ مِنْ أَلْفَاظِ الْعَامِّ الَّذِي يُرَادُ بِهَا الْخَاصُّ.

عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: ثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ أُمَّ الرَّبِيعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ، وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ، أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ -وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ- فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ

---

(١) **صحيح**: البخاري (٧٤٤٥).

صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ الثُّكْلَ، قَالَ: "**يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ، وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى**".[(١)]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَدْ أَمْلَيْتُ أَكْثَرَ طُرُقِ هَذَا الْخَبَرِ فِي [كِتَابِ الْجِهَادِ]، وَقَدْ أَمْلَيْتُ فِي [كِتَابِ ذِكْرِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ] ذِكْرَ دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ، وَبُعْدَ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ وَأَمْلَيْتُ أَخْبَارَ النَّبِيِّ ﷺ: "**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ فِي أُفُقٍ مِنْ آفَاقِ السَّمَاءِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمَا**"، وَقَوْلُ بَعْضِ أَصْحَابِهِ: تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: "**بَلَى، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ**".[(٢)]، وَأَمْلَيْتُ أَخْبَارَ النَّبِيِّ ﷺ: "**بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مِنْ دَرَجِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ**".[(٣)]

فَمَعْنَى هَذِهِ الْأَخْبَارِ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ بَعْضِ الذُّنُوبِ الَّتِي يَرْتَكِبُهَا بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَعْنِي قَالَ: إِنَّ مُرْتَكِبَهَا لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، مَعْنَاهَا: أَنَّهُ

---

(١) **صحيح**: البخاري (٢٨٠٩).

(٢) **صحيح**: مسلم (٢٨٣١).

(٣) **صحيح**: البخاري (٢٧٩٠) بنحوه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَا يَدْخُلُ الْعَالِيَ مِنَ الْجِنَّانِ الَّتِي هِيَ دَارُ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ لَمْ يَرْتَكِبُوا تِلْكَ الذُّنُوبَ وَالْخَطَايَا وَالْحُوبَاتِ، وَقَدْ كُنْتُ أَقُولُ وَأَنَا حَدَثٌ: جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى أَخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ: **"لَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ"** أَيْ لَا يَدْخُلُ النَّارَ دُخُولَ الْأَبَدِ، كَدُخُولِ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالْأَوْثَانِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ"** الْأَخْبَارُ الَّتِي قَدْ أَمْلَيْتُهَا بِتَمَامِهَا، أَوْ يَكُونُ مَعْنَاهَا: أَيْ لَا يَدْخُلُونَ النَّارَ مَوْضِعَ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ مِنَ النَّارِ، إِذِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَعْلَمَ أَنَّ لِلنَّارِ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ، وَأَخْبَرَ أَنَّ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءًا مَقْسُومًا، فَقَالَ: ﴿**لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ**﴾[1] فَمَعْنَى هَذَا الْخَبَرِ: قَدْ يَكُونُ أَنَّهُمْ لَا يَدْخُلُونَ النَّارَ مَوْضِعَ الْكُفَّارِ مِنْهَا؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ مُحِيطٌ أَنَّ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ مَوْضِعًا، لَمْ يُقَلْ: يَخْرُجْ، وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ الَّتِي لَا يَدْفَعُهَا عَالِمٌ بِالْأَخْبَارِ: أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَإِذَا اسْتَحَالَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مَوْضِعٍ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ، ثَبَتَ وَبَانَ وَصَحَّ: أَنْ يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مِمَّنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ ذَرَّةٌ مِنْ إِيمَانٍ، إِنَّمَا أُخْرِجَ مِنْ مَوْضِعِ النَّارِ غَيْرِ الْمَوْضِعِ الَّذِي خَبَّرَ النَّبِيُّ

(١) الحجر/ ٤٤

ﷺ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ ذَلِكَ المَوْضِعَ مِنَ النَّارِ، فَالتَّأْلِيفُ بَيْنَ الْأَخْبَارِ المَأْثُورَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى مَا قَدْ بَيَّنَّا.

وَبِيَقِينٍ يَعْلَمُ كُلُّ عَالِمٍ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، أَنَّ جَائِزًا أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ: لَا أَدْخُلُ الدَّارَ، إِنَّمَا يُرِيدُ بَعْضَ الدُّورِ، كَذَلِكَ يَقُولُ أَيْضًا: لَا أَدْخُلُ دَارَ فُلَانٍ، وَلِفُلَانٍ دُورٌ ذَوَاتُ عَدَدٍ، إِنَّمَا يُرِيدُ أَنِّي لَا أَدْخُلُ بَعْضَ دُرُوهِ، لَا أَنَّهُ إِنَّمَا يُرِيدُ لَا أَدْخُلُ شَيْئًا مِنْ دُورِ فُلَانٍ، وَالصَّادِقُ عِنْدَ السَّامِعِ الَّذِي لَا يَتَّهِمُ بِكَذِبٍ إِذَا سَمِعَهُ يَقُولُ: لَا أَدْخُلُ دَارَ فُلَانٍ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ مُدَّةٍ قَصِيرَةٍ، أَوْ طَوِيلَةٍ: أَدْخُلُ دَارَ فُلَانٍ، لَمْ يَتَوَهَّمْ مَنْ سَمِعَ مِنَ الصَّادِقِ هَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ أَنَّ إِحْدَاهُمَا خِلَافُ الْأُخْرَى، إِذَا كَانَ الْمُتَكَلِّمُ بِهَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ عِنْدَهُمْ وَرِعًا دَيِّنًا، فَاضِلًا صَادِقًا، وَيَعْلَمُ مَنْ سَمِعَهُ مِمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَكْذِبُ، أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ: لَا أَدْخُلُ دَارَ فُلَانٍ، إِذَا سَمِعَ اللَّفْظَةَ الثَّانِيَةَ: أَدخُلُ دَارَ فُلَانٍ، أَنَّهُ أَرَادَ بِالدَّارِ الَّتِي ذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُهَا غَيْرَ الدَّارِ الَّتِي ذَكَرَ أَنَّهُ يَدْخُلُهَا، فَإِذَا كَانَ مَعْلُومًا عِنْدَ السَّامِعِينَ إِذَا سَمِعُوا الصَّادِقَ الْبَارَّ عِنْدَهُمْ يَتَكَلَّمُ بِهَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ أَنَّهُمَا لَيْسَتَا بِمُتَنَاقِضَتَيْنِ، وَلَا مُتَهَاتِرَتَيْنِ، وَأَنَّهُمْ يَحْمِلُونَ اللَّفْظَتَيْنِ جَمِيعًا عَلَى الصِّدْقِ، وَيُؤَلِّفُونَ بَيْنَهُمَا، أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ بِالدَّارِ الَّتِي ذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُهَا غَيْرَ الدَّارِ الَّتِي ذَكَرَ أَنَّهُ يَدْخُلُهَا.

وَجبَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِرُّ بِنُبُوَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَسْتَيْقِنُ أَنَّهُ أَبَرُّ الْخَلْقِ، وَأَصْدَقُهُمْ وَأَبْعَدُهُمْ مِنَ الْكَذِبِ، وَالتَّكَلُّمِ بِالتَّكَاذُبِ وَالتَّنَاقُضِ، أَنْ يَعْلَمَ وَيَسْتَيْقِنَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "**لَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ**" يُرِيدُ: لَا يَدْخُلُ شَيْئًا مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَقَعُ عَلَيْهَا اسْمُ النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ: "**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ**" لِأَنَّ اللَّفْظَتَيْنِ اللَّتَيْنِ رُوِيَتَا عَنْهُ إِذَا حُمِلَتَا عَلَى هَذَا: كَانَتْ إِحْدَاهُمَا دَافِعَةً لِلْأُخْرَى، فَإِذَا تُؤُوِّلَتَا عَلَى مَا ذَكَرْنَا، كَانَتَا مُتَّفِقَتِي الْمَعْنَى، وَكَانَتَا مِنْ أَلْفَاظِ الْعَامِّ الَّتِي يُرَادُ بِهَا الْخَاصُّ، فَافْهَمُوا هَذَا الْفَصْلَ، لَا تُخْدَعُوا، فَتَضِلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ.

وَنَقُولُ أَيْضًا: مَعْلُومٌ مُتَيَقَّنٌ عِنْدَ الْعَرَبِ أَنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَقُولُ: لَا أَدْخُلُ مَوْضِعَ كَذَا وَكَذَا، وَلَا يَدْخُلُ فُلَانٌ مَوْضِعَ كَذَا وَكَذَا: يُرِيدُ مُدَّةً مِنَ الْمُدَدِ وَوَقْتًا مِنَ الْأَوْقَاتِ، قَدْ يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ ﷺ: مَنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ، يُرِيدُ: لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَدْخُلُهَا مَنْ لَمْ يَرْتَكِبْ هَذِهِ الْحَوْبَةَ؛ لِأَنَّهُ يُحْبَسُ عَنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ، إِمَّا لِلْمُحَاسَبَةِ عَلَى الذَّنْبِ، أَوْ لِإِدْخَالِ النَّارِ لِيُعَذَّبَ بِقَدْرِ ذَلِكَ الذَّنْبِ، إِنْ كَانَ ذَلِكَ الذَّنْبُ مِمَّا يَسْتَوْجِبُ بِهِ الْمُرْتَكِبُ النَّارَ إِنْ لَمْ يَعْفُ اللَّهُ وَيَصْفَحُ وَيَتَكَرَّمُ، فَيَغْفِرُ ذَلِكَ الذَّنْبَ.

فَمَعْنَى هَذِهِ الْأَخْبَارِ لَمْ يَخْلُ مِنْ أَحَدِ هَذِهِ الْمَعَانِي؛ لِأَنَّهَا إِذَا لَمْ تُحْمَلْ عَلَى

بَعْضِ هَذِهِ الْمَعَانِي كَانَتْ عَلَى التَّهَاتُرِ وَالتَّكَاذُبِ، وَعَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يَتَأَوَّلُوا أَخْبَارَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: إِذَا حُدِّثْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَظُنُّوا بِهِ الَّذِي هُوَ أَهْنَاهُ، وَأَهْدَاهُ، وَأَتْقَاهُ.

[ر/٦٤٢- ح/٢٩٩- ش(٨٧٩/٢)- ز(٧٤٤/٢)- ي/٥٢٥]

بَابُ ذِكْرِ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ لَيْسَ يَنْفِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحْيِي الْإِنْسَانَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّتَيْنِ.

عَلَى أَنَّ مَنِ ادَّعَى، مِمَّنْ أَنْكَرَ عَذَابَ الْقَبْرِ، وَزَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُحْيِي أَحَدًا فِي الْقَبْرِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، احْتِجَاجًا بِقَوْلِهِ: ﴿**رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ**﴾[1]، وَهَذِهِ الْآيَةُ مِنَ الْجِنْسِ الَّتِي قَدْ أُعْلِمَتْ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كُتُبِنَا فِي ذِكْرِ الْعَدَدِ الَّذِي لَا يَكُونُ نَفْيًا لِمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ الْعَدَدِ، فَافْهَمُوهُ لَا تُغَالِطُوا.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ**﴾[2] فَقَدْ أَحْيَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا الْعَبْدَ مَرَّتَيْنِ قَبْلَ الْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَسَيُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهَذِهِ الْآيَةُ تُصَرِّحُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَحْيَا هَذَا الْعَبْدَ مَرَّتَيْنِ، إِذْ قَدْ أَحْيَاهُ الْمَرَّةَ

(١) غافر/١١

(٢) البقرة/٢٥٩

الثَّانِيَةَ بَعْدَ مُكْثِهِ مَيِّتًا مِائَةَ سَنَةٍ، وَسُيُحْيِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَبْعَثُهُ.

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ**﴾[1].

وَقَدْ كُنْتُ بَيَّنْتُ فِي كِتَابِي الْأَوَّلِ كِتَابِ [مَعَانِي الْقُرْآنِ]: أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرُ تَكْوِينٍ، أَمَاتَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿**مُوتُوا**﴾، لِأَنَّ سِيَاقَ الْآيَةِ دَالٌّ عَلَى أَنَّهُمْ مَاتُوا، وَالْإِحْيَاءُ إِنَّمَا كَانَ بَعْدَ الْإِمَاتَةِ؛ لَأَنَّ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**ثُمَّ أَحْيَاهُمْ**﴾ دَالٌّ عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا مَاتُوا، فَأَحْيَاهُم اللَّهُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَهَذِهِ الْجَمَاعَةُ قَدْ أَحْيَاهُمُ اللَّهُ مَرَّتَيْنِ قَبْلَ الْبَعْثِ، وَسَيَبْعَثُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْيَاءً، فَالْكِتَابُ دَالٌّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي هَذِهِ الْجَمَاعَةَ مَعَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ إِحْيَاءِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

لَوْ كَانَ كَمَا ادَّعَتْ هَؤُلَاءِ الْجَهَلَةُ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُحْيِي أَحَدًا فِي الْقَبْرِ قَبْلَ وَقْتِ الْبَعْثِ، فَكَيْفَ وَقَدْ ثَبَتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَنِ نَبِيِّهِ ﷺ خِلَافَ دَعْوَاهُمُ الدَّاحِضَةِ، خَبَّرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَّ آلَ فِرْعَوْنَ يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ

---

(١) البقرة/٢٤٣

غُدُوًّا وَعَشِيًّا، وَسِيَاقُ الْآيَةِ دَالٌّ عَلَى أَنَّ النَّارَ إِنَّمَا تُعْرَضُ عَلَيْهِمْ غُدُوًّا وَعَشِيًّا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمُحَالٌ أَنْ تُعْرَضَ النَّارُ عَلَى جَسَدٍ لَا رُوحَ فِيهِ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّ النَّارَ تُعْرَضُ عَلَيْهِ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَخْبَرَ أَيْضًا: أَنَّ النَّارَ تُعْرَضُ عَلَى كُلِّ مَيِّتٍ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِهَا ، كَذَلِكَ أَخْبَرَ: أَنَّ الْجَنَّةَ تُعْرَضُ عَلَى كُلِّ مَيِّتٍ غُدُوًّا وَعَشِيًّا إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِهَا.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالُوا: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى تُبْعَثَ إِلَيْهِ**".[١]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَذَا الْخَبَرُ يُبَيِّنُ وَيُوَضِّحُ أَنَّ الْمَقْبُورَ يَحْيَا فِي قَبْرِهِ، وَيُبَيِّنُ وَيُوَضِّحُ أَيْضًا: أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ، لَا كَمَا ادَّعَتِ الْجَهْمِيَّةُ: أَنَّهُمَا لَمْ تُخْلَقَا بَعْدُ.

فَاسْمَعُوا خَبَرًا يَدُلُّ عَلَى مِثْلِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيِ الَّتِي تَلَوْتُهَا، وَالْبَيَانَ:

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (١٣٧٩)، مسلم (٢٨٦٦).

أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحْيِي الْمَقْبُورَ قَبْلَ الْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِمَّا لَمْ أَكُنْ ذَكَرْتُهُ فِي أَبْوَابِ عَذَابِ الْقَبْرِ، إِذْ لَيْسَ فِي الْأَخْبَارِ الَّتِي أَذْكُرُهَا ذِكْرُ الْعَذَابِ، إِنَّمَا فِيهَا ذِكْرُ الْإِحْيَاءِ فِي الْقَبْرِ دُونَ ذِكْرِ الْعَذَابِ.

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى وَهُوَ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ"**.[1]

---

(١) **صحيح**: مسلم (٢٣٧٥).

[ر/٦٤٦-ح/٣٠١-ش(٢/٨٨٣)-ز(٢/٧٤٩)-ي/٥٢٧]

بَابُ ذِكْرِ مَوْضِعِ عَرْشِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ.

عَنْ زِرْ بْنِ حبيش قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَصُرُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ يَعْنِي غِلَظُهَا، وَمَا بَيْنَ السَّمَاءَيْنِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَبَيْنَ الْمَاءِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَبَيْنَ الْمَاءِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَمَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِكُمْ شَيْءٌ. (١)

---

(١) **حسن**: سبق تخريجه.

[ر/٦٥١- ح/٣٠٣- ش(٨٨٩/٢)- ز(٧٥٥/٢)- ي/٥٣٠]

وَيُلْحَقُ فِي الْأَبْوَابِ الَّتِي قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ.

قَالَ طَلْحَةُ بْنُ خِرَاشٍ: لَقِيَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَقِيَهُ، فَقَالَ: **"يَا جَابِرُ مَالِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟"** قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي، وَتَرَكَ عَلَيْهِ دَيْنًا وَعِيَالًا، فَقَالَ: **"أَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَإِنَّ اللَّهَ أَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، وَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ مَا شِئْتَ أُعْطِيكَ، قَالَ: تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا، فَأُقْتَلُ فِيكَ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: لَا، إِنِّي أَقْسَمْتُ بِيَمِينٍ أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ يَعْنِي الدُّنْيَا"**.(١)

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كُنْتُ مُسْتَتِرًا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، قَالَ: فَجَاءَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ كَثِيرٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ، وَقَلِيلٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، قُرَشِيٌّ وَخَتْنَاهُ ثَقَفِيَّانِ، أَوْ ثَقَفِيٌّ وَخَتْنَاهُ قُرَشِيَّانِ، قَالَ: فَتَكَلَّمُوا بِكَلَامٍ لَمْ أَفْهَمْهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتَرَوْنَ اللَّهَ يَسْمَعُ

---

(١) **حسن**: الترمذي (٣٠١٠) وحسنه الألباني.

كَلَامِنَا هَذَا، قَالَ: فَقَالَ الْآخَرُ: أَرَى أَنَّا إِذَا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا سَمِعَهُ، وَإِذَا لَمْ نَرْفَعْهَا لَمْ يَسْمَعْهُ، فَقَالَ الْآخَرُ: إِنْ سَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا سَمِعَهُ كُلَّهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ**﴾[1] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.[2]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِي خَبَرِ ابْنِ مَسْعُودٍ الَّذِي أَمْلَيْتُهُ فِي كِتَابِ الْجِهَادِ فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ**﴾[3] فِي الْجَنَّةِ، "**فَيَطَّلِعُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا فَأَزِيدُكُمُوهُ؟**".

وَكُلُّ مَنْ لَهُ فَهْمٌ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، يَعْلَمُ أَنَّ الِاطِّلَاعَ إِلَى الشَّيْءِ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلَ، وَلَوْ كَانَ كَمَا زَعَمَتِ الْجَهْمِيَّةُ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْإِنْسَانِ وَأَسْفَلَ مِنْهُ وَفِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى، كَمَا هُوَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ الْعُلْيَا، لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِهِ: "**فَيَطَّلِعُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ اطِّلَاعَةً**" مَعنًى.

---

(١) فصلت/٢٢

(٢) **صحيح**: الترمذي (٣٢٤٩) وصححه الألباني.

(٣) آل عمران/١٦٩

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"يَجْمَعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، فَيَجْتَمِعُونَ، فَتَصْعَدُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ، وَتَثْبُتُ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّكَ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَتَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ"**.(١)

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَفِي الْخَبَرِ مَا بَانَ وَثَبَتَ وَصَحَّ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي السَّمَاءِ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَصْعَدُ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا، لَا كَمَا زَعَمَتِ الْجَهْمِيَّةُ الْمُعَطِّلَةُ: أَنَّ اللهَ فِي الدُّنْيَا كَهُوَ فِي السَّمَاءِ، وَلَوْ كَانَ كَمَا زَعَمَتْ، لَتَقَدَّمَتِ الْمَلَائِكَةُ إِلَى اللهِ فِي الدُّنْيَا، أَوْ نَزَلَتْ إِلَى أَسْفَلِ الْأَرَضِينَ إِلَى خَالِقِهِمْ، عَلَى الْجَهْمِيَّةِ لَعَائِنُ اللهِ الْمُتَتَابِعَةُ.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"عَجِبَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ رَجُلَيْنِ رَجُلٍ ثَارَ مِنْ وِطَائِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ حِبِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ فَيَقُولُ رَبُّنَا: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي ثَارَ مِنْ فِرَاشِهِ وَوِطَائِهِ مِنْ بَيْنِ حِبِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ، رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، وَرَجُلٌ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَانْهَزَمُوا، فَعَلِمَ مَا**

---

(١) **صحيح**: سبق تخريجه.

عَلَيْهِ مِنَ الْفِرَارِ، وَمَا لَهُ فِي الرُّجُوعِ، فَرَجَعَ حَتَّى أُهرِيقَ دَمُهُ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمَلَائِكَةِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي وَرَهْبَةً مِمَّا عِنْدِي حَتَّى أُهَرِيقَ دَمُهُ".(١)

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَعْنِي يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "**كَذَّبَنِي عَبْدِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يُكَذِّبَنِي، وَشَتَمَنِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَشْتُمَنِي، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ: يَعْنِي قَوْلَهُ: لَنْ يُعِيدَنَا اللَّهُ كَمَا بَدَأَنَا إِنَّهُ لَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ، يُرِيدُ بِأَشَدَّ عَلَيْنَا مِنْ آخِرِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ: فَإِنَّهُ يَقُولُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الْأَحَدُ، الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ، وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**".(٢)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ**"، فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ: الرَّجُلُ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، إِنَّ الْكِبْرَ مِنْ بَطَرِ الْحَقِّ**

---

(١) **حسن**: السنة لابن أبي عاصم (٥٦٩) وحسنه الألباني.

(٢) **صحيح**: البخاري (٤٤٨٢) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَغَمْصِ النَّاسِ".[١]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَذِهِ اللَّفْظَةُ مِنْ بَطِرِ الْحَقِّ مِنَ الْجِنْسِ الَّذِي يَقُولُ إِنَّ الْعَرَبَ تَذْكُرُ الْفِعْلَ تُرِيدُ فَاعِلَهُ؛ لِأَنَّ الْكِبْرَ فِعْلُ الْمُتَكَبِّرِ، وَالْمُتَكَبِّرُ هُوَ الْفَاعِلُ، فَقَوْلُهُ: "**إِنَّ الْكِبْرَ مِنْ بَطِرِ الْحَقِّ وَغَمْصِ النَّاسِ**".

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا**﴾[٢] قَالَ: يَرِدُونَهَا، ثُمَّ يَصْدُرُونَ عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "**يَخْرُجُ أَقْوَامٌ مِنَ النَّارِ قَدِ احْتَرَقُوا إِلَّا دَائِرَةَ وُجُوهِهِمْ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ**".[٣]

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يُرَدُّ كُلُّ خَبَرٍ مِنْ هَذِهِ الْأَخْبَارِ إِلَى مَوْضِعِهِ مِنْ بَابِهِ، فَقَدْ بَيَّنْتُ فِي أَبْوَابِهَا مَعَانِيهَا كُلَّهَا، وَأَلَّفْتُ بَيْنَ أَلْفَاظِهَا فِي الْمَعَانِي، وَإِنْ كَانَتْ أَلْفَاظُهَا مُخْتَلِفَةً عِنْدَ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالزَّيْغِ.

---

(١) **صحيح**: مسلم (٩١).

(٢) مريم/ ٧١

(٣) **صحيح**: مسلم (١٩١).

عَنْ عِرَاكِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "**لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَقَدْ كَفَرَ**".(١)

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَذِهِ اللَّفْظَةُ: "**فَقَدْ كَفَرَ**" مِنَ الْبَابِ الَّذِي قَدْ أَمْلَيْتُ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ، أَنَّ اسْمَ الْكُفْرِ قَدْ يَقَعُ عَلَى بَعْضِ الْمَعَاصِي الَّذِي لَا يُزِيلُ الْإِيمَانَ بِأَسْرِهِ، وَإِنَّمَا يَنْقُصُ مِنَ الْإِيمَانِ، لَا يَذْهَبُ بِهِ جَمِيعًا، قَدْ بَيَّنْتُ هَذَا الْمَعْنَى فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ بَيَانًا شَافِيًا.

تَمَّ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

ظُهْر الاثْنَيْنِ ١٥ شَعْبَانَ سنـ١٤٣٤ـة هِجْرِي

المُوَافِق ٢٤ يُونْيَه سنـ٢٠١٣ـة مِيلَادِي

وَتَمَّتْ مُرَاجَعَتُهُ

لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ الموافق ٢٠ ذِي الْقِعْدَة سنـ١٤٣٥ـة هِجْرِي

المُوَافِق ١٥ سِبْتَمْبِر سنـ٢٠١٤ـة مِيلَادِي

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (٦٧٦٨)، مسلم (٦٢).